اليزيديون

• واقعهم • تاريخهم
• معتقداتهم

ألفه وترجمه
الدكتور محمد التونجي

الناشر
الدار السلفية

اليزيديون

واقعهم . تاريخهم . معتقداتهم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

اليزيديون

واقعهم . تاريخهم . معتقداتهم

ألفه وترجمه
الدكتور محمد التونجي

الناشر
الدار السلفية

الطبعة الأولى
١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م

الناشر
الدار السلفية

حولي - شارع تونس مقابل محافظة حولي
تلفون: ٢٦١٧٤٢٠
ص.ب.: ٢٠٨٥٧ الصفاة - الكويت
الرمز البريدي 13069 الصفاة

المقدمة

إذا رجعت إلى تاريخ منطقة الشرق الأوسط، وحددت مطالعتك في القسم الشماليّ من بلاد ما بين النهرين، في مثلث غير متساوي الأضلاع، زاويته العليا في قفقاسية من الاتحاد السوفيتي، وزاويته الجنوبية جبل سنجار والموصل، وزاويته الغربية تمتد حتى منطقة حلب، لمست نوعاً من الدلتا اليابسة، هالك في طيات هذا التاريخ تزاخم الأحداث فيها، وتجمع الشعوب المختلفة، وتوزع الأقوام، وتنوع الأديان والمعتقدات.

ثم إذا طُفْتَ اليوم في أرجاء ذلك المثلث بصبر ويقظة رأيت بقايا من الشعوب والأقوام واللغات والأديان والمعتقدات والعادات، وكأن الواقع الذي تراه اليوم يحكي لك أسطورة الأمس. وتزداد عجباً حين تلقى تضاريس مختلفة بين الارتفاع الشاهق والانخفاض المريع، بين الأنهار الزاخرة والينابيع الدائمة، والسهوب الشبيهة بالصحراء، تتوزع بينها أقوامٍ مختلفو المشارب يعركون السنين الغابرة، ويصورون على تجاعيد جباههم أحداثاً، يستعيدون بها ما قد سلف.

فأنت ترى بين تلك التضاريس أقواماً اختلفوا في اللغات، والمعتقدات، والأزياء. وكأنهم تجمعوا أمامك عمداً ليثبتوا لك حقيقة التاريخ القديم الذي احتضن الآشوريين، والعرب، والكلدان، والأكراد، والأرمن، والأتراك، والفرس، . . وليضعوا نصب عينيك صوراً لِأَدْيانٍ ومذاهب سماوية متعاقبة منذ نوح عليه السلام. وليسطروا لك معتقدات يأخذك العجب من وجودها في هذه المنطقة الضيقة المتزاحمة. فترى المسلمين من سنية وشيعة، ونصارى من يعاقبه ونساطرة، ويهوداً لعلهم من بقايا السبي أو الهجرة، وجماعة الشبك[1]، والصابئة أو المندائية المغتسلة. . .

---

١ ـ الشبك: أتراك مختلطون بعشائر الباجون السنة والأكراد والتركمان والعرب، ولسانهم مزيج ذلك جميعاً، تاريخهم غامض وكذلك أصولهم، وأبرز مايعرفون به أنهم أتراك من شيعة الإمام علي (رضي). يسكنون مع اليزيدية ويزورون مزاراتهم ويحضرون اجتماعاتهم.

ولقد تلاحمت هذه الأقوام السامية والآريائية عبر التاريخ، لتخرج أجيالاً جديدة ضاعت أصولها، وحارت في انتماءاتها الوطنية والقومية لتداخل أضلاع هذا المثلث في حدود وتخوم تمثلت في إيران والعراق وروسية وتركية وسورية. ولقد تمخض عن هذا التداخل اللغوي، القومي، الديني العجيب أديانٌ ومعتقدات قلّ أن تجد لها مثيلاً في الهند.

ومن بين هؤلاء الأقوام «اليزيديون» أو المشهورون ـ خطأً كما سيأتي ـ بأنهم «عبدة الشيطان». فقد توطنوا في منطقة تعسر زيارتها، وعاشوا في ظلام دامس. فلم يذكرهم الرحالة والمؤرخون إلا عَرَضاً، ولهذا لم يظهروا على صفحة التاريخ كما ظهرت الأقوام الأخرى، مع أن دورهم كبير في هذا المثلث الفسيح الأضلاع، ومكانتهم ذات أهمية ملموسة في الدلتا البشرية المتوزعة في تلك الأرجاء.

برز مقامهم منذ قرن ونيف؛ فقد استرعى بعضَ الباحثين وجودهم، فانجذبوا نحوهم يدرسونهم عِرقا وديناً وصفات. ومع كثرة الباحثين الغربيين والشرقيين لهم فإنّ النتائج لم تثبت حقيقتهم، ولا انتماءهم، ولا عقيدتهم، ولا عددهم و. . . ويهمنا أن نخلص إلى صفوة القول في خاتمة الكتاب إلى ذلك كله.

ولعل أفضل ما نصل إليه، ونثبته في هذا الكتاب، أن أغلبهم أكراد، ومركزهم سنجار، وأنهم قوم طيبون، صادقون، أمينون، محافظون على الأعراض، مزارعون، قليلو الثقافة. ثم هم مزيج عجيب في عرقهم، ومعتقداتهم، لا يؤذون إلا من يؤذيهم في معتقداتهم. ثم هم فرسان شجعان، ومحاربون أشداء. صادقون في معتقداتهم، محبون لأوطانهم (إذا أدركوا صحة انتمائهم). ثم هم يحبون الاعتصام بالجبال أو الانزواء في القرى النائية. ويميلون إلى السرور. يدلّ على ذلك كثرة أعيادهم من جهة، ورغبتهم في مشاركة غيرهم في أعيادهم من جهة أخرى.

لم يعرف لهم عدو ـ بعد لؤلؤ أمير الموصل ـ سوى العثمانيين ـ وفي عهد السلطان عبد الحميد الثاني بخاصة. ولم يبرز مقامهم إلا منذ قرنين تقريباً. وهم كرهوا المسلمين قديماً كثيراً لأسباب سننوه بها في حينه، وأحبوا المسيحيين كثيراً، والأرمن بخاصة، حتى كادوا ينتمون إلى النصرانية[1]. ولعل السبب يرجع إلى

---

١ ـ الفئة التي عاشت في أرمينية بخاصة.

ضغط العثمانيين عليهم ضغطاً وصل مرحلة الوحشية أحياناً. فلاذوا بأقلية معادية في المنطقة ـ وهم الأرمن ـ للعثمانيين. ولهذا نراهم يلعبون دوراً كبيراً في الحرب العالمية، بمساعدتهم للإنكليز في العراق، وبمؤازرتهم في طرد العثمانيين من العراق والجزيرة، وبسعي الإنكليز بفصلهم عن جسم المنطقة التي نشؤوا فيها.

تلكم صفحة موجزة عن هذه الأقلية التي توزعت في عدد من دول الشرق الأوسط. ولقد رأيت أن ألقي ضوءاً عليها وعلى معتقداتها. فمن هم اليزيديون؟ ومن هو الشيطان الذي يعبدون؟ وما هي معتقداتهم؟ وكيف ظهروا؟. ولا بد لي في الختام من تقديم العذر لأفراد هذه الطائفة إن أخطأت أو إن لم أحسن التعبير، وكم أكون شاكراً لهم إن تفضلوا بإرشادي. كما علي أن أشكر كل من قدم لي بعض العون من أبنائهم المتعلمين، ومن السادة الباحثين، ومن طلابي في جامعة حلب، ولا سيما آزاد علي ورضوان إسماعيل.

حلب في ١٩٨٨/٢/٣

عرض جغرافي وتاريخي

هذه الطائفة التي أزمعنا دراستها تنتمي إلى عالم معروف في منطقة الشرق الأوسط في منطقة كانت زيارتها عسيرة مع أن مدنها وقراها مزدحمة بالسكان. إلا أن تعبيد الطرق وإنشاء سكك الحديد سهلت قليلاً من ارتقاء بعض أطرافها، ونقول «بعض» لأن الطرق إليها ما زالت حتى اليوم غير منظمة ولا موزعة توزعاً حسناً. ولعل ذلك صعب لكثرة الأنهار التي تعبر المنطقة وهي متجهة نحو البحر، ولأن معظم الحدود الطبيعية مطبقة عليها، ومغلقة على أسرارها إطباق اليزيديين على معتقداتهم.

وهم ما زالوا ـ في الريف ـ على بدائيتهم منذ مئات السنين؛ فالرعاة ما زالوا يبحثون عن مواطن الكلأ لرعي أغنامهم وماعزهم. والفلاحون يزرعون محاصيلهم في تلك السهول الخصبة والسفوح الندية بطرقهم البدائية. والجمل والبغل ما زالا يساعدان الإنسان على العيش والتنقل هناك.

ومع أنهم لا يتعاطَون التجارة ولا يحبونها فإن منطقتهم كانت عصب حركة تجارية عالمية حيوية. فقد كانت تلك الأراضي معبراً لطرق التجار والحجاج، ومرتعاً للرحالة والمبشرين. فقد كانت القوافل تعبرها لتربط الشرق بموانىء البحر الأبيض المتوسط أو الخليج العربي وكانت القوافل تتخذ لها ثلاثة مسارات معروفة في التاريخ:

الطريق الأول: ويدعى طريق الصحراء الكبرى. وهو أكثرها شهرة واختصاراً، ويتتبع سلسلة من منابع المياه جنوب نهر الفرات إلى البصرة. لكنه كان دائما محفوفاً بالمخاطر بسبب الحروب القبلية.

الطريق الثاني: ويدعى طريق الصحراء الصغرى. وكان يتبع نهر الفرات حتى منطقة بغداد، شاقاً طريقه في المراحل الأخيرة براً.

الطريق الثالث: وهو الذي يمتد من حلب ـ عاصمة التجارة العالمية عدة

قرون ـ إلى الموصل. ومن هناك ينحدر نحو وادي دجلة. ومن الموصل كان المسافرون يعبرون بالطوافات، تدعمها جلود الماعز المنفوخة، للوصول إلى بغداد بسرعة أكبر. كما أن بعضهم كانوا يعبرون النهر على الجسر العائم، ليتابعوا مسيرتهم على الطريق الملكي ـ The Royal Road عن طريق إربل وكركوك.

وكانت القوافل ينظّمها تجار كبار في أزمنة محددة ـ عدا أشهر الصيف ـ. وكان أصحاب القوافل يرحبون بتجار المواشي في مرافقتهم ليخففوا من أجور المرافقين والأدلاء المسلحين والأموال التي يدفعونها إلى القبائل التي كانوا يمرون في مراعيها، وكانت القوافل تقطع ٤٠٠ ميل بين حلب والموصل بحدود أربعين يوماً.

وتسير القوافل مع ريف حلب قرابة خمسين ميلاً، لتصل إلى منحنى نهر الفرات. فتعبره عند جرابلس أو مسكنة. ثم تتابع مسيرتها على طول سفوح الأناضول إلى أورفة. ومن أورفة تختار أحد طريقين: فقوافل الجمال تتابع طريقها عبر حوض نهر الخابور لتحط في أسفل ماردين. أما قوافل الخيل (وغيرها من ذات السنابك) فكانت تتبع طريقاً تجارياً قديماً شمال شرقي أورفة حتى ديار بكر. وعلى امتداد هذا الطريق يمر نهر دجلة. ثم تتجه نحو بحيرة «وان ـ van» ومن هناك تأخذ طريقها شرقاً إلى بلاد إيران وتركستان. أما النهر فيتابع مسيرته حتى يصل إلى جزيرة ابن عمر.

وإذا كانت السماء صافية فبإمكان المسافر أن يطلّ من ماردين على سلسلة هضاب تمتد عبر الأفق نحو الجنوب. ويلوح جبل سنجار في الأفق، والذي يبلغ طوله ستين ميلاً وارتفاعه ٤٩١٤ قدماً، ويبدو في قلب الصحراء كهضبة منعزلة، وفي الشتاء تتلفع قممه بالثلوج. وجبل سنجار ذو الانحدار ـ من الناحية الشمالية ـ أشبه بجرف عمودي مزقته الوديان الصغيرة. أما غاباته ففيها شجر البلوط، والحمضيات، والتين، والرمان. . . أما في الجانب الجنوبي فتمر الجداول الجبلية عبر السهل مروراً ببلدة سنجار ـ عاصمة المنطقة ـ متابعة طريقها إلى الأراضي المنخفضة نحو نهر ثرثار، وهو الآن غدير يجري قرب مدينة «هترة» ـ المهجورة ـ ليتلاشى في غور قرب بغداد.

وتقع الموصل على بعد ثمانين ميلاً شرقي سنجار على ضفة دجلة. وتقبع

آثار نينوى عبر النهر وسفوح هضاب جبال كردستان. وجبل «الجودي» أعلى هذه القمم، والذي يمكن مشاهدته أحياناً من الموصل، ودائماً من جبل سنجار. وارتفاع الجودي ٦٥٨٤ قدماً على سطح البحر. وتحت الموصل تنطلق ثلاثة روافد غزيرة من جبال زاغروس هي: الزاب الأكبر ويندفع نحو أسفل جبال الهكّاري. والزاب الأصغر ينبع من شرقي راوندوز وجنوبيها. ووادي دَيالة الواسع الذي تمرُّ فيه الطريق التجارية من بغداد إلى همدان وكرمانشاه وأسواق الشرق.

تلكم هي الرباع التي تواجد فيها اليزيديون، وما زالوا.

ومن المعلوم أن هذه المنطقة كانت ميادين لحروب عديدة ومعارك طاحنة بين الفرس والإغريق، والآشوريين والبابليين، والسلوقيين وأعدائهم... كما أن الصراعات الدينية كانت على أشدها في المنطقة؛ فالزردشتية ديانة الفرس القدماء، وهي صاحبة الصراع الكبير من أجل روح الإنسان بين خالقه «أهورا مزدا» (إله الخير) ويدعى هرمز، وبين «أهريمن» (إله الشر) وهو صاحب الروح الشيطانية. وديانة مزدك، ثم ديانة ماني، ثم الديانة المسيحية التي عاشت قرونها الأربعة الأولى بالاضطهاد والصراع الداخلي. فقد وجدوا في تلك الأرض ملاذاً وأمناً، وبعد حين أسَّس العراق الكنيسة النسطورية، مقتبسة آراء البطريرك «نسطوروس» في القرن الخامس الميلادي. ثم إن الإمبراطورية البيزنطية ما كانت تتيح للديانة الزردشتية التغلغل بين أبناء شعبها. كما أن الدولة الكسروية ما كانت تسمح للمسيحية بالانتشار بين السكان الفرس.

واستمر الصراع الديني في المنطقة، وتتابعت الحياة الروحية نشطة لوجود كثير من الرهبان والراهبات الذين وهبوا أنفسهم لتبشير الناس البسطاء. ولهذا عُدُّوا، فيما بعد، قديسين. وامتدت الأديرة هناك بدءاً بدير الزعفران في ظاهر ماردين شرقي جبل عابدين إلى «ماربهنام» و«مار Jonan»... وقد كانت الأديرة التي تعتمد على المحاصيل الزراعية غنية. أما التي كانت تعتمد على تبرعات الحجاج فكانت دونها في المقام الاقتصادي. والأديرة الفقيرة كان رهبانها يعمدون إلى صنع أقراص من الطين، ممزوجة بغبار قبور القديسين[1]، ويتجولون بها في القرى المجاورة، فيهبون هذه الأقراص المقدسة مقابل تبرعات تعينهم على إدارة

---

١ - لعل اليزيدية اقتبسوا هذه الطريقة، بصنعهم أقراصاً من تربة الشيخ عدي، كما سيأتي.



«خربة قنا فار (قديماً بيت فار) من لبنان. مكان ولادة الشيخ عدي».

أديرتهم. على حين أن بعض النساك كانوا يقضون حياتهم في التأمل والعبادة في مناطق نائية معزولة، كما في جبل سمعان قرب حلب، ووادي «لاليش» في شمال العراق.

وأسس «يعقوب البرادعي» كنيسة سرية في بلاد الأناضول والعراق وسورية ومصر. وأتباعه «اليعاقبة» هم الذين أدانهم الأباطرة والنسطوريون. وكان أحدهم يدعى «جبرائيل السنجاري» طرده النسطوريون لزواجه من امرأة ثانية! فغدا طبيب زوجة الشاه الخاص.

وظهر الإسلام في القرن السابع، وما زالت تلك المنطقة ترزح تحت عبء الصراعات السياسية والدينية، وميداناً لأعنف أنواع الحروب. وفي هذا الوقت خفت حدة الديانة الزردشتية، ونشط النصارى واليهود والصابئة، ونعموا بحرية دينية واسعة، وأعفوا من الانخراط في الجيش بعد أن دفعوا بدلاً نقدياً.

كما أسس القديس هرمز النسطوري ديراً جديداً على جبل الكوش، ويبعد مسافة ثلاثين ميلاً عن الموصل شمالاً، لكن الجيوش الإسلامية عبرت تلك البقاع وتخطتها حتى ملاطية شمالاً، واقتحمت جيوش الأمويين في عهد يزيد بن معاوية هضاب الأناضول. واستمرت مواطىء أقدام الأمويين هناك ثابتة حتى حكمها مروان الثاني أميراً ثم خليفة. وكانت أمه كردية، فورث عنها عينين زرقاوين وشعراً أحمر. وبعده جاء دور العباسيين ليهيمنوا على المنطقة، ويبنوا بغداد. فنشطت التجارة في عهدهم وازدهرت. ومنحوا أصحاب الديانات والمذاهب والطرق الصوفية والدينية حرية لم يلقوها في أي زمان قبلهم، واعتنى العباسيون بالعلوم؛ فألف العلماء وترجموا. وكان جبل سنجار وصحراؤه ميدان كثير من الباحثين الفلكيين والرياضيين والجغرافيين. ولكن سرعان ما تفشى الضعف بين الخلفاء العباسيين، فاستقلت مناطق عديدة، وبرزت فيها حكومات جديدة. وعاد الصراع في كل مكان، ولا سيما في تلك المنطقة الوعرة.

الفصل الأول

الشيخ عدي بن مسافر

نشأته

أجمع المؤرخون وأصحاب السير على أن الشيخ عدي بن مسافر الذي ينتسب اليزيديون إليه رجل صالح زاهد تقي. وهم جميعاً يؤيدون صحة نسبه إلى بني أمية.

فاسمه الكامل: الشيخ شرف الدين أبو الفضائل عديُّ بن مسافر بن إسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان، شيخ الطريقة الصوفية المعروفة بالعدوية. ولد سنة ٤٦٧ هـ ١٠٧٤م في قرية «بيت فار»[1] إلى الجنوب من بعلبك بمسافة ٣٧ ميلاً. وكان أبوه مسافر بن إسماعيل مسلماً حسن الإسلام، وهو أول من لقن ابنه عدياً شعائر الإسلام. واسم أمه «يزدة». وكانت المنطقة ـ بعلبك ـ التي ولد فيها ونشأ تابعة للخلفاء الفاطميين بمصر قبل أن تدخل في ظل الأيوبيين.

ثم انتقل إلى بغداد يطلب العلم، فأخذه على خيرة أساتذة المنطق والشريعة. وكان من زملائه في بغداد عبد القادر الكيلاني الذي أسس الطريقة الكيلانية (الجيلانية) الصوفية. وقد وصفه حاكم إربل صفي الدين حين رآه فقال: «هو ربعة القامة، أسمر، ذو مزاج حاد، وعينين سوداوين ناعمتين».

عرف الشيخ عدي منذ أيام شبابه برياضته وزهده. ولما تاقت نفسه إلى الانزواء والانعزال قصد «لاليش ـ Lalish»[2] حيث كان بعض النصارى يعتزلون

---

١ ـ أسماها بعضهم وهماً بالقاف «بيت قار». وتدعى اليوم «خربة قنا فار»، ويذكر إسماعيل بيك جول (ص٩٣) أن أصله من أطراف حلب وبعلبك، وهذا وهم أيضاً، ويرى بعضهم أن أصله من حران. وجاء في «بهجة الأسرار ومعدن الأنوار» أن أصله من حوران. وما ذكرنا فوق صواب مثبت.

٢ ـ هكارية أو حكارية: قطعة من أراضي كردستان الحالية المتصلة بإيران. كانت قديماً تابعة لأمراء الموصل، ثم تبعت الدولة العثمانية. وفيما بعد صارت تابعة لولاية «وان»، ويحدها شرقاً إيران «وشمالاً وان، وغرباً وجنوباً الموصل» ويقول ياقوت: «الهكارية: بلدة وناحية وقرى فوق الموصل في بلدة جزيرة ابن عمر يسكنها أكراد يقال لهم الهكارية».

منذ القرن الميلادي الأول، على جبل «هكاري»[1] والذي سبق إليه سنة ٤٨٦ صوفي مشهور هو الزاهد أبو الحسن علي، والذي كان من أصل أموي أيضاً ومات فيه.

وطول قرية لاليش ميلان فقط متوزعة بين التلال. وقد مر بها عدد من السواح الغربيين. ووصفوا لنا الينابيع التي تسقي المنطقة، والخصب الذي يعمها، ولا سيما حيث مزار الشيخ عدي الآن؛ ففي الربيع تكثر الأزهار والأطيار والنحل، وفي الشتاء تهطل الثلوج ويبرد الطقس.

وأقام الشيخ عدي هناك - في بادىء أمره - في غار، يحيا على الفواكه التي تنمو في المنطقة، وينسج ثيابه من القطن الذي يزرعه في مزرعته. وقصده الناس وتجمعوا له، واشتهر بينهم بالشيخ عدي (أوعادي) الهكاري. واعترف كثير من الشيوخ والعلماء بفضله، وغدا أمر زهده حديث الخاصة والعامة. وظل يعظ الناس حتى توفي سنة ٥٥٧ هـ (أو٥٥٥ أو ٥٥٨) بعد أن عمر تسعين سنة أو دُوَيْنَها. ودفن في زاويته بالهكارية.

قصة ولادته

يروي الحنبلي في كتابه «قلائد الجواهر» قصة طريفة عن ولادة هذا الشيخ، نرى أن نذكرها زيادة في توضيح أهميته. فيحكى أن والده مسافر بن إسماعيل دخل غابة، وظل فيها ما يقرب من أربعين سنة. ورأى في منامه يوماً شخصاً يخاطبه ويقول له: «يا مسافر، انطلق من الغابة واقصد زوجتك وضاجعها حتى يخرج من صلبك ولي يملأ اسمه الشرق والغرب».

فاستيقظ مسافر مذعوراً من نومه، وخرج من منزواه في الغابة قاصداً أهله. وحين أراد مضاجعة زوجته تمنعت عنه وقالت له: «عليك أن تذهب إلى المسجد وتقف فيه وتقول بأعلى صوتك: إني مسافر بن إسماعيل، عدت اليوم من الغابة التي أنزوي فيها. ولقد أمرت أن أمتطي جوادي. وكل من يركب جواده الليلة يخرج من صلبه ولي!» ويروى أنه ولد عقب ذلك ثلاثة عشر وثلاث مئة ولي.

---

١ - لاليش قرية تبعد ٣٦ ميلاً شمال شرق الموصل، وترتفع ٢٠٠٠ قدم. ويرسمها ياقوت «ليلش» ويقول: ليلش قرية في اللحف من أعمال شرقي الموصل، منها الشيخ عدي بن مسافر الشافعي شيخ الأكراد وإمامهم وولده.

من ترجموا للشيخ عدي

اعتنى المؤرخون كثيراً بمقام الشيخ عدي، سواء أكان ذلك لزهده واعتزاله، أم لأنه شيخ الطريقة العدوية التي غدت فيما بعد نواة للديانة اليزيدية. ونرى ضرورة كبيرة في استعراض كلام المؤرخين لمعرفة مقام هذا الشيخ الجليل من أقلام المؤرخين والعلماء. ولعل خير ما أقدمه في هذا المجال قول الشيخ عبد القادر الكيلاني في مجاهدته: «لو كانت النبوة تُنالُ بالمجاهدة لنالها عدي بن مسافر»[1]

١ ـ ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ)[2]: يذكر وفاة الشيخ عدي فيقول: «وفيها ـ ٥٥٧ ـ توفي الشيخ عدي بن مسافر الزاهد المقيم ببلد الهكّارية من أعمال الموصل، وهو من الشام، من بلد بعلبك، فانتقل إلى الموصل وتبعه أهل السواد والجبال بتلك النواحي وأطاعوه، وحسَّنوا الظن فيه، وهو مشهور جداً».

٢ ـ ابن خَلِّكان (ت ٦٨١)[3]: «الشيخ عدي بن مسافر بن إسماعيل بن موس بن مروان بن الحسن بن مروان، كذا أملى نسبه بعض ذوي قرابته، الهكاري مسكناً، العبد الصالح المشهور الذي تنسب إليه الطائفة العدوية. سار ذكره في الآفاق، وتَبِعَهُ خلق كثير. وجاوز حسن اعتقادهم فيه الحد حتى جعلوه قبلتهم التي يصلون فيها، وذخيرتهم في الآخرة التي يُعَوِّلون عليها. وكان قد صحب جماعة كثيرة من أعيان المشايخ والصلحاء والمشاهير مثل عقيل المنبجي وحماد الدباس وأبي النجيب عبد القاهر السهرَوَردي وعبد القادر الجيلي، وأبي الوفاء الحلواني، ثم انقطع إلى جبل الهكارية من أعمال الموصل وبنى له هناك زاوية. ومال إليه أهل تلك النواحي كلها ميلاً لم يسمع لأرباب الزوايا مثله. وكان مولده في قرية يقال لها «بيت فار»[4] من أعمال بعلبك. والبيت الذي ولد فيه يزار الآن».

وتوفي سنة سبع، وقيل: خمس، وخمسين وخمس مئة في بلدة بالهكارية، ودفن بزاويته، رحمه الله تعالى. وقبره عندهم من المزارات المعدودة والمشاهد

---

١ ـ تتمة المختصر: ٢/١٠٠

٢ ـ في كتابه الكامل: ١١/٢٨٩

٣ ـ في كتابه وفيات الأعيان: ٢/٤١٧

٤ ـ ورد في وفيات الأعيان «قار» بالقاف، وهو سهو لعله من الطابع.

المقصودة. وحَفَدَتُهُ إلى الآن بموضعه يقيمون شعاره ويقتفون آثاره. والناس معهم على ما كانوا عليه زمن الشيخ من جميل الاعتقاد وتعظيم الحرمة.

وذكره أبو البركات بن المستوفي في تاريخ إربل، وعده من جملة الواردين على إربل. وكان مظفر الدين صاحب إربل يقول: «رأيت الشيخ عدي بن مسافرٍ وأنا صغير بالموصل وهو شيخ ربعة، أسمر اللون... وكان يحكى عنه صلاحا كثيراً. وعاش الشيخ عدي تسعين سنة، رحمه الله تعالى».

٣ ـ عمر بن الوردي (ت ٧٣٢)[١]: «وفيها ـ سنة ٥٥٧ ـ في المحرم توفي الشيخ عدي بن مسافر الزاهد ببلدة الهكارية.. وعن الشيخ أبي محمد عبدالله البطايحي أنه قال: كان الشيخ عدي إذا سجد سمع لِمُخِهِ في رأسه صوت كصوت وقع الحصاة في القرعة اليابسة من شدة المجاهدة. وأقام في أول أمره في المفازات والجبال والصحارى مجرداً وسائحاً يأخذ نفسه بأنواع المجاهدات. وكانت الجبال تألفه والهوام والسباع تألفه كذلك فيها. وهو أحد من تصدر لتربية المريدين الصادقين ببلاد المشرق. وانتهى إليه تسليكهم وكشف مشكلات أحوالهم».

٤ ـ الحافظ شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٦)[٢]: ذكره في حوادث سنة ٥٥٧ بسطرين منها: «شيخ العارفين عدي بن مسافر الهكاري الزاهد، وعمره بحدود تسعين سنة».

٥ ـ أبو محمد اليافعي (ت ٧٦٨)[٣]: «توفي في هذه السنة الشيخ الكبير، الولي المشهور ذو الفتح الظاهر والحال الباهر والمعارف والأسرار، والكرامات والأنوار، والمقامات والمواهب السنية، والأنفاس الصادقة، والآيات الخارقة، عدي بن مسافر الشامي الهكاري الزاهد. صاحب الشيخ عقيل المنبجي والشيخ حماد الدباس، وإليه تنسب الطائفة العدوية، اشتهر اسمه في المدن، وتعلق به خلق كثير، وقد قصدوه إلى جبل الهكارية لكنه كان يبتعد عنهم. صنع لنفسه هناك زاوية، وقبره فيها وهي من المطافات المعروفة. وقد انتفع به الناس.

---

١ ـ في كتابه تتمة المختصر، حوادث سنة ٥٥٧
٢ ـ في كتابه دول الإسلام: ٥١
٣ ـ في كتابه مرآة الجنان وعبر اليقظان: ٣١٣/٣

٥ ـ المقريزي المؤرخ (ت ٨٤٥) في كتابه[١] يتحدث عن الزاوية العدوية، فيقول: «زاوية معروفة في قرافة مصر منسوبة إلى الشيخ عدي بن مسافر... القرشي الأموي. صاحب عدداً من المشايخ مثل عقيل المنبجي وحماد الدباس وعبد القادر الجيلي. ثم قصد جبل الهكارية في منطقة الموصل، واتخذ لنفسه زاوية تعلق بها الناس تعلقاً لا نظير له. وحين توفي دفن في زاويته فقدم ابن أخيه إلى مصر واسمه شمس الدين...».

٦ ـ ابن العماد (ت ١٠٨٩)[٢]: أثنى عليه، وذكر أنه إذا ذكر على الأسد وقف أو على البحر سكن. وإلى ذلك أشار الشيخ الصدِّيق بن محمد المقري المعروف والده بالمدوِّخ في «وسيلته الجامعة» فقال:

بجاهِ عديّ ذلك ابنِ مسافرٍ ... به تسكنُ الأمواجُ في لجج البحرِ
وإن قلتَهُ للَّيثِ لم يخطُ خطوةً ... ولا الشبرَ من قاعٍ ولا القاعَ من شبرِ[٣]

٧ ـ عبد الوهاب الشعراني (ت ٩٧٣)[٤]: أثنى عليه في كتابين ثناء كبيراً، وذكر أنه في أول أمره أقام زماناً في المغارات والجبال والصحارى مجرداً سائحاً، يأخذ نفسه بأنواع المجاهدات، وقال: «هو أول من قُصد بالزيارات وتربية المريدين الصادقين ببلاد الشرق».

---

١ ـ الخطط المقريزية: ٤/٣٠٥

٢ ـ في كتابيه «لواقح الأنوار في طبقات السادة الأخيار» وفي «طبقاته الوسطى».

٣ ـ في كتابه الطبقات الكبرى: ١/١١٩

٤ ـ ومن الذين ترجموا له كذلك ابن الفرات في تاريخه، وأبو الفداء في مختصره، وغيرهما.

كراماته وخارقاته

نسبت إليه خارقات وكرامات كثيرة، لا تعدو أن تكون نوعاً من المغالاة. وهي على أي حال أقل بكثير مما نَسبت إليه الطائفة اليزيدية. وندون فيما يلي بعضها زيادة في تعريف مقامه، لتكون مرتبة في الوصول إلى آراء اليزيدية فيه. ومسألة الكرامات تعزى دائماً إلى المتصوِّفة والزهاد، وأرجح أنها لو عرضت عليهم لما قبلوا بها. ولكنها تدل على مدى اعتقاد الناس بهؤلاء المشايخ.

● يذكر ابن الوردي قول خادم الشيخ عدي فيقول: «خدمته سبع سنين، وشهدت له خارقات إحداها أني صببت على يديه يوماً ماء فقال لي: ما تريد؟ فقلت: أريد تلاوة القرآن، فإني لا أحفظ منه سوى الفاتحة وسورة الإخلاص، وحفظه علي عسير جداً. فضرب بيده في صدري، فحفظت القرآن كله في وقتي.

● وقلت له يوماً: يا سيدي أرِ لي شيئاً من المغيبات. فأعطاني منديله وقال: ضعه على وجهك، فوضعته، ثم قال لي: ارفعه، فرفعته فرأيت الملائكة الكاتبين، ورأيت ما يسطرونه من أعمال الخلائق. فأقمت على هذه الحال ثلاثة أيام. فتكدر عليَّ عيشي، فاستغثت إليه. فوضع ذلك المنديل على وجهي، ثم رفعته فاستتر عني ذلك الأمر كله.

● ووصف لي يوماً الشيخ عقيلاً المنبجي، وهو شيخ عدي، فأطنب في ذكره فقلت: يا سيدي، هل لك أن ترينيه؟ فأعطاني مرآة وأمرني أن أنظر فيها، فنظرت شخصي، ثم توارى عني شخصي، وظهر لي شخص أراه، ولا يخفى عني من وجهه شيء، فقال لي الشيخ عدي: تأدب فإنه الشيخ عقيل. ودمت ساعة طويلة أراه كذلك، ثم توارى عني، وظهر لي شخصي.

● روي أنه كان يستطيع قراءة القرآن مرتين في الليلة الواحدة.

● ويروي الحنبلي في قلائده أن اليزيديين ينسبون إلى الشيخ عدي بن مسافر بعض الكرامات. من ذلك ما رواه أبو البركات صخر بن مسافر قال: قدم على عمي الشيخ عدي يوماً ثلاثون فقيراً فقال له عشرة منهم: حدثنا يا مولانا عن طرف من الحقيقة. ولم يكد الشيخ يشرع في حديثه حتى تحول هؤلاء العشرة إلى ماء. وقال له عشرة آخرون من البقية: حدثنا يا مولانا عن حقيقة المحبة. وما إن شرع الشيخ بالحديث حتى سقطوا جميعا هامدين. أما العشرة الأخيرة من الفقراء

فقد طلبوا منه أن يشرح لهم شيئاً عن حقيقة الفقر. وكانت نهايتهم أن سقطت ثيابهم عنهم وخرجوا من عنده عراة.

● كما نقل الحنبلي عن الحافظ الذهبي أن الشيخ عدي كان يمتلك مزرعة صغيرة على سفح الجبل. وكان يزرعها ويحرثها بنفسه، ويقيم أَوَدَهُ من قمحها. كما كان يزرع قطناً يغزل منه ما يكتسي به. ولم يكن يقبل مالاً من أحد. حتى إنه كان يصوم، ويصل أيام الصوم بعضها ببعض، وقد ظن بعضهم أن شيخهم لا يأكل أبداً، وحين بلغه اعتقاد القوم هذا أكل بحضور عدد منهم.

● يروى أن والدته حين حملت به سلم عليه الأولياء جميعاً (وهو في بطنها). وحين خرج من بطن أمه رد عليهم السلام، وصادقهم منذ طفولته.

● تروي المعتقدات اليزيدية[1] معجزة مولده عن والدين عجوزين، ورحيله عن الوطن بحثاً عن مصيره، وكان عمره خمس عشرة سنة، وبعد خمس سنوات، وبينما كان يمتطي جواده تحت ضوء القمر نزلت عليه النبوة أمام قبر قديم، حيث برز أمامه شبح من باطن الأرض بحجم جملين طول أطرافه ثماني أقدام، ورأساه كرأس جاموس الماء، ووبره خشن وطويل، وله عينان كبيرتان مدورتان كعيني الثور، وهما تلمعان بلون أخضر، وجلده أسود قاتم. ومع ذلك فإن هذا الشبح يشبه الإنسان.

وفي هذه الأثناء تضخم القبر حتى لامس السحاب، آخذاً شكل المنارة التي شرعت بالاهتزاز. وبينما كان عدي يرتعش من هول ما يرى اصطدم بإبريق ماء كان قريباً منه. فانقلب الشبح إلى فتى وسيم ذي ذيل كذيل الطاووس. فقال له الفتى: «لا تخف، فقط تسقط هذه المنارة وتدمر العالم كله، لكنك والذين يصغون إليك لن يصيبهم أي أذى، وستحكمون الأطلال. أنا الملك طاووس، قد اخترتك لتعلن عن ديانة الحق في العالم».

ثم أخذ الملك طاووس روح عدي إلى السماء وأبقاها فيها سبع سنوات. فأفضى الله له بالحقيقة كاملة بينما كان جثمان عدي ممدداً في القبر. عندما آبت روحه من السماء لتدخل جسده ثانية، لم يكن الماء الذي انسكب من الإبريق قد جفَّ.

---

1 – The yazidis , P31

وتذكر المعتقدات كيف استقر النبيُّ عدي في لاليش، مزوَّدا بالمعجزات، وكيف قام بهداية أكراد الهكاري المتمردين. وآمنوا به في النهاية واجتمعوا حوله، فوضع لهم عدي طقوس عبادتهم، وحدد فئات المؤمنين، والشمائل التي يتحلون بها.

وكان من توصياته الابتعاد عن الكتب المسطورة، فأدت هذه الوصية إلى انتشار الأمية في المجتمع اليزيدي. ولهذا فهم يتوارثون عاداتهم ومعتقداتهم شفاهاً ورواية، مما ساعد على سرية معتقداتهم، وتضليل من يشاء معرفة ديانتهم. وعمل هذا كذلك على تبديل بعض المعتقدات وتطويرها. ولكن بقي لهم بعض الكتابات المنسوبة إلى الشيخ عدي، والمشهور منها «ترتيل الوحي» والذي نشر أولَ مرة عام ١٨٥٣[١].

---

١ ـ لم نعثر عليها مع الأسف غير أنها موجودة باللغة الإنكليزية في الكتاب السابق الذكر، في: Appendixi,

خلفاء الشيخ عدي وأصحابه

اضطرب القوم بعد وفاة الشيخ عدي رحمه الله . وبحثوا بينهم عمن يخلفه على رئاسة الناس وتبني أمر وعظهم . ومع أن بعض قرابته ـ كما سيأتي جلسوا مجلسه إلا أن الطريقة سرعان ما اعتراها الانحراف والفساد، فتسربت إليها آثار وعقائد قديمة كانت كامنة في النفوس، ومحفوظة في العقل الباطن . بعثها من مرقدها ذلك التحول الجديد بعد أن كادت تدفن مع الأجداد . وأصحابه وخلفاؤه نصف مؤلهين ، يرتبط اسمهم بالأساطير اليزيدية مع الملائكة والملك طاووس في خلق العالم .

وهكذا بدأ اليزيدية المنسوبون إلى الشيخ عدي بن مسافر الأموي شيئاً فشيئاً ينبشون تراثهم ، ويعودون إلى أصلهم المجوسي (الزردشتي) الذي كانوا عليه . فهم بعد أن أظهروا إسلامهم تحولوا إلى الاعتقاد بإمامة يزيد ، ومن ثم بألوهيته ، وأشركوا معه عدداً من الآلهة ، وشرعوا بعبادته وعبادة سائر آلهتهم ، غير ناسين الشيخ عدي ، الذي جعلوا مقامه في أعلى عليين .

يعتبر اليزيديون أن أخاه صخر بن مسافر أول خليفة عليهم بعد الشيخ عدي الكبير، ويبدو أنه أقيم عليهم وهو في بلدته بيت فار بالبقاع ، ولعله لم يفد على «لاليش» . غير أن اللخمي صرح في «بهجة الأسرار» ، في أثناء حديثه عن مناقب السيد عبدالقادر الجيلي (الكيلاني) أن أول خلف للشيخ عدي تسلم الإشراف على الطائفة العدوية هو ابن أخيه أبو البركات صخر بن مسافر . وينقل عن الشيخ عدي أنه قال : «أبو البركات خليفتي» . وكان الشيخ عدي يثني عليه ويقدمه في حياته ويقول فيه «أبو البركات ممن دُعي في الأزل ، وكان من السابقين إلى الحضرة» .

وذكر السخاوي قال : « . . وقد نزل الشيخ أبو البركات بن صخر أبو هذه الذرية عند عمه عدي بن مسافر بالمكان المعروف بلاليش في جبل الهكارية» . نزل إليه من بيت فار، وصحبه وخلفه بعد وفاته بزاويته . وظل فيها إلى أن مات مُسِناً ، ودفن عند عمه ، وقبره ظاهر يزار . وتخرج عليه ولده عدي بن أبي البركات ، وكان مثله في المناقب والفضائل .

وخلف أبا البركات ابنه عدي ، وكان رجلاً صالحاً كأبيه ، فاستطاع أن يُحسن خلافة أبيه ، ويعظ الناس في جبل الهكارية وأطرافه . وكان رجلاً ظريفاً حيياً متديناً . أحب الصالحين واحترم العلماء . وكان ذا عقل راجح ، محبوباً ، متواضعاً .

وبعد عدي جاء الشيخ حسن بن أبي البركات الملقب بتاج العارفين. لكن الطائفة العدوية ضلت وانحرفت في عهده، فدبَّ الفساد والزيغ فيهم، ولقد خاف بدر الدين لؤلؤ الأرمني صاحبُ الموصل من الشيخ حسن، فأسره لؤلؤ وحبسه، ثم خنقه بشريط من الفضة، لأن بدر الدين كان يخاف أن يُغير عليه الأكراد. وهو صاحب مصحف «رَش» ومؤلفه[1]، وثاني الآلهة السبعة عندهم ويسمى «دَرْدائيل». وورد أنه نعت البصري. فتوهموا أنه الحسن بالبصري، وله قبة في القباب التي حول قبر الشيخ عدي.

ترجم له ابنُ شاكر فقال: «الحسن بن عدي بن أبي البركات بن صخر بن مسافر، الملقب بتاج العارفين، شمس الدين أبو محمد شيخ الأكراد»، ويقول السخاوي في تحفة الأحباب: «تخلف بعده أخوه صخر، وتفرق أولاده في البلاد، وأقبل إليهم العباد، فنزل منهم بالموصل الشيخ شمس الدين الحسن بن أبي المفاخر عدي..».

ويقول ابن شاكر عنه كذلك: «وكان شمس الدين من رجال العالم رأياً ودهاء، وله فضل وأدب وشعر وتصانيف في التصوف، وله أتباع ومريدون يبالغون فيه».

ويقول الذهبي: «وبينه وبين الشيخ عدي من الفرق كما بين القدم والفَرْق. وقد بلغ من تعظيم العدوية له أنه قدم عليه واعظ، فوعظه حتى رقَّ قلبه وبكى وغُشي عليه، فوثب الأكرادُ على الواعظ فذبحوه. ثم أفاق الشيخ حسن فرآه يخبط في دمه، فقال: ما هذا؟ فقالوا: وإلا إيش هذا الكلب حتى يبكي سيدنا الشيخ؟ فسكت حفظاً لدسته وحرمته. وفي الأكراد طوائف يعتقدون أن الشيخ لا بد أن يرجع. وقد تجمعت عندهم زكوات ونذور وينتظرون خروجه، وما يعتقدون أنه قتل. وكان قتله سنة ٦٤٨هـ، وله من العمر ثلاث وخمسون سنة.

ومن تصانيفه «محكُّ الإيمان» و«الجلوة لأرباب الخلوة» اختلى ستَّ سنوات ـ كما يقول ابن طولون ـ حتى أتَمَّ تصنيفه. وله ديوان شعر فيه شيء من الاتِّحاد، من ذلك[1]:

---

١ ـ فوات الوفيات: ١/٣٣٥ ـ ٣٣٦

وقـد عصيتُ اللّواحي في محبَّتهـا ... وقلتُ، كفُّوا فهتْكُ السِّرِ أليقُ بي
في عشقِ غـانيةٍ في طـرفهـا حَـوَرٌ ... في ثغرِها شَنَبٌ، وجدي مِن الشنبِ
فنيتُ عني بها يا صـاح إذ برزت ... وغبت إذ حضـرت حقـاً ولم تغب
وصـرت فرداً بـلا ثـان أقـوم بـه ... وأصبـح الكلُّ والأكـوان تفخر بي
وكـل معانـاتي معناهـا، وصـورتهـا ... كصـورتي، وهي تدعى ابنتي وأبي

وله دو بيت:

الحكمـة أن تشـرب من الحـانـات ... خمـراً قُـرنـتْ بسـائـرِ الـلذّاتِ
مـن كفّ مُـهفـهـفٍ متى تُـليـتْ ... آيـاتُ صفـاتـه بَـدَتْ من ذاتي

ولـه:

سطا وَلَهُ في مذهب الحبِّ أن يسطو ... مليحٌ لـه في كـلِّ جـارحـةٍ قِسطُ
ومن فوق صحن الخدِّ للنقط غايةٌ ... تدلُّ على ما يفعل الشكلُ والنَّقطُ

والقبيلة التي يرجع أصلها اليوم إلى الشيخ حسن تعنى بتنظيم المجتمع اليزيدي، والحفاظ على نقاء ديانته، وتدريب القوالين. وبعض هذه الأسر يحيا في قرية «بحزاني»[1].

ومن خلفاء الشيخ عدي، **شرف الدين**. ولم يذكره اليزيديون في كتابَيْهم، كما لم يترجم له أحد، إلا ما رواه ابنُ العبري في تاريخه «تاريخ مختصر الدول»؛ فقد ذكره باسم شرف الدين محمد بن الشيخ عدي، في حوادث سنة ٦٥٥ إذ قال: «.. فأما ابن الشيخ عدي فرحل إلى خَرْتَبِرْتَ[2] ليتصل بالسلطان عزِّ الدين[3]». ويرجح أحمد تيمور أن يكون شرف الدين هذا ابن الشيخ حسن المتقدم ذكره، لأن الشيخ عدي لم يعقب، ولعله ولي زعامة الطائفة بعد مقتل أبيه بالموصل. ويرى «غست ـ Guest» أنه استشهد وهو يحارب المغول إلى جانب الأتراك، ثم اشتهر بأنه قديس بعد موته ويعتقد به أهل سنجار كثيراً[4].

ومن أبناء هذه الأسرة زين الدين؛ فقد ذكره السخاوي في «تحفة الأحباب» في

---

١ ـ تقع القرية جانب بعشيقا في شمال العراق بمسافة عشر دقائق. فيها مزارات، ومنازل لرؤساء وشيوخ.

٢ ـ خرتبرت: اسم أرمني، وهو الحصن المعروف بحصن زياد في أقصى ديار بكر، وتدعى اليوم خربوت.

٣ ـ السلطان عز الدين كيكاوس من ملوك الدولة السلجوقية ببلاد الروم، ومقرهم قونية.

٤ ـ لشرف الدين مزار صغير عند قمة جبل «شليمران»، كما له مزار أكبر في أسفل الجبل، وقد بني المزاران من بعض التبرعات التي جمعت باسمه.

أثناء كلامه على تربته بالقرَّافة الصغرى[1] فقال: «الشيخ الصالح العارف المحقق الرباني شيخ مشايخ الإسلام زين الدين أبو المحاسن يوسف بن شرف الدين محمد ابن حسن بن عدي ابن أبي البركات بن صخر بن مسافر بن إسماعيل بن موسى بن الحسن بن مروان بن الحكم ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس» . ثم ذكر أنه توفي سنة ٦٩٧هـ، وأنه قدم إلى الشام فأكرم وأنعم عليه بالإمْرة. ثم نكرها وانقطع على هيئة الملوك من اقتناء الخيول المسوَّمة والجواري والخدم والملابس وعمل الأسمطة الفاخرة، ثم خاف على نفسه، فترك ولده عز الدين هناك، ودخل إلى القاهرة وأقام بها وأكرم بها .

وذكر ابن حجر في «الدرر الكامنة» عز الدين فقال: «الأمير عز الدين الكردي ابن بنت الشيخ عدي[2] قدم الشام فولي بها الإمرةَ، وكان قومه يأتونه من كلِّ فجٍّ ويتقربون إليه بالأموال، ثم شاع أنهم يريدون الخروج على السلطان فأمسك الناصر من كان منهم بالقرَّافة. واتفق تنكز بدمشقَ على سجن عز الدين في القلعة ليبتعد عنه أتباعه .

ويرى تيمور أن هذه الطائفة ـ نتيجة لدراسة أخبار زعمائها ـ أخذتْ تتحول من طائفة صوفية في بعض العصور، إلى عصابة ثورية نزَّاعة إلى الملك. ولولا ما صودمت به من الملوك والأمراء لكان لها شأن غير الذي كان .

ومن أصحاب الشيخ عدي الأوائل المحترمين لدى أفراد الطائفة الشيخ شمس الدين، وقبره قرب مرقد الشيخ عدي، وسلالته واحدة من ثلاث قبائل من الشيوخ اليزيدية، والشيخ أبو بكر منسوب إلى أبيه مسافر، وهو بالتالي أموي مثل يزيد، وقبره موجود في لاليش .

ومما يجب أن يقال هنا إن أجداد اليزيديين كانوا على دين مخالف لديانة التوحيد؛ معتقدات توارثوها عن الأجيال، أبرزها الزردشتية، ثم أسلموا في عهد الشيخ عدي بن مسافر، وإنَّ قبيلة «ترهايا» هاجرت منذ مطلع الإسلام، واستقر أبناؤها في أطراف الموصل، وعاشوا بين الأكراد اليزيدية، ولقد دخلوا في الإسلام،

---

١ ـ الزاوية التي دفن بها الشيخ زين الدين كانت تدعى زاوية الشيخ عدي بن مسافر، والزاوية العدوية، ثم عرفت بالزاوية القادرية. وتعرف الآن بين العامة بجامع سيدي علي.

٢ ـ من أبناء عدي، وليست ابنته.

في زمان شرف الدين أبي المفاخر عدي، من غير أن ينسوا معتقداتهم السابقة، ولا سيما ما يخص الحلول والتناسخ. وفيها مالوا إلى الوثنية القديمة، أي إله الخير وإله الشر. ثم اعترتهم بعض البدع البعيدة عن الإسلام والمسيحية واليهودية، وكونوا لأنفسهم ديناً ممزوجاً بالأديان السابقة جميعاً أظهرها الزردشتية، ولكنهم ظلوا ينظرون إلى الشيخ عدي بن مسافر نظرة تقديس، وأولوه الاحترام والإجلال، واعتبروه إنساناً فوق العادة، مما يسمو عن أن يكون مخلوقاً، وهكذا شاع دينهم الجديد الذي نتولى التعريف به.

آراء اليزيدية في الشيخ عدي:

يذكر إسماعيل بيك[1] - وهو من زعماء هذه الطائفة قبل نصف قرن - أن الشيخ عدي في يوم القيامة يحمل جميع اليزيديين على طبق وضعه على رأسه، ويدخل به الجنة، وتغفر لهم الذنوب القليلة من غير حساب ولا كتاب ولا دينونة ولا عذاب. ويرى Johns Guest[2] أنه كان مبجلاً كالنبي. بل إنهم يعتبرونه فوق مقام النبي؛ فيرى بعضهم أنه من اللاهوت، ويرى آخرون أنه وزير الله، وأمور الأرض والسماء تتحرك بتدبيره، أو أن حكم السماء بيد الله وحكم الأرض بيد الشيخ عدي، أو أنه شريك معزز عند الله لا ترفض له رغبة، بل إنه الروح المقدسة والمنزهة للأنفس، وهو يحل على الأنبياء ويوحي إليهم الحقائق الدينية، ويخبرهم بالغيب، والأنبياء عندهم لا انقطاع لهم.

ونستطيع أن نستخلص ثلاث فرق حول الشيخ عدي، وكلها خرجت عن كونه زاهداً متصوفاً:

فالطائفة الأولى: فرقة مغالية، تعتبر الشيخ عديا الله نفسه.

والطائفة الثانية: تقول إنه شريك الله تعالى في الألوهية؛ فحكم السماء بيد الله وحكم الأرض بيد الشيخ عدي.

والطائفة الثالثة: ترى أنه ليس الله ولا شريكاً له لكنه عند الله بمنزلة الوزير الأكبر، لا يصدر من الله أمر إلا برأيه ومشورته.

---

١ - اليزيدية قديماً وحديثاً: ٩٥

2 – The Yezidis, 15.

مقبرة الشيخ عدي

مرَّ بنا أن قرية الشيخ عدي هي في «لاليش» وأنه كان في بادىء أمره يسكن أحد الكهوف، ثم قالوا: وبنى لنفسه زاوية دفن فيها، لكن الآراء تباينت في أصل هذا البناء، وفي كثير منها مغالاة واضحة، سنسعى إلى عرضها ثم نخلص بنتيجة .

زار سيد جعفر غضبان مرقد الشيخ عدي مع وفد في منتصف عام ١٩٢٥ ، إلا أنهم لم يستطيعوا حل جميع الرموز والنقوش المكتوبة على القبور لظروف لم يذكرها، وذكر أنه قصد تلك الديار ثانية عام ١٩٤٧ برفقة قائد شرطة المنطقة وعدد من رجاله المسلحين، في يوم الخميس ١٧ نيسان ويقول: «حين وصلنا كان الوقت ظهراً والجو ماطراً، وكان متولي المرقد قد تسلم أمراً من أمير الشيوخ، ومن «ميان خاتون» جدة الأمير والوصية عليه، بأن نكون ضيوفاً عليه، فأحسن استقبالنا وأكرم مثوانا. واستأذناه بزيارة مقبرة الشيخ ريثما يجهز طعام الغداء. فسمح لنا وقال: اخلعوا أحذيتكم قبل وصولكم إلى العتبة .

شاهدنا قرب أعلى المرقد القديم عبارة واضحة بالعربية هي «بسم الله الرحمن الرحيم خالق السماء والأرض أخفض هذا المنزل محل الشيخ عادي الهكاري شيخ اليزيدية». وقرأنا على الجدار: «قد سعى بتجديد هذا المرقد علي بيك بن حسين بيك أمير الشيوخ سنة ١٣٢٤هـ». ورأينا عبارات متفرقة بعضها واضح وبعضها غير واضح .

ونقش على الجدار الأيمن ثعبان أسود، رأسه متجه نحو الأسفل وذيله نحو الأعلى . وقبل أن نبلغ المقام لمحنا على الطرف الأيمن موضعاً كبيراً، وعلى الأطراف والزوايا مواضع معدة للجلوس، وقد قيل لنا إنَّ هذا الماء ماء بئر زمزم، وإلى الطرف الأيسر من الرواق نافذة كبيرة أحجارها ثمينة القيمة، ونقش فوقها بخط نسخي جميل آية الكرسي، ولما سألنا المتولي عن أمر هذه النافذة أجابنا: يقع خلفها قبر الشيخ عادي، وإلى جانبه قبر صغير الحجم قيل لنا إنه مرقد يزيد .

ودلفنا بعد ذلك إلى غرفة مربعة الشكل طول الضلع أربعة أمتار وفيها قبر قيل إنه قبر الشيخ حسن البصري (راجع خلفاءه قبل). وشاهدنا من هذه الغرفة غرفة أكبر وأعلى وذات قبة مخروطية الشكل مرتفعة جداً. وفي أعلى القبة هلال من ذهب، وتحتها مرقد الشيخ عدي وهذا القبر كعبة اليزيدية ومحورهم وقطبهم ومركز عبادتهم

وحجهم الأكبر ومزارهم الرسمي. وفوق القبر المذكور صندوق من خشب، تغطيه سجادة قديمة جداً، وحينما دخل المتولي معنا وضع يده فوق الصندوق وقال: هذا ما نعبده يا سيدي!

وإلى جانب الغرفة التي تحوي قبر الشيخ حسن البصري دهليز طويل وعميق، علق على جدرانه أوان مملوءة زيتاً، يتبرع به الزوار لإضاءة المقبرة.

بناء هذا المكان مستطيل الشكل طوله ثلاثون متراً تقريباً وعرضه اثنا عشرَ متراً. وهو ذو صفين طولانيين، وفي كل صف سبعة محاريب، بنيت للصلاة نحو الجنوب، ولم نر في المزار أي صورة أو تمثال أو ما يشبه ذلك.

وحين تمت زيارتنا وخرجنا من المرقد وصلنا إلى باحة واسعة، فيها عدد من أشجار التوت، اتخذ الناس من جذوعها محلات ودككاً، يمدون عليها بضائعهم ومعروضاتهم ليبيعوها أوقات الزيارة كأنواع الحلوى والمكسرات و... وفي هذه الساحة غرفة المتولي، يقابلها حوض ماء ذو نبعين وبابين يدعونهما عين البيضاء، يُغسل فيها الأطفال الحديثو الولادة، ليطهروا من أدران الولادة، وهو الذي يدعى بالنصرانية «التعميد». وفي هذه الساحة كهوف مقدسة وأحواض ميمونة، وأشجار مباركة، وأحجار مقدسة في نظرهم (ا.هـ).

الرأي الثابت الأكيد أن المزار المدفون فيه الشيخ عدي كان ديراً للرهبان النساطرة [1] مبنياً، فسكنه الشيخ عدي. غير أن الأب أنستاس الكرملي يجعل اسم عدي «اسم القديس أدَّي أو آدي». ويقول: «فنفث الطاووس الملك في صدور رهبان دير آدي أن يتركوا الصلوات والأصوام والعيشة القشفة، لأن الله تعالى غفر لهم سيئاتهم كلها، وأعدَّ لهم مقاماً سامياً في جنة الخلود - وبعد قصة غير معقولة - هجروا الدير، وتفرقوا شذَرَ مذَر، وتزوجوا ودانوا باليزيدية». ويروى أن الشيخ عدي أخبر أتباعه أن الرهبان يهجرون ديرهم، وقال لهم: «وإذا مت فادفنوني فيه بمحل المذبح الأعظم». وجرت المراسم كما شاء. ومنذ ذلك الحين واليزيدية يتقاطرون إلى ضريحه في كل سنة.

لكن مصادر مسيحية تنقل روايتين حول هذا الموضوع، وترجع كلتاهما إلى أن الزاوية هي محل دفن الشيخ في وقت متأخر. إحدى هاتين الروايتين منظومة

1- Britannica.

ابن المقدم، وكان مطران إربل في القرن الخامس عشر الميلادي. ويقول ابن المقدم: «كان هذا الدير في حوزتنا، حتى قدم الشيخ عدي إليه، والتحق به عدد غفير من الناس، وهو اليوم معروف باسم الشيخ عدي».

والرواية الثانية رسالة خطية كتبها بالآرامية ميشوب الشايب حوالي سنة ٨٥٥، ومجمل الرسالة أن مرقد الشيخ عدي كان في الأصل ديراً أسسه راهبان باسم القديس يوحنا وأبشوع صبران في القرن السابع الميلادي، وأقام فيه عدد من الرهبان، وأوقف له ثلاثون قرية و١٥٠٠ ثور، و٢٠٠ خروف، وعدد كبير من الجمال والبقر. وقد اتفق الرهبان مع أسرة الشيخ عدي أن يرعوا لهم هذه الخرفان والبقر والجمال، وكان الشيخ عدي في تلك الحقبة صغيراً وحين شب وكبر تزوج ابنة أحد المشهورين في المنطقة.

وازداد مقام الشيخ عدي لدى رئيس الدير، فأوكل إليه أمور إدارة الدير والإشراف على الأملاك والأنعام، ومن عادة رؤساء الدير أنهم يقصدون الحج إلى بيت المقدس كل عام. ويتسلم الشيخ عدي إدارة الدير كاملاً طيلة مدة غيابهم. لكن أحد رؤساء الدير اختلف مع الشيخ عدي سنة ٦١٦ هـ (؟)، فحد من مقامه في الدير وفي أملاكه. وحين قصد رئيس الدير ورهبانه في تلك السنة الحج أغار الشيخ عدي وأصحابه على الدير، وقتلوا من فيه، واتخذه الشيخ عدي مقاماً له، وحين عاد رئيس الدير حاول أن يستعيد الدير بالحسنى والرفق فلم يوفق، فلجأ إلى أمير المغول في إيران (!) وحكى له ظلامته، وطلب منه المساعدة لاستعادة الدير من الشيخ عدي وأتباعه، فوعده أمير المغول بذلك.

وبينما كان المغول مشغولين بالحرب في إربل قبض قائدهم على عدي بن مسافر، وساقه إلى الأمير الأعظم في مراغة ليصدر فيه حكمه، فأصدر الخان أمراً بإعدامه، لكن معركة دامية في أثناء عملية الإعدام بين المغول وأتباع عدي استمرت تسعاً وثلاثين سنة. وبموت رئيس الدير في إيران ختمت المعارك. وحين وصل تكودر إلى الحكم ـ وكان مسلماً ـ عاد أتباع عدي إلى ديرهم، وما زال في حوزتهم.

وأول من اعتقد بكلام راميشوع الراهب مستشرق فرنسي، فترجم رسالته، وألحقها بكتابه، المطبوع عام ١٩١٨، كما أن هذه الرسالة نشرت ترجمتها إلى

العربية في مجلة دار السلام ببغداد عام ١٩٤٠. ونشرت كذلك في مجلة «المقتطف» ضمن مقالة موقعة باسم «كلدة»[1].

وعلى الرغم من ضعف الروايتين واستبعادهما تاريخياً على الأقل، فإن أحد الباحثين يعتقد بوجود شخصيتين كل واحدة اسمها «عدي» كما حرفوا اسم عدي وجعلوه «آدي» كلدانياً. لكننا مسايرون هذه الأخبار، زاعمين في النهاية الوصول إلى الصواب. وتتابع الروايات قولها:

على أي حال فإن الشيخ عدي الأموي رجل صالح وزاهد، ولد في قرية «بيت فار»، وأظهر الطريقة العدوية، ثم توفي في زاويته بلاليش ودفن فيها. أما الشيخ عدي بن مسافر الذي حمل على دير القديس يوحنا وأبشوع صبران واحتله، فعلى فرض صحة الخبر الذي رووه فإننا نرجح أن يكون شخصاً آخر راعياً وقاطع طريق وسفاحاً، وهو الذي ساقه قائد المغول إلى مراغة، وقتل هناك سنة ٦١٩هـ.

إلى هنا ينتهي عرض الروايتين، ولعل القارىء لاحظ معنا اضطراب التاريخ، وتعدد الأسماء. ومن العجب أن المستشرقين ـ والعرب الذين يعنيهم الأمر ـ لم ينتبهوا. فعدي بن مسافر الشيخ صاحب الطريقة العدوية توفي سنة ٥٥٧، ولم يكن للمغول وجود أصلاً لا في إيران ولا في آسية الوسطى كلها، كما أن المغول الإيلخانيين الذين قدموا بزعامة هولاكو إلى الشرق لم يصلوا إلى إيران إلا سنة ٦٥٤هـ، وهم لم ينطلقوا من «قره قورم» عاصمتهم في أقصى الشرق إلا بعيد سنة ٦٥٠، وأنهم عاثوا في شمال العراق والجزيرة بين ٦٥٦ ـ ٦٥٨، ولم يرحموا أحداً. ومن المستبعد أن يتعثروا بثائر متمرد ـ والذي اسمه عدي بن مسافر على زعمهم ـ مدة ٣٩ سنة في حين أنهم فتحوا آسية كلها حتى حلب بأقل من ثلاث سنوات. وأن أحمد تكودر حكم بين ٦٨٠ ـ ٦٨٣هـ. إضافة إلى هذا كله فإن زاوية الشيخ عدي موجودة ومعروفة، وعليها كتابات أثرية شاهدة، يحيط بها أتباعه، فتاريخه معروف جداً ذكرناه قبل صفحات، وسجلنا أقوال المؤرخين المسلمين. أما أن الزاوية كانت ديراً فمن شاهدها لم يجد أي شكل له، ربما كان ديراً مهدماً وأعاد هو وأتباعه بناءه وتوسيعه، ولكننا نستبعد أن ينهض الشيخ

---

١ ـ وفي عام ١٩٢٣ نشر القس سليمان الصايغ خلاصة الرسالة في كتابه.

الورع إلى الحرب والسلطة والسرقة والسطو، مما لم يذكره مؤرخ مسلم معاصر له أو غير معاصر.

فإما أن الروايتين - وذيولها وملحقاتها - مفتعلتان وغير صحيحتين لجهل الذين سجلوهما، أو لعمد منها في تعميات أخبار يريدون طيها. وإما أنهما حَكَتا قِصة شخص آخر لا يحمل من صفات ذلك الرجل الزاهد سوى الاسم، ظهر بعد مئة سنة من ظهور الأول، ومع ذلك فإن التاريخ المذكور كله يظل مرفوضاً أصلاً وفرعاً.

وليت أن الأمر ختم عند هذا الحد، ذلك أن اليزيدية يعتقدون بأن شيخهم عرج إلى السماء بصورة قدسية خاصة بعد أن ترك وصاياه على الأرض. وظهر بعده ملك صالح أعلم أتباعه أنَّ قبره في زاويته هذه، فاتجه الناس لزيارته. ولعل اليزيدية اصطنعوا مسألة العروج هذه ليخفوا وفاة شيخهم الكبير لكثرة ما حل بهم من مصائب، فابن الفوَطي[1] يذكر في حوادث سنة ٦٥٢ أن في هذه السنة «جرت بين أصحاب الشيخ عدي وأصحاب بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل (أيام هولاكو) محاربة كان سببها أن بدر الدين كان كثير التثقيل على أولاد الشيخ عدي ويكلفهم مالاً على وجه المساعدة. فأطلقوا ألسنتهم فيه، فأرسل طائفة من عسكره إليهم، فقاتلوهم قتالاً شديداً، فانهزمت الأكراد العدوية، وقتل منهم جماعة. فصلب بدر الدين منهم مئة وذبح مئة، وأمر بتقطيع أعضاء أميرهم وتعليقها على أبواب الموصل. وأرسل من نبش رفات الشيخ عدي من ضريحه وأحرق عظامه».

هذا الذي حاربه لؤلؤ وقتله هو الشيخ حسن ابن أبي البركات - وانظر مطلع بحثنا في خلفاء الشيخ عدي -.

ولقد حولت زاوية الشيخ عدي في عهد السلطان عبدالحميد الثاني إلى مدرسة إسلامية بقوة عسكرية - سيأتي الحديث عنها - وعين عليها الشيخ أمين أفندي القره داغي، وأجري عليه وعلى تلامذته جرايات مستمرة. واستمر التدريس فيها من ١٣١٠ - ١٣٢٢هـ. ثم أعيدت إلى أصحابها اليزيديين، وهي

١ - ذكر تيمور الخبر كاملاً وقال: «ووقفنا في جزء قديم من تاريخ عندنا لم نعلم اسمه ولا اسم مؤلفه». والصواب هو لابن الفوطي في تاريخه «الحوادث الجامعة».

الآن كعبتهم التي يطوفون حولها، ويغتسلون بزمزمها، ويوقدون كل ليلة ٣٦٠ سراجاً فيها. وعليهم أن يحملوا معهم من تربته دائماً أينما رحلوا، ويتناولوا من هذا التراب تبركاً وشفاء[١].

كما زار «غست Gest لاليش والمناطق المقدسة الأخرى لليزيدية مؤخرا»، وطبع كتابه عام ١٩٨٧ وبهذا يعتبر كتابه آخر مصدر كتب عن هذه الطائفة في الغرب. وفيما يلي مختصر لوصفه لمرقد الشيخ عدي، لنتبين ما أضاف في وصفه على الوصف الذي ذكرناه آنفاً:

.. جدار الساحة الشرقي مزين بنقوش ورموز مثل: المعول، المشط، العكازات، الطيور، الكلاب: وأبرز هذه الرموز ثعبان بارز بالنقش طوله ست أقدام، يلمع يومياً. طول القاعة الأولى في المزار ثمانون قدماً، وعرضها ست وثلاثون قدماً، وفيها خمسة أعمدة حجرية، وعلى يمين الساحة حوض ماء عُمقُه ثلاثة أقدام، يجري فيه نبع الماء الأبيض. ويعتقد أن القبر الموجود على الجدار اليساري للمدخل هو للشيخ أبي البركات الخليفة الأول للشيخ عدي.

وعند نهاية القاعة الأولى باب يؤدي إلى قاعة أخرى، هي قاعة الشيخ شرف الدين، متصلة بالمكان الذي يشغله الأمير في احتفالاته، وعلى يمين الباب طريق أخرى تؤدي إلى قاعة صغيرة فيها ضريح الشيخ حسن وترتفع فوق المبنى قبة مخروطية ارتفاعها خمس وثلاثون قدماً.

وفي غربي هذه القاعة قاعة أكبر يفصل بينهما جدار عن القاعة الرئيسية. وهذه القاعة الكبيرة مربعة الشكل، كل ضلع منها بطول خمس وعشرين قدماً، وفيها قبر الشيخ عدي. والمرقد مغطى بالحرير الملون، والجدار معلق عليه ستارة خضراء مزينة بآية الكرسي. وتعلو هذه القاعة قبة مخروطية ارتفاعها أربعون قدماً فوق سطح المبنى.

وهناك قاعة طويلة غربي مرقد الشيخ عدي تستخدم لتخزين جرات زيت المصابيح. وغرفتان أخريان نحو الغرب. وفي نهاية الغرفة الأخيرة قبر الشيخ أبي بكر صاحب الشيخ عدي. والذي ينحدر منه الأمراء اليزيديون، وفوق قبره قبة مخروطية الشكل، ويوجد درج لولبي يؤدي من قبر الشيخ حسن إلى قبور المزار.

١- Britannica.

وفي الأسفل ممر يتصل بعدد من الممرات، تؤدي إلى مياه تدمج في أحواض مغلقة، حيث يمارس فيها الحجاج طقوسهم. ويعتقدون أن النبع الأساسي لهذه المياه صخرة تقع تحت مرقد الشيخ عدي، ولديهم غرفة أخرى لا يراها أحد من الزوار، وهي غرفة كنز الركن، حيث يودع فيها الطواويس والسناجق في وقت عيد الجماعية (وهناك غرفة شبيهة بها في قصر الأمير في «باعدري»[1] حيث يقفل على الطواويس والسناجق حين تؤوب من جولاتها).

---

١ ـ تقع با عدري في شمال العراق بمحافظة دهوك حالياً.

الفصل الثاني

أَصْلهُم وَانتماؤهُمْ

منشأ نحلتهم

يقول أحمد تيمور: «لم يكن لهذه الطائفة وجود ولا ذكر في التاريخ قبل القرن السادس حتى اشتهر الشيخ عديُّ بنُ مسافر بالزهد والورع وكثرة المجاهدة بينهم». ويقول ابنُ تيمية: «وإنما بدأ فيهم الزِّيغُ بعد موته في رئاسة الشيخ حسن عليهم أو قبله بقليل».

هذان القولان مرفوضان قطعاً، إذ لا يمكن اعتبارُ الشيخ عدي مؤسس ديانتهم، لكننا نعتبر مرحلته منعطفاً كبيراً في بروزهم وظهورهم في المنطقة. كما أننا لا نقبلُ برأيهم من أن أصلهم يعود إلى أوائل خلق الإنسان؛ منذ آدم وحواء. وسيتضح في فصلنا هذا أصل نحلتهم وجذورهم.

من المعروف أن كثيراً من المذاهب والنِّحل يطرأ عليها تغيير وتبديل بعوامل كثيرة أهمها: ذهاب الداعية الأول وحلول خلفاء له، أو تغيير النصوص مكتوبة ومحفوظة، أو تأويلها على حسب الآراء والأهواء، وتَوافُدُ أممٍ وأقوام على هذه النحلة ولاسيما إذا كانت تحمل جذور معتقدات، ولم تتخلَّ عنها، والتحامها الحربي أو السلمي بأمم مجاورة، أو بهجوم ديني كبير عليها.. إلى غير ذلك من العوامل والأسباب.

غير أن التغيير يختلف كثرة أو قلة تَبعاً لأميال المهَيْمنين على المذهب وأغراضهم. ولابد لنا من القول إن الإسلام استطاع أن يتغلب على أغلب المعتقدات والنزاعات التي كانت متوزعة في المنطقة بعد أن عمَّ انتشاره وترسخت أركانُه. وبدا أن المعتقدات القديمة زال أغلبها من الوجود. في حين أنها لم تزُل تماماً، بل ظلت منتشرة بشكلٍ خفي ومستتر من غير أن تُعلن وجودها أمام قوة الإسلام، فاعتمدت مبدأ التَّقية، ونشدت الانزواءَ في قمم الجبال.

ولم يكد يمضي قرنان من الزمان حتى شرعت هذه المعتقدات تستعيد مكانتها شيئاً فشيئاً، وتُبرز أهميتها مستفيدة من الحرية المذهبية والدينية التي نعمت بها في العصر العباسي. ولقد ظهر كثير من هذه النحل عن طريق الطرق الصوفية والمبادىء الكلامية. ولاشك أن بعض آرائهم تسربت إلى بعض الأمم المسلمة عن غير عمد، وازداد هذا التسرب مع مضي السنين. فكان يكفي أن يظهر بين

العامة زاهد عابد، أو متصوف صاحب طريقة حتى يتسابق الناس إلى الالتفاف حوله، مأخوذين بمواعظه ونصائحه، ليتلقّفوها بآذانهم، وينشرونها بأفواههم، فيضيفونها إلى دينهم الإسلامي، أو إلى دينهم الخاص الذي يدينون به. وكلما مات شيخ إحدى هذه الطرق نصبوا أحد المريدين مكانه ليُتمَّ رسالة شيخه، ويحافظ على ديمومة طريقته، إلا أن المريد الخلف ينحرف قليلاً، وقد يمسخُ الأسس الأصلية للطريقة.

وقد ظل أصحاب هذه الطائفة مغمورين غير معروفين؛ يحيون على ما توارثوه من قديم المعتقدات، متأثرين بما حولهم من مذاهب وأديان حتى زمان ظهور الطرق الصوفية، حيث برز الشيخ الصوفي العابد عدي بن مسافر رحمه الله، وصادف أن اعتزل الناس، في منطقةٍ قرب مساكن هذه الطائفة. فانتشرت أنباء تقواه وصلاحه بين الناس البسطاء، واعتقدوا به كثيراً، حتى بلغوا مراتب الغلو والتطرف، وتحدثوا بشأنه كثيراً بما لا يتفق والشرع (كما ذكرنا).

فأضافوا آراءه ومواعظه على معتقداتهم وفلسفتهم، وغلوا في شيخهم غلوّاً تجاوز الحدَّ. ثم خلفه مَن خلفه، فوسَّعوا في طريقته، وأردفوها بما اقتضته مصلحتُهم ووافق أهواءهم. وأضافت العامة ذلك كلَّه إلى ما ورثوه من معتقدات قديمة، حتى خرجوا من الإسلام جملةً، وهم لم يدخلوا فيه إلا من جانبه أصلاً، وحتى ظهر دينهم بقالب لا هو ذلك المعتقد الموروث، ولا هو الإسلام المكتسب. والذي عليه أهلُ العلم والمعرفة أن أصلهم غيرُ ثابت، وزمانَهم غيرُ محدَّد، واسمهم المعروفون به لم يواكبهم منذ نشأتهم.

ونحن إن سألنا بعض أهلِ الذكر منهم قالوا: «نحن زردشتيون». وإن قارنَّا معتقداتهم ـ التي عرفنا شيئاً منها ـ بالديانة الزردشتية التي درسناها دراسة عميقة أيام كنا في إيران والهند وجدنا الشبه ضعيفاً جداً بينهما، ولعل صلتهم بالإسلام أدنَى من صلتهم بالزردشتية. اللهم إلا مسألة الثنوية ـ وهي عريقة القدم في الشرق ـ ومسألة التناسخ والتقمص. ولا يجوز لنا أن نعدَّهم زردشتيين لعدم اعتقادهم بالنارِ المطهِّرة والمقدَّسة مثلاً.

لكننا لا نستبعد أنهم حملوا من ذلك التراث الشرقي القديم شيئاً، وأضافوا عليه بعض ما تلمَّسوه خيراً في الديانة المسيحية، وما تعلّموه من الشيخ عدي بن

مسافر الشافعيَّ، وما طبَّقوه من أنظمةٍ صوفية واضحة في حياتهم. على أننا لا نعرف مؤسسَ هذه الديانة، وهو غير مذكور في كتبهم المقدسة، ولا مدوَّناً في كتب جيرانهم من الأمم وأصحاب النحل، ولعل ما وصل إلينا منهم أن دينهم وُجد قبلَ ظهور الإسلام.

فإذا لم يكونوا زردشتيين (تماماً)، ولا يعترفون باسم «اليزيدية» الملصق بهم؟ فمن أينَ جاءَهم هذا الاسم؟

سبب تسميتهم باليزيدية

مما لا شك فيه أنه من الصعب على المرء أن يعرف جذور الفِرق والأديان، وأصولها من الأسماء التي اشتهرت بها، لأن كثيراً من هذه المعتقدات تكاملت مع مرور القرون، ولأن كثيراً من هذه الأسماء اعتراها التحريف والتغيير والتبديل مع مسيرة الأيام. ولا بأسَ علينا من محاولة عرض كل هذه الآراء؛ فعلَّنا نستلهم واحداً أكثر دقة، ولعلنا كذلك نخلص إلى نتيجة مبهمةٍ، تحتِّم علينا الانتظار حيناً آخر. فمن هذه الآراء:

١- يرى بعضهم - وفيهم اليزيديون - أن أصلهم فارسي، من جذور زردشتية لتشابه بعض أصول معتقداتهم بالديانة الزردشتية. والذين يميلون هذا الميل يرون أن اسمهم مشتق من كلمة «يَزْد» أو «إيزَد» ومعناها الله أو الروح الصالحة، والذي هو ضد أهريمن صاحب Eugéne Boré أن كل شيء فِيهم يوضح آراء يُشتمُّ منها رائحة ديانة زردشت، التي أدخل فيها ماني صاحب الثَّنوية بعض التغييرات.

وقد يعود تسميتهم (ضمن الإطار الفارسي) إلى اسم مدينة تقع بين إصفهان وشيراز وكرمان، تدعَى (يَزْد)، وهي مدينة مقدسة لدى الزردشتيين، ومازال فيها معبد نار يدعى «معبد النيران السبع». ولما كانت يزد مركزاً لديانة المجوس (الداسنيين) فإن اليزيدية المنسوبين إليها كانوا في الأصل مجوساً. ثم تركوا حاضرتَهم وسكنوا «داسِن»، فأسمتهم العامة اليزْديين، ثم حوَّلوه الى اليزيديين. وهذا يعني أن أصول معتقداتهم ترجع إلى دين آريائي. ولعلهم حين فاجأهم الإسلام، وداهمتهم جيوش الجهاد طلبوا الانزواء والاحتماء، فلم يجدوا إلا جبال سنجار والجزيرة يحتمون بها.

وترى فئة أخرى أن أصلهم زردشتي مجوسي، لكنهم ولدوا في مدينة «شيخان». ثم اعتنقوا الإسلام في زمان عدي بن مسافر، ودمجوا جذور عقائدهم بالعقيدة الإسلامية. وحين توفي الشيخ عدي (أو كما يقولون: شيخادي) برز من زعمائهم من أرجعهم إلى عقائدهم السالفة. وكنا ذكرنا قبل قليل أن المعتقدات الزردشتية قليلة البروز في المعتقدات اليزيدية، ولكنها موجودة على أي حال. إلا أن وجودها مشترك في أفكارٍ أقدم من الزردشتية كذلك، وأفكار أكثر حداثة.

على أنهم يعتقدون أن أصل الكلمة «ئيزي»، وهي كلمة غامضة الأصل ويرون أن معناها هو الله والملك طاووس. أما «ئيزدي» فتعني اليزيديين، وهم الذين يدينون بهذه الديانة. وكلمة «ئيزْدياتي» فهي تعاليمهم وشعائرهم وتصرُّفاتهم [١]. وشاهدُهم على أن «ئيزي» تعني الله بعض من نشيدهم:

أيها الملك ئيزي أنت الملك نفسُك
وضعتَ لنفسك ألف اسم:
واسمُك الكبير الأبدي «الله»

٢- ومنهم من يرى أن كلمة «يزيدية» ترتبط بخازن الملك خسرو، وكان يدعى «جزدين - Jazdin» وكان رئيس النساطرة. وكان قصره في ضاحية بلدة «كركوك». ومعروف أن هرقل احتفل في هذا المكان بعيد ميلاده عام ٦٢٧ م، وكان قريباً من المنطقة التي عاش فيها اليزيديون في القرنين السادس عشر والسابع عشر [٢].

٣ - وترى فئةٌ أخرى أن نسبتهم ترجع إلى خارجي يدعى «يزيدَ بنَ أُنيسةَ» [٣]. ذكره الشهر ستاني في كتابه الملل والنحل [٤]، وقال إنه كان بالبصرة، ثم انتقل إلى أرض فارس، وكان «يزعم أن الله تعالى سيبعث رسولاً من العجم، ويُنزل عليه كتاباً قد كتب في السماء، وينزل عليه جملة واحدة، ويترك شريعة المصطفى ﷺ، ويكون على ملّة الصابئة المذكورة في القرآن، وليست هي الصابئة

---

١ - ئيزدياتي (كردي): ١٧.
٢ - تبنى هذه الفكرة غست، وذكر في كتابه The Yazidis أن هذا الرأي ظهر في القرن الماضي.
٣ - هو غير المحدث المشهور.
٤ - وانظر كذلك نسبتهم في السمعاني، الذي نقل النص، وختم كلامه بقوله: «وهؤلاء من أكفر أصناف الخوارج».

الموجودة بحرّان وواسط . . ». فذهب بعض الباحثين إلى أن اليزيدية من بقايا هذه الفرقة.

فلما وقف المسلمون على أتباع يزيد هذا أصلَوْهم ناراً حامية. وكرههم المسلمون الشيعة أيضاً لأن يزيدَ بن أنيسة كان من الإباضية، والإباضية شعبة من الحكمية، والحكمية فرقة من خوارج النهروان أو النواصب أو الحرورية. ويروى أن المسلمين ظلوا يضيِّقون على أهل هذه الفرقة حتى ألجؤوهم للفرار إلى جبل سنجار فتحصنوا واستحكموا. ولما كانت بدعتهم تعظِّم العجم وتجلُّهم لأنهم كانوا ينتظرون مجيء نبيِّهم من بلادهم فقد تزاحم أهل فارس على الانخراط في سلك أصحاب هذه الفرقة. وأغلبُ من دخلها كانوا يدينون بالمانوية أو الثَّنوية والمزدكية، فغلب إذ ذاك العنصر العجمي (الفارسي أو الكردي) على العنصر العربي أو الشرقي. فبعد أن كانت لغتهم الدينية عربية غدت كردية أو فارسية. وبعد أن كانت ديانتهم تَقرب من الديانة الإسلامية في عقائدها وشعائرها ابتعدت عنها واقتربت من الديانة المانوية. والحقُّ أن نسبتهم إلى يزيد هذا وَهْمٌ، لأن هذه الفرقة بادت وبادت آراؤها معها كما بادت الفرق الخارجية الأخرى.

٤- على أن الفئة الأكثر شهرةً هي التي تعزو نسبتَهم هذه إلى «يزيدَ بن معاوية». ومع أن هذا الرأي مستنبط من أخبار اليزيدية ومعتقداتهم فإنه مازال يحتاج إلى براهين عديدة قاطعة[1]. يحكون أن لمحمدٍ ﷺ خادماً يدعى معاوية. وبينما كان معاوية يقص للنبي ﷺ شعر رأسه جرحه. فخاف معاوية أن يسيل دم محمد ﷺ على الأرض فأكب يلعقُه بلسانه. فسأله محمد ﷺ متعجباً: ماذا تفعل؟

فأجابه: لعقتُ دمك الطاهر خشية أن يسيل على الأرض. فعاتبه محمد ﷺ وقال له: أخطأتَ في فعلتك هذه، وستكون ذريتك عدوةً لأمتي. فعاهده معاوية على ألا يتزوجَ أبداً ولم يكن له بنون من قبل.

لكن الله سلَّط على معاوية عقارب لدغتْه. فجزم الأطباء بضرورة زواجه، وإن لم يفعل لقي حتفه. فاشترط معاوية عليهم أن يزوجوه من امرأة عجوز في سن الثمانين ليأمنَ منها الحملَ. فلما حل الصباح بعد ليلة الزفاف إذا هي في الخامسة والعشرين بقدرة الله الكبير!

١- فلم يذكر التاريخ أن يزيد بن معاوية أسس- خلال خلافته- طريقة أو ابتدع له أحد ديناً.

فحملت وولدت يزيدَ، أحدَ آلهتهم السبعة. إلا أن عقلاء اليزيدية يبحثون عن البراءة من هذه الخرافة المفعمة بالجهل والخطأ التاريخي.

وهم يرون أن يزيد بن معاوية تولى الخلافة على كراهةِ كثيرٍ من المسلمين، ولاسيما الشيعة منهم. فقد وقعت في عهده كوائنُ كقتل الحسينِ بن علي عليهما السلام، والعدوان على أهل المدينة. كما نُقلت عنه أمور أخرى دلت على استهانته بالدين، واستهتاره بشرب الخمرة، وانتشار تعاطيها في الأقطار في عهده، مما أكثر فيه القيل والقال، واختلفت بشأنه الأقوال. فلقد رأت فيه الفرق الشيعية رجلاً فاسقاً وفاجراً. وترجَّحت آراء السنيين فيه؛ فمنهم من غالى في بغضه، ومنهم من احتاط واقتصد، ومنهم من أنكر عليه التهم، وحسَّن الرأي فيه. وكان من هذه الفئة الأخيرة الشيخ عدي بن مسافر الأموي الذي يرجع نسبه إلى بني أمية (كما ذكرنا). وذكر أحمد تيمور باشا أنه عثر على نسخة عتيقة من عقيدة الشيخ عدي ناقصة من آخرها يقول فيها: «وإنَّ يزيد بن معاوية رضي الله عنه إمام وابن إمام، ولي الخلافة وجاهد في سبيل الله. ونقل عنه العلم الشريف والحديث. وإنه بريء مما طَعن فيه الروافض من أجل قتل الحسين رضي الله عنه وغير ذلك. منبوذ ومهجور الطاعنُ فيه»[1].

ومن كلام الشيخ عدي هذا انطلق اليزيديون في حبِّ يزيد بن معاويةَ. فقد تقبلوا رأي أستاذهم أولاً، ثم غالوا في اعتقادهم به، حتى جعلوه ولياً ثم نبياً. ومازالوا يتمادَون في حبه مع مر السنين، حتى اتخذوه إلهاً من الآلهة السبعة.

ولقد تعرض ابن تيمية لذلك في «الرسالة العدوية» ـ ولم يكونوا قد بلغوا به مرحلة التقديس والتأليه بعدُ ـ فقال: «لم يدرك يزيد رسول الله ﷺ، ولم يكن من صحابته، ولم يكن معروفاً بميله الشديد إلى الدين. كما لم يكن كافراً ولا زنديقاً. واختلف الناس في أمره بين راضٍ على خلافته لأبيه ومُعارض لها.. واعتقد بعضهم أنه كان من الأنبياء. ويقولون: من وقف في يزيدَ وقفه الله على نار جهنم. ويروون عن الشيخ حسن بن عدي أنه كان كذا وكذا ولياً وقفوا على النار لقولهم في يزيد». وقد نصح ابن تيمية الناس باتباع طريق الاختصار فيه، على أن لا يُسبَّ ولا يُحب.

---

١ ـ وهم يذكرون أن مروان الثاني آخر الخلفاء الأمويين من أم كردية، فورث عنها زرقة العينين وحمرة الشعر، وهذا يدل على صلة الأمويين بالأكراد وهو الذي عاش في الجزيرة ثم عبر حلب إلى دمشق ليصبح خليفة.

ونحن لا نرى هذا الرأي، لأن التاريخ لم يثبت ظهور بيت أموي ينتمي إلى يزيد ولا ينتصر له. كما أن لفظة «يزيد» ليست بالضرورة تفرض الانتماء إلى يزيد ابن معاوية. ومما لا شك فيه أن هذه الطائفة لم يكن لها ذكر في التاريخ قبل القرن السادس الهجري، وهي المرحلة التي ظهر فيها الشيخ عدي. وهم أنفسهم لم يتسمَّوا بهذا الاسم، إنما سماهم به المؤرخون المسلمون حوالي القرن الثامن الهجري. ولا يعني ذلك بالضرورة أنهم لم يكونوا قبل هذا التاريخ ولا قبل الشيخ عدي. ولعل لهم اسماً ثم دخل مقام يزيد في مرحلة من المراحل التي كان الشقاق الطائفي رائجاً بين السنيَّة والشيعة. ذلك أن الشيعة يشتمون يزيد ـ ولمسنا هذا بأنفسنا ـ فلما تعرَّفوا إلى هذه الفرقة أطلقوا عليهم لقب «يزيدية» أي «الملعونين»، لكونهم يقدِّسون من يكرهون. ومع مرور الزمن غدا اسمهم الرسمي. وسواء أكان اسماً دينياً أم لقباً مستكرهاً، فإن مقام يزيد بن معاوية ليس واضحاً في ديانتهم. إلا أن الاعتقاد به قوي جداً في حلب وسنجار. ومما يؤيد ما ذهبنا إليه أن اليزيدية المجاورين للسنة يحتفلون بذكرى فضائل هذا الخليفة. فقد ألقى شيخ يزيدي في إحدى قرى حلب عام ١٩٣٦ قصيدة تروي المعجزات التي قام بها يزيد خلال الحصار الأول للقسطنطينية، على حين أن اليزيدية المجاورين للشيعة الإمامية قلما يذكرون اسم يزيد في احتفالاتهم[1].

ومع غموض مقامه الديني فإن عيد ميلاده يعتبر أحد أعيادهم. كما أن الإذن السماوي لتعاطي اليزيديين الخمرة إنما يُعزى إليه. وقلنا إنهم لا يسمون أنفسهم يزيديين، بل يسمون أنفسهم زردشتيين أو إيزديين[2]. وبعض المسلمين يدعونهم «فقراء» على المغزى الصوفي الدقيق الذي عرفوا به منذ الشيخ عدي بن مسافر. ولهذا يذهب بعضهم إلى أن هذه التسمية ترجع إلى ذلك كله. ومع ذلك يظل الأمر غامضاً على الباحثين.

وأختتم حديثي بأن أشير إلى أن اسم «اليزيدية» لم يرد في كتاب «الجلوة»، ولكنه ورد في مصحف «رش» مرة واحدة، في قوله: «ثم ملة عزرائيل أعني طاووس ملك وهي ملة اليزيدية».

---

1 – The Yazidis,30.

٢ ـ ويلفظونه بياء خفيفة «ئيزيدي» أو EZIDI

قنوات مبادئهم

سيرى الباحث أن معتقدات هذه الطائفة لم تكن ذات نبع واحد، ولم ينظمها رسول ذو مشرب واحد، بل إنه سيقع على أفكار مستقاة من قنوات عديدة، بعضها سماوي وبعضها متوارث. وأهم هذه القنوات :

١ ـ **مبادئهم الأصلية** : والتي تدل ـ ولا شك ـ على قدم في قسم كبير من هذه العقيدة، ودنو من عبارة العناصر الأربعة، وتقديس للأفلاك والتناسخ والثنوية، و. . . مما له أصول وروابط بالمجوسية وبمعتقدات إيرانية عريقة في القدم. من ذلك نشيدهم الذي يخاطبون به ربهم، يشيدون فيه بالعناصر الأربعة : الماء، والنور، والتراب، والنار:

«ربنا أنت الرحيم
وضعت أربعة عناصر على الأرض ؛
هي الماء، والنور، والتراب والنار[1]».

٢ ـ **اليهودية** : وأغلبها مما له علاقة بالكتاب المقدس، وببعض العادات اليهودية كالختان، وبعض الطعام، وخلق العالم. ومن نشيد طويل في خلق الأرض والسماء والإنس والجان نقتطع قولهم :

«يا رب، أنت الصانع الكريم
أنت فتحت الطريق والدرب المظلم
أنت خالق كل شيء؛
خلقت الجنة الملونة
ولم يكن هناك أرض ولا سماء
كانت الدنيا الواسعة بلا قرار
ولم يكن للإنسان والحيوان وجود . . . فخلقتهم»

٣ ـ **الإسلام** : من أسماء الشعائر الدينية كالحج والزكاة والصدقة والصوم والأعياد، ومن الاتجاه الصوفي، والانتماء إلى الشيخ عدي وإلى يزيد، وكثير من الأفكار، نستدل على توسع هذه القناة. حتى أسماؤهم عربية إسلامية كعلي وحسين وإسماعيل .

---

١ ـ ئيزدياتي (كردي): ٦١.

٤ ـ **النصرانية** : أثرت النصرانية فيهم كثيراً وأحبوها كثيراً أيضاً. فهم يعتقدون أن أمَّ يزيد من أصل نصراني اسمها «شلخة» وكذلك زوجته. ويعتبرون الكنائس والأديرة، ويهتمون بها، وفيهم من يتحفَّى ويلثم عتباتها إجلالاً للقديس المؤسسة على اسمه. وهم لا يفعلون هذا إذا لم يكن القديس مشتهراً، لكنهم لا يدخلون مساجد المسلمين أبداً.

وهم يكرمون القديسين الذين أسست على أسمائهم الأديرة والكنائس، لاعتقادهم أنهم بلغوا مرحلة عالية من سموِّ النفس وطهارتها، حتى حلَّ الملك طاووس في أنفسهم. وهم يزعمون أن هذا الطاووس سكن في نفس الكليم حيناً، لكنه سكن حيناً أطول في نفس المسيح، ولهذا يعدونه أعظم الأنبياء على الأرض. وازداد تأثرهم بالنصرانية بعد اتصالهم الواسع بالأرمن.

ومما لا شك فيه أن فئة من النصارى دخلت في الديانة اليزيدية، وأثرت في معتقدات أهلها، من ذلك: المعمودية، والشَّبَر[1]. ويروى أن سكان جبل سنجار كانوا كلهم نصارى، وفيه للسريان الشرقيين مطرانية مشهورة باسم «مطرانية شنكار» أو سنجار، في حين أن سكان جبل سنجار اليوم كلهم يزيدية إلا ماندر. «ولا بد أن النصارى تراخوا في ديانتهم من بعد أن عاشروا هؤلاء الأقوام، ثم دانوا بديانتهم»[2]. كما أن نصارى تلك الأصقاع الخاضعة لأبرشية الموصل يسمون اليزيدية «الدَّسْناية» أو «الداسانيين» أو سكان جبل داسن، وكانت من أبرشيات النساطرة. فلعلهم دانوا باليزيدية عن طريق الحب والزواج. وأن طائفة من النصارى تعتقد بأن الشيخ عدياً ما هو إلا الرسول «آدي» الذي نَصَّرَ أهل تلك البلاد. وكان قد أقيم على اسمه بيعة، هي اليوم مزار لليزيدية.

ويقول إسماعيل بيك ـ أحد أمراء ـ اليزيدية ـ ملخصاً تأثر عقيدة قومه بالأديان الأخرى : «يأخذون الصوم والنصيحة والعماد من النصارى، والفهم من الإسلام، وأصول الديانة من الملائكة والأولياء، وتحريم المأكولات من اليهود، والسجود من الوثنيين، والمخالفة من الرافضين، وذبح الأشخاص من الجاهليين، وتحليل الخاطىء من الشيوخ والأمراء»[3].

---

١ ـ الشبر: المعروف عند النصارى بسر القربان أو سر الأوخاريستية، ومعنى الشبر: العطية والخبز.

٢ ـ هذا رأي الأب أنستاس الكرملي، في مجلة المشرق عام ١٨٩٩.

٣ ـ اليزيدية قديماً وحديثاً، بقلم إسماعيل بيك جول: ٩٤.

ورغم هذا كله فإن الديانة اليزيدية ديانة قائمة بذاتها، لها كيانها ومقامها لدى أتباعها، وما عرضناه لا يعدو أن يكون من باب التشابه أو التقدير .

وقبل أن أستعرض توسع الطائفة الجغرافي وتوزعها البشري أرى لزاماً عليَّ عرض آراء بعض القدماء والمحدثين في هذه الطائفة لندرك اتجاه تلك الآراء. وسنلاحظ أنهم تهجموا عليهم، ولم يمنحوهم حق الحياة بحريَّة. ونحن إذ نستعرض آراءهم فلنوضح بعض ما لن نتعرض إليه في الفصول التالية .

رأي المؤرخين في اليزيدية

١ ـ لعل أحمد تيمور باشا من أوائل العرب الذين وجَّهوا الأذهان إلى هذه الطائفة، وأطلق عليهم هذا الاسم في رسالته «اليزيدية ومنشأ نحلتهم». يقول : «لم يكن لهذه الطائفة اسم في التاريخ أصلاً. وقد ورد ذكرهم، وذلك في أثناء شهرة الشيخ عدي بن مسافر الأموي بزهده وورعه وتقواه. حيث توافدعليه الناس ينشُدون منه الاسترشاد والهداية، وذلك حين هاجر إلى ديارهم واستوطن بعض أطراف جبل «هكار»، الموطن الأصلي للأكراد. حيث تبعه خلق كثيرون واتجهوا نحوه، وقصدوه تلامذةً ومريدين. وكان أن ظهرت طريقته التي دعيت بالطريقة العدوية» .

٢ ـ أما آراء سيد عبدالرزاق الحسيني فتختلف قليلاً عما ذهب تيمور باشا إليه. فقال : «وجماعة كثيرة لقيتهم بالعراق في جبال حلوان ونواحيها من اليزيدية، وهم يتزهدون في القرى التي في تلك الجبال، ويأكلون الحال[1]. وقلما يخالطون الناس. ويعتقدون الإمامة في يزيد بن معاوية، وكونه على حق. ورأيت جماعة منهم في جامع «المرج»[2]. وسمعت أن الأديب الحسن بن بندار البروجردي، وكان فاضلاً مسفاراً، نزل عليهم ودخل مسجداً لهم. فَسَأَلَهُ واحد من اليزيدية : ما قولك في يزيد؟ فقال (الحسن بن بندار) : أيش أقول فيمن ذكره

---

١ ـ الحال (لغة) الطين الأسود. فقد اعتاد ـ كما سنرى ـ اليزيديون أن يأخذوا تراباً من مرقد الشيخ عدي، ويعجنونه ثم يجعلونه على شكل كرات أو أقراص، ويتناولونه بين الحين والآخر، ويدعونه كذلك «براءة». ومثلهم في ذلك مثل الشيعة الذين يأكلون من تربة سيد الشهداء الحسين بن علي(ع)، ويدعونها «شفاء»، والصوفيون يتناولون «الحال» ممزوجاً بطعام يقرأ عليه الشيخ أو المرشد، ويسمونه «رقية»، ويعطيها الشيخ لمن يريد. وهذه الرقية تقي آكلها من لدغة الأفعى وعقصة العقرب كما يعتقدون .

٢ ـ المرج: قلعة تبعد عن حلوان مسيرة منزلة، وحلوان : من مدن العراق تقع في آخر حدوده وتتصل بالجبال .

الله في كتابه في عدة مواضع حيث قال : ﴿يزيد في الخلق مايشاء﴾[1] و﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدىً﴾[2]. قال فأكرموني وقدّموا إلي الطعام الكثير[3] .

٣ ـ وذكر عباس عزاوي[4] «أنَّ جماعة من صلحاء أهل السنة والجماعة من سكان نواحي الفرات قدموا على أبي فراس عبيد الله بن شبل وأخبروه أن بدعات مختلفة وعقائد مضللة برزت في نواحيهم، وأن الشيطان نافذ القوة في مرابعهم. وذلك كله غامض على الناس، وهذا كله منسوب إلى مذهب الرافضة والزَّيدية. وجماعة تنتمي إلى آراء العدوية واليزيدية. ولهاتين الطائفتين (المفروض واحدة) آراء متناقضة»[5].

ولقد أغوى الشيطان هذه الطائفة فيما بعد، وتسلط على عقولهم، وساقهم على هواه، ورسخ في عقولهم محبة يزيد بن معاوية، فأحبوه وقدسوه جهلاً منهم. وهم الذين لم يعرفوه ولم يطلعوا على حياته. ويعتقدون أن دمهم حلال إذا لم يحبوا يزيد، وهم لا يرون الصلاة جائزة مع المسلمين، لهذا لا يحضرون صلاة الجمعة .

ويقول : «وأصلُ هذه الطائفة الحسنُ بن عدي، وهو الذي قدم من قرى الموصل، وضلل فئات كبيرة من الناس، وقاد أتباعه حيثما ذهب، ونسل منهم أفكارهم لأنهم من سذَّج العامة ورعاتها. وكثيراً ما جادلتهم وتباحثت معهم، أكان ذلك في منازلهم أو في مجمع من الناس في يزيد وبعض معتقداتهم» .

٤ ـ يعقوب سركيس : باحث آخر استند في دراسته إلى نص آرامي ترجمه

---

١ - من الآية: ١/ سورة فاطر: ٣٥
٢ - من الآية: ٧٦/ سورة مريم: ١٩
٣ - الأنساب: ٦٠٠
٤ - من رسالة خطية عنوانها «الرد على الرافضة واليزيدية» لأبي فراس عبيد الله بن شبل. وتاريخ ختم الرسالة ١٧ رجب ٧٢٢هـ، والمحفوظة في مكتبة كوبريلي ـ رقم ١٦١٧ .
٥ - اكتشف هنري فيلد مدير متحف شيكاغو بعض النصوص والتصريحات اليزيدية القديمة، ونشرها وشرحها في مجلة «شرق أمريكة»، في المجلد ٦٦، ص٢٣ ـ ٣٦ من عام ١٩٤٦ . ونقلها إلى الإنكليزية أنيس فريحة ونشرها فيما بعد برسالة خاصة، وسجل فيها أنه أول من تنبه إلى ما ذكره السمعاني في الأنساب ونبه إليه ولكنه اتهمنا بأننا تصرفنا في نص السمعاني وحرفناه حين نقلنا قول السمعاني: «أن جماعة كثيرة منهم كانوا يزيدية، ولقيناهم بالعراق في جبال حلوان ونواحيها من اليزيدية». وعلى أي حال فإن نسخة الأنساب التي اعتمدناها في منقولنا هي النسخة المصورة التي أصدرها مرجليوث عام ١٩١٢، وهي طبعة مشحونة بالأخطاء. وللكتاب نسخ أخرى في إستانبول وباريس، وفيها قول السمعاني تماماً كما ذكرناه (غضبان).

راميشوع الراهب سنة ٨٥٥هـ ـ ١٤٥١م، وإلى نصوص فرنسية حديثة، وكلها أوردت اسم «اليزيدية». وفيها أن اسم أبي عدي هو عادي، والصحيح هو مسافر ابن أحمد، وكان من أكراد «تيراهية». وهؤلاء الأكراد يأتون في الصيف عادة إلى «زوزان» ويبقون فيها، ثم يرحلون شتاء إلى أطراف الموصل، ومنهم عشيرة اليزيدية، والتي هي من أجداد عدي. وكانت هذه القبائل ترحل صيفاً وشتاء برفقة اليزيدية.

وكان اليزيديون في الواقع يعتبرون سكان زوزان خدماً وعمالاً لهم. وحين كان الأكراد اليزيديون يؤوبون من زوزان في تشرين الثاني يعوجون في نهاية مطافهم على عادي ابن أميرهم، ويقدمون له ما أحضروه من هدايا وتحف ثمينة. وكان عادي يتقبلها منهم، ويحتفي بهم، ويقدم لهم ألواناً من الطعام والشراب. فيمضون ليالي عامرة، قد أعدَّت لهم مسبقاً، وينتشون بشرابها. وكان عدد هذه الأسر ٦٥٠ أسرة، وأغلبهم من قبيلة تراهية، ويزيد عدد خيامهم على الألف خيمة[1].

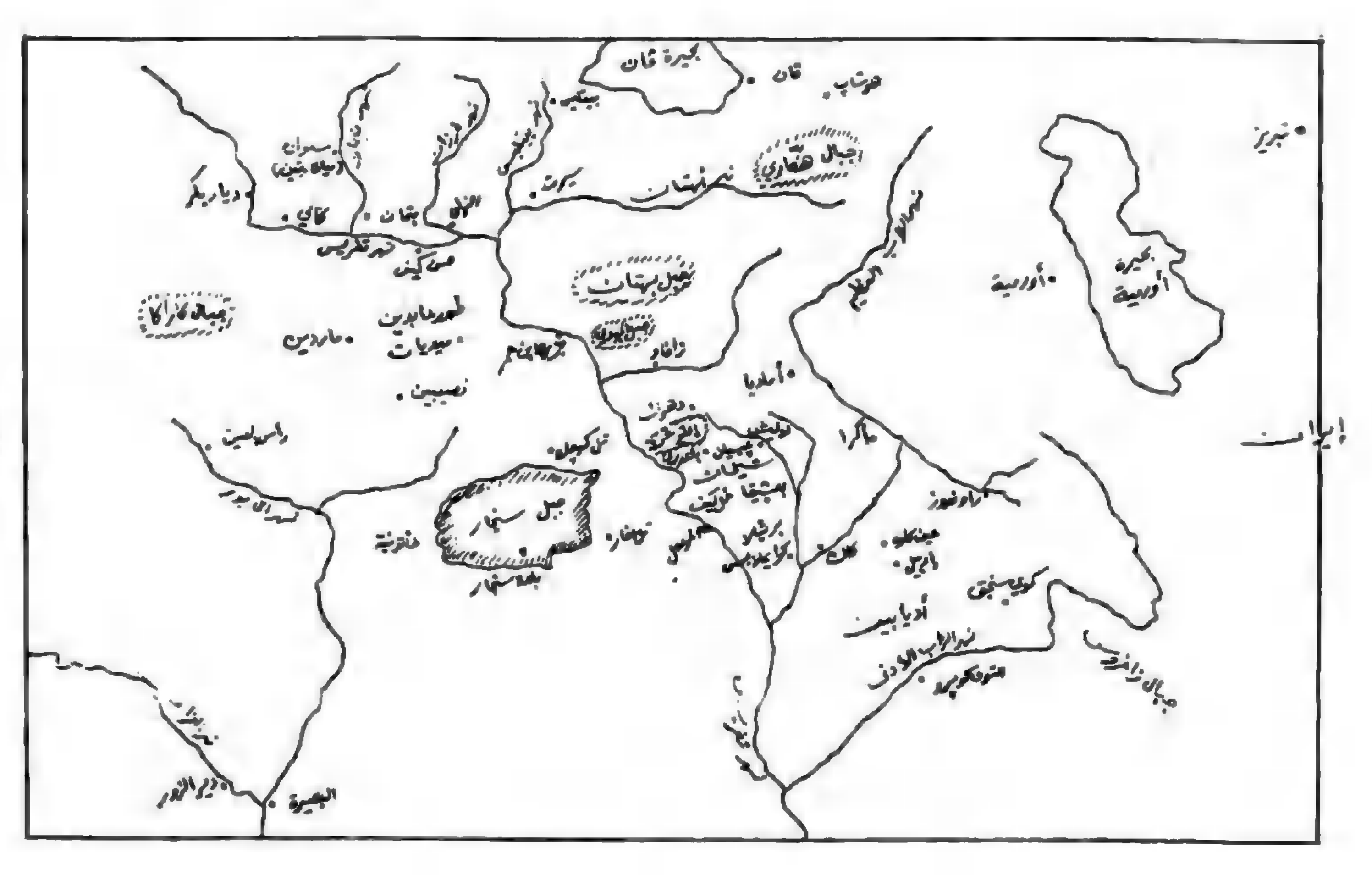
٥ ـ الشيخ راغب الطباخ[2] نقلاً عن الحنبلي أن عز الدين بن يوسف الكردي العدوي أمير إيالة حلب في أواخر حكومة المماليك الجراكسة وأوائل الدولة العثمانية كان من الطائفة المنسوبة إلى الشيخ عدي بن مسافر، ويُدعون أسرة «مَنْد»، الذي كان يأتيه من لَدَغَتْهُ الحية فيطعمه من خبز رُقي عليه ونفث فيه، فيأكله فيبرأ بإذن الله تعالى. وكان الأمير عز الدين شهيراً بهذه الخاصية بين الأكراد، مع إدمانه شرب الخمرة وقتل النفوس سياسة.

وكان لهم غلو زائد فيه، حتى كانوا يلقبونه بالشيخ عز الدين. وربما قيل للواحد منهم: أنت من أكراد ربنا أو من أكراد عز الدين؟ فيقول: بل من أكراد عز الدين. وكان شيخاً معمراً، يصبغ لحيته بالسواد، وله شهامة ووصلة أكيدة بخا بربيك كافل حلب في آخر دولة الجراكسة. وفي أيامه صُلب الأمير حبيب بن

---

١ ـ التيراهيون على الديانة الزردشتية. ويقول ابن الأثير (الكامل: ٢١١/١٢) في حديثه عن التيراهيين: «وكانوا كفاراً، لا دين لهم يرجعون إليه، ولا مذهب يعتمدون عليه، وهم خرجوا إلى حدود سوران ومكرهان للغارة على المسلمين، فأوقع بهم نائب تاج الدين مملوك شهاب الدين، وقتل منهم خلقاً كثيراً». وجرت هذه الحادثة سنة ٦٠٢هـ.

٢ ـ إعلام النبلاء: ٥٥٢/٥ نقلاً عن «در الحبب» للحنبلي، أحد رجال القرن العاشر الهجري.


بحيرة وان
وان
خوشاب
تبريز
جبال هكاري
بحيرة أورمية
أورمية
ديار بكر
ماردين
نصيبين
جبل سنجار
بلد سنجار
تلعفر
آمديا
أربيل
إيران

عربو تحت قلعة حلب. وذلك أنه كان بين الأمير عزالدين وبين أولاد عربو طائفة معتبرة من أمراء القصير عداوة بيِّنة من جهة الدنيا وكذا من جهة الدين، لأن بيت عربو كانوا من أهل السنة والجماعة رضي الله عنهم وبيت الشيخ مُنْذ كانوا يزيدية. فكان يغدر بهم، حتى سعى في قتل جماعة منهم كالأمير حبيب وكأخيه الأمير قاسم. وكان قتله بالباب العالي السليمي (سليم الأول) عن عرض عَرَضَهُ أحمد باشا المشهور بقراجا باشا أول من كان باشا بحلب في الدولة العُثمانية السليمية، وذكر فيه أنه جمع بين تسع نسوة في زمن واحد بمكر الأمير عز الدين به عنده. وهذا الحوض الكبير داخل أغيول من إنشاء الأمير عز الدين. وكان يزعم أنه عمَّره من حلال مال والده. توفي الأمير عز الدين سنة ثمان وأربعين.

٦ ـ شرف خان بن شمس الدين البدليسي صاحب كتاب «شرفنامه». وهو كتاب فارسي، طبع في بطرسبرج ١٨٦٠م، وأعيد طبعه في مصر ١٣٤٨هـ. وقد أتم المؤلف كتابه سنة ١٠٠٥هـ، وذكر فيه عدداً من مذاهب الأكراد. وذكر أن قبيلة «دنبلي» الكردية من التي دانت بالديانة اليزيدية.

ويذكر أن اليزيديين من مريدي الشيخ عدي بن مسافر أحد أحفاد الأسرة المروانية. وعقيدتهم هي أن الشيخ عدي كان مدفوناً في جبل «لاليش» الواقع في ولاية الموصل. وكان الشيخ عدي قد تعهد لهم الصلاة والصوم عنهم، وفي آخر الزمان سيقودهم إلى الجنة من غير حساب أو كتاب. ولقد توفي ـ على رواية السمعاني ـ سنة ٥٦٢. وعرفت هذه الطائفة بهذا الاسم منذ النصف الثاني من القرن السادس. وكانوا يُعرفون في أيام الشيخ عدي باسم العدوية، لأن عقائد اليزيدية منطبقة مع معتقدات العدوية في أمر يزيد بن معاوية الأموي.

٧ ـ علاء الدين القونوي في كتابه «حسن التصرف» شرح «التعرف لمذهب أهل التصوف» للقلاباذي، فقد أورد بعض آرائهم ومعتقداتهم، نحجم عن ذكرها لما تضمنت من خلط ومن هجوم.

وخلاصة هذا الفصل أن اليزيدية كانوا في بادىء أمرهم مجوساً، ثم دخلوا في الإسلام. وانتشر الإسلام بينهم في غير عمق بحكم موقعهم. إلى أن برز بينهم الشيخ عدي بن مسافر، فَبَثَّ دعوته إلى طريقته التي دعيت بالطريقة العدوية.

وكان اليزيديون أول الطوائف التي انقادت إلى الطريقة العدوية، ونسبوا

إليه أموراً كثيرة تسمو عن أي مخلوق. وحين توفي الشيخ عدي سنة ٥٥٧هـ برز من بينهم أشخاص ضلّلوا البسطاء منهم، وأبعدوهم عن شعائر الإسلام القويمة، وأعادوا إليهم عقائدهم القديمة التي ورثوها عن أجدادهم. وعقائدهم هذه نوع من العبادات الممنوعة والتعليمات غير العقلانية. ونحن لا نشك في أن الذين وجهوهم ووعظوهم أدخلوا في معتقداتهم أن يزيد بن معاوية من الخلفاء الصالحين الأتقياء، تحدياً سياسياً أو مذهبياً. فاعتدلوا في شأنه بادىء ذي بدء حتى سلكوه في مسلك آلهتهم المقدسة.

توزع اليزيدية جغرافيا

اتضح مما سبق ذكره أن الديانة اليزيدية انتشرت في المناطق التي يتوزع فيها الأكراد خاصة. ولكن لا يعني أنهم جميعاً أكراد. فقد ذكرنا أن من قبائل شمال الموصل قبيلة «ترهاية» وأنها كانت على دين المجوسية. ويظن أن هذه القبيلة هي من بقايا أقوام كانوا يعيشون في البلدان المجاورة (في إيران)، ثم هاجروا إلى مواقعهم الجديدة بعد أن انتشر الإسلام في بلادهم. واتخذت هذه القبيلة مرتفعات حلوان مضارب لها ومعتصماً تبتعد فيه عن الأنظار الحاكمة. ولما كان مجاوروهم من العرب فقد اضطروا إلى إخفاء معتقداتهم عن الأمراء المسلمين، بل أظهروا أنفسهم أنهم مسلمون، أو أنهم يعرفون بعض المظاهر الإسلامية، وسرعان ما أظهروا اعتقادهم بالدين الجديد. ولما كانوا بعيدين عن مراكز الثقافة الإسلامية فإنهم ما لبثوا أن عادوا إلى معتقداتهم القديمة شيئاً فشيئاً، إلا أنهم لم يستطيعوا أن يعودوا إلى كامل معتقداتهم القديمة لنسيانهم لكثير من شعائرها ولبعد الشقة.

وكان جبل سنجار موطن الأكراد من نصارى ومسلمين حتى ما بعد القرن الثامن الهجري. وحين حصلت هجمة «تيمور لنك» على بلاد العراق والجزيرة، وأثارت الرعب والفزع بين الناس ألجأت آلاف السكان إلى الهرب من وجوه التتار، بحثاً عن أماكن نائية حصينة. وكان سنجار ملاذ كثير من العناصر البشرية. ومن جملة من احتمى بسفوحه وقممه ٤٠٠ أسرة يزيدية من منطقة الشيخان بالموصل. ثم لحق بهم عدد آخر من سكان ديار بكر وحوض دجلة وغيرهما.

واستطاعت هذه الفئة أن تمتزج بالسكان النصارى والمسلمين، وتقتبس بعض عقائدهم، وتدخلها في دينهم، ولعل سبب قبولهم العقيدة الجديدة أنهم لم يكونوا من القوة التي تسمح لهم بالسيطرة، كما لم يكونوا من الثقافة الدينية الكفيلة بردع أي نفوذ آخر، ناهيكم عن أن اليزيدية كانوا فرساناً شجعاناً استطاعوا فرض سيطرتهم على الجبل. ومن أهم القبائل العربية الأصل التي دخلت في الدين اليزيدي :

١ ـ قبيلة الشهوان : كانوا عرباً ولسانهم عربياً، لكن أكثرهم نسوا دينهم ولغتهم .
٢ ـ قبيلة الهبابات : أصلهم من طيء .
٣ ـ قبيلة عمرا : يقال إن نسبهم يرجع إلى الخليفة عمر بن الخطاب[1] .
٤ ـ تازي : أصلهم عرب، وتازي أي عربي .

إلا أن بعض العشائر المسلمة الضعيفة ظلت محافظة على دينها الإسلامي من غير أن تتأثر بالدين اليزيدي منها : عشيرة الباباوات ـ الهلالية ـ كلب علي ـ عبد علي ـ الموسقورة ـ الخاتونية ـ بيت ناصو ـ . . .

أما قبائل الأكراد فهم أكثر عدداً، فمن قبائلهم في أنحاء الموصل : بكران ـ بردحلي ـ بلسين ـ بابيري ـ جوانا ـ جفرية ـ داسني ـ دملي ـ دنبلان ـ زيلكا ـ شيخان ـ صوعان ـ عزوي ـ قائدية ـ هسكان ـ هكاري ـ هوبرية. وهم كغيرهم من قبائل الأكراد لا يختلفون عن سائر قبائل الكرد في أنهم أهل قرى أكثر منهم قبائل. إلا أن طول الزمن وتوسع الرياسة على القرية أدى إلى أن يكونوا مجموعات عرفت باسم قبائل، كما هو الشأن في قبائل العرب .

وإن توسعهم في سنجار وحول الموصل، ولا سيما في المنطقة الغربية لدجلة في سنجار وشيخان حول معبدهم الأكبر وفي قرى متفرقة. وسنردد أسماء بعض هذه القرى، ونشير إلى معنى اسم القرية لنرى تأثير السريانية فيهم[2] :
١ ـ سنجار : كلمة تركية شرقية أصلها «سَنْجَر» معناها العقاب والباز، سميت به لمنعته .

---

١ ـ مدينة سنجار: ٢٦٤
٢ ـ يؤكد الأب أنستاس الكرملي سريانية الأسماء، بينما لا يوافق الأكراد على كثير منها .

٢ ـ شَيخان : أرض واسعة ذات قرى تُربي على العشرين، أصلها «شيخ» العربية ثم جمعت جمعاً فارسياً أو كردياً بالألف والنون .

٣ ـ بعشيقا : (أو بحشيقا) قرية على مسيرة ست ساعات ـ أو سبع ـ من الموصل. والكلمة سريانية معناها بيت المسحوق أو بيت المنكوبين. يدعوها ياقوت «باعَشوقا» والكلمة آرامية، وتقع في حضيض جبل «مقلوب». ولها وحدها الحق في تعليم أبنائها القراءة والكتابة .

٤ ـ باعِذْري : تبعد ٤٤كم شمال شرقي الموصل. والكلمة سريانية أو كلدانية بمعنى بيت الملجأ .

٥ ـ شيخ عادي : قرية الشيخ، قريبة من باعدري .

٦ ـ تجزاني : تبعد مسافة دقائق عن بعشيقا، ويقع فيها بعض المزارات. والكلمة سريانية معناها مكان الوحي .

٧ ـ عَنْسِفِن : سريانية معناها عين صافية .

٨ ـ شَيخدري : تصحيف «شيخ خضر» .

٩ ـ كَابار : سريانية معناها الجبار .

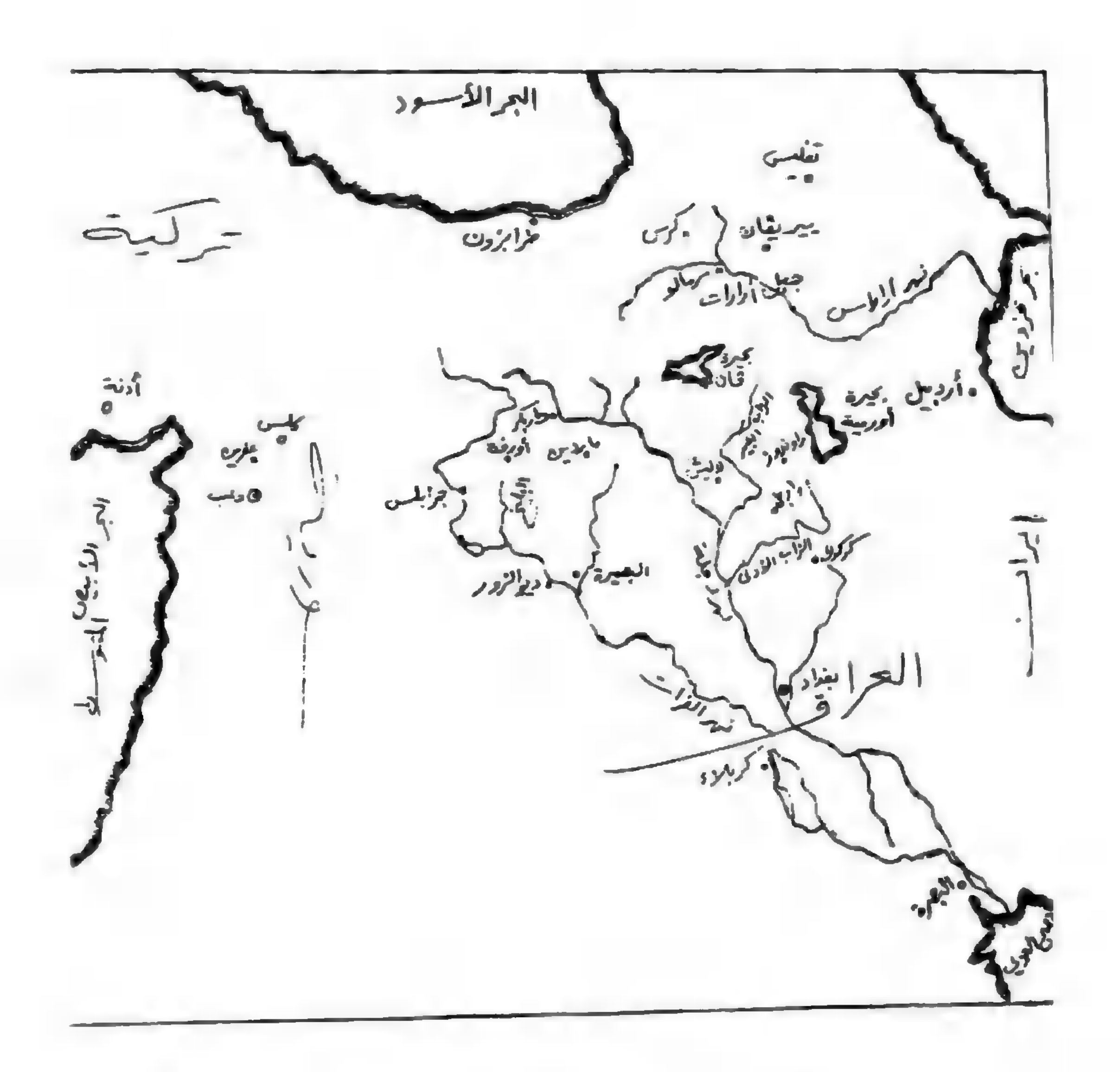
١٠ ـ تَلْخش : سريانية معناها تل الآلام .

١١ ـ باقِصْري : سريانية معناها بيت القصّارين .

ومدن وقرى أخرى منها : بوزان، خانكو قپاخ، ختار، دوغاتا، مقلُب، جكانا. والقرى كلها متجاورة، تقع عند حضيض جبل سنجار، وتحيط به إحاطة الهالة بالقمر. علماً أن جبل سنجار يُقطع بمسيرة ثلاثة أيام .

توزعهم خارج العراق

يعود وجود الطائفة اليزيدية في الاتحاد السوفيتي إلى غزو القياصرة حتى ما وراء القفقاس، وإلى حصولهم على بعض المناطق من أراضي الإمبراطورية العثمانية عام ١٨٢٩ . وعندما انسحب الجيش الروسي من الأناضول بعد حرب ٢٨ ـ ١٩٢٩ سُمح لحليفهم حسن آغا رئيس القبيلة الحسانلية أن ينقل قبيلته وقطعانه من المنحدر الجنوبي لجبل أرارات إلى إقليم «يبريڤان». وقد كانوا يرعون



أغنامهم صيفاً في المنحدر الشمالي لأرارات، وفي الشتاء كانوا يعيشون على الضفة اليمنى لنهر أراس. ولقد أصدرت وزارة الاقتصاد الروسي تقريراً فيه قائمة بسبع وستين أسرة، تضم ٣٢٤ نسمة.

وتوطدت العلاقات هناك بين الزيدية والأرمن. وازداد الاتصال فيما بينهم، وتداخلت العادات بين الطرفين حتى ظن بعضهم بأن الدين اليزيدي استقى من

الكنيسة الأرمنية منذ القرن العاشر. وحسب إحصاء عام ١٨٧٧ كان عدد اليزيدية في ييريڤان حوالي ثمانية آلاف نسمة.

وحدثت هجرة يزيدية أخرى عام ١٨٩٧ و١٨٨٢ حين تحركت قبيلة سبيكي نحو الغرب، وكان عمر آغا يقودها من منطقة بايزيد التي يحتلها العثمانيون إلى إقليم «قارس ـ Kars» الذي أُلْحِقَ بروسية. وبعد مضي سنوات كانوا قد أسسوا هنا أربع عشرة قرية يسكنها ١٧٣٣ نسمة. وأخذت الأعداد تزداد حتى وصلت إلى ٤٢٥٠٨ نسمة عام ١٩١٢؛ أكثر من ١٧٠٠٠ نسمة في ييريڤان و٢٠٠٠ نسمة في تفليس وما حولها، وأكثر من ٥٠٠٠ في المناطق الملحقة عام ١٨٧٧، وبعد أربعة أعوام بلغ عدد اليزيديين في ما وراء القفقاس ٤٠٨٨٢.

ولقد سجل إسماعيل بك جول في مذكراته أنه زار ما وراء القفقاس عام ١٩٠٨ ـ ١٩٠٩، وسعى إلى توحيد الصفوف اليزيدية ووضعها تحت حماية الكنيسة الأرمنية. وحين جرت الحرب العالمية الأولى، وتقدم الجيش العثماني في الأراضي الأرمنية أبى اليزيديون البقاء تحت حماية العثمانيين فانضموا إلى أفواج اللاجئين في جورجيا وأرمينية. بل إنهم حاربوا العثمانيين إلى جانب الأرمن.

وحين جرت انتخابات الأرمن عام ١٩١٩ للبرلمان خُصص كرسي لممثل اليزيديين، وكان ليوسف بيك تيموريان. وبعد الثورة البلشفية تعلق اليزيديون بجبل أركات (وهو أعلى قمة في القوقاز السوفييتية)[1].

أثبتت إحصائيات عام ١٩٢٦ أن ١٤٥٢٣ كردياً يزيدياً يعيشون في الاتحاد السوفيتي، و١٢٢٣٧ في أرمينية و٢٢٦٢ في جيورجيا، وأمكنة أخرى . . . على أن نسبتهم في أرمينية وحدها ٨٠٪ من الأكراد عامة. حافظ اليزيديون على حياتهم القبلية والرعوية حيناً من الزمان إلا أن قانون تأميم الأراضي الذي صدر ١٩٢٠ قلَّل من تشجيع اليزيديين على الاستيطان ومن سلطة الزعماء القبليين. وبدأ أبناء الزعماء بدخول الحزب الشيوعي. كما أدرك القوالون أن السلطات السوفييتية كانت تمنع رسائلهم من الخروج من البلاد، وبالتالي الحصول على أجوبة من

---

١ ـ صرح أحد أفراد قبيلة حسانلي للكاتبة الأرمنية M. Shaginian أن قبيلته قدمت إلى هذا الجبل من ڤان بزعامة المير آغا بيك في القرن ١٨.

باعَدري فأخذ مقام اليزيدية الديني ينحسر، وفَتحت لهم الحكومة مدارس تعليمية (على أبجدية غير عربية).

ولا يعني هذا أن اليزيدية ذابت تماماً فإحصاء ١٩٥٩ أعلن عن وجود ٢٥٦٢٦ كردياً يعيشون في أرمينية معظمهم من اليزيدية. واستمر وجودهم (ولا سيما الأعجاز) حتى عام ١٩٦٩، وهم محافظون على كثير من المظاهر الدينية بما في ذلك تقديم الاحترام للشيوخ. وفي عام ١٩٧٢ استقبل اليزيديون السوفييت ضيفاً مهماً من وراء القوقاز هو بيازيد بيك بن إسماعيل بيك جول (وكان الأب قد زار المنطقة كذلك قبل ستين سنة)[1].

وهم موجودون كذلك في تركية، توزعوا على محور مائل ومتقطع يمتد من حدودها الشرقية مع العراق والاتحاد السوفيتي، ماراً بديار بكر، وماردين، وجبل الطور، وكلس، وعين تاب. وكلهم من مناطق الموصل وسنجار، وامتداد هذه العشائر بلغ منطقة حلب.

أما في سورية فإنهم يتوزعون بين أكراد الجزيرة على الحدود التركية (في عامودة والحسكة والقامشلي). وامتداداً غرباً حتى حلب، فحول عفرين وأعزاز عدد من القرى جميع سكانها يزيدية مثل : عاشق كبار ـ فيران ـ باصوفان ـ قسطل جندو ـ بافلون. وقرى اختلط فيها المسلمون واليزيديون منها : باسوطة ـ برج عبدالو ـ قطمة ـ غزاوية ـ ترندة ـ قره باش (الفقيرة). وإذا نزلنا جنوباً من عفرين وأعزاز في طريق المسافر إلى حلب يصادف ثلاث قرى سورية تبعد مسافة عشرين كيلو متراً عن حلب سكانها يزيدية هي : برج القاس ـ تبراد ـ زوق الكبير، وموقعها غربي قرية «نبُّل» الشيعية. ولقد أخبرني قروي من قرية «ماير» أن جيرانهم بدؤوا يهملون معتقداتهم، وهم الآن يصومون ويصلُّون كالمسلمين. وفي هذه الحال يقول جيرانهم عنهم : «تسننوا».

ونجد داخل مدينة حلب عدداً من اليزيدية، نرجح أنهم ممَّنْ هجروا قراهم وانضووا في زحمة المدينة. وإذا نزلنا جنوباً ووصلنا إلى جبل سمعان عثرنا على ذكر

---

١ ـ اعتمدنا في هذا البحث على Guest في كتابه The Yazidis من فصله الذي كتبه بعنوان «اليزيديون في ما وراء القفقاس».

تاريخي وواقعي لهم. فابن الحنبلي[1] يذكر في أثناء حديثه عن «عمرو بن هُوير» أنه «كان من (قرية) مَعْراثا اليزيديةمن ضياع معرة النعمان». ويذكر ياقوت في معجمه أن معراثا: «عدة قرى من قرى حلب» ولم يذكر شيئاً عن معتقدات أهلها. وما زالت قرى اليزيدية اليوم منتشرة في جبل شيروان[2]. كما أن لهم وجوداً في دمشق ولكن على قلة.

ولهم مواقع في إيران ولا سيما في المناطق الغربية على حدود كردستان، ولكن بأسماء أخرى. كما أن بعض اليزيدية رحل إلى أميركة وألمانية. وقد حدثني أحد أبنائهم أن أوروبة تستقبلهم وترحب بهم، لأنهم من الأقليات!

ويقولون إن بعض طوائفهم موجودة في الهند، ولكن باسم آخر. وتدعى طائفتهم في الهند «لبخوس ـ Lepchos» وهم جيل من الناس يعيشون على سفوح جبال هيمالايا، عقائدهم تشابه عقائد اليزيدية كل المشابهة. ذلك أن أصلهم من اليزيدية الموجودين في سنجار. فيروى أن بعض دعاة هذا المذهب لما كثر عددهم قصدوا المشرق ليبثوا الدعوة لها. فلما دُحروا لغرابة دينهم لجؤوا إلى بعض الجبال، فاحتمى بعضهم بالجبل، وعاشوا هناك منزوين. ومازالوا على اسمهم لبخوس، كما يقول الأب أنستاس الكرملي.

نستدل من هذا الاستعراض المفصل على أنهم ليسوا جميعاً أكراداً، وحتى الأكراد منهم بعضهم مزيج بالسريان، وآخرون بالعرب، وفئة بالأتراك والعجم. ولهذا ترى ملامحهم ذات تقاطيع هندية أوربية، وبشرتهم بيضاء رقيقة صقيلة تتراوح بين الأبيض الوردي والأسمر، ووجوهم مسنونة (مخروطية). قدودهم رشيقة مَشيقة، وجماجمهم مستديرة، وعيونهم نجلاء أو دعجاء، وأنوفهم شماء، ولون شعورهم بين الأسود الفاحم والأشقر الذهبي. وترى فيهم تقاطيع العرب كاستدارة الوجه، وسمرة البشرة، وسعة العينين، وضخامة الأنف وثخانة الشفتين، وسواد لون الشعر. وترى فيهم تقاطيع الكرد، ولاسيما العنصر الذي دخل في القرنين الأخيرين لتوسطهم بين اليزيدية والفرس. أما لغتهم فهي الكردية (الشمالية)، حتى كُتِبَ كتاباهم المقدسان بها.

---

١ ـ في كتابه «الزبد والضرب في تاريخ حلب» وهي مخطوطة في حوزة المؤلف وتطبع الآن في جمعية إحياء التراث.
٢ ـ جبل شيروان (على اسم قبيلة شيروان) جزء من سلسلة جبال «ليلون» الواقعة شمال جبل سمعان.

عدد نفوسهم

لا يظنن المطالع بعد أن قرأ توزعهم الجغرافي والبشري أن عددهم كبير، كما أنه لن يتوقع أن نقدم له عدداً قريباً من الصواب؛ فلن ننسى أن كثيراً منهم قتلوا في هجمات ضارية وقعوا فيها فريسة بعض الحكام في القرون السابقة، ولاسيما العثمانيين، وأن ديانتهم تعتمد على الكتم في بيان نحلتهم والاحتفاظ بأسرارهم مبالغة شديدة، فبعضهم أظهر الإسلام تقيةً، وآخرون أسلموا حقاً. ثم إن عيشهم في القرى وبشكل قبائل يمنع من إجراء إحصاء دقيق لهم. وربما أن عددهم خارج العراق يعادل عدد يزيدية العراق.

وعلى هذا فليس بين أيدينا عدد رسمي لليزيدية لا في العراق ولا في غيرها من الأقطار. فالموسوعة البريطانية (طبعة ١٩٨٤) تذكر أن عددهم لا يتجاوز مِئَةَ ألف نسمة، ويرى «كوينيه ـ Guinet» أن عدد يزيدية سنجار قد بلغ في النصف الثاني من القرن التاسع عشر حوالي ٥٠٠ نسمة من مجموع السكان العام والذي يقدر بـ٦٠٠ نسمة وهذا رقم غير صحيح قطعاً. وتذكر مصادر أخرى أن عددهم بلغ ٨٠ ألف نسمة سنة ١٣٧٠هـ. وهيئة الأمم المتحدة أجرت إحصاءها عام ١٩٢٩ فرأت أن عدد اليزيدية في العراق أقل من ثلاثين ألفاً، وفي تركية حوالي ١٨ ألفاً. ويذكر الكرملي أن عددهم في غرَّة القرن الثامن عشر ٢٥٠,٠٠٠ ألف نسمة، منهم ٤٠٠٠ فارس، و ٨٠٠٠ راجل من الجنود، وأن عددهم نزل في مطلع القرن التاسع عشر إلى ٢٠٠ ألف، منهم ٣٠٠٠ فارس و ٦٠٠٠ راجل. وفي منتصف القرن التاسع عشر نزل إلى ٥٠ ألف نسمة، منهم ٢٥٠٠ فارس و ٥٠٠٠ راجل.

ومع كثرة الحروب والإغارات التي نكبوا بها، ورغم الهجمات التي مُنيت بها قراهم، فإننا لا نثق بهذا العدد المتفاوت تفاوتاً فاحشاً. ونرجح أنهم أقل من ربع مليون نسمة على أي حال. ونرجح كذلك أنهم يتجهون نحو الانقراض لأنهم لا يمزجون دماءهم بغيرهم، ولأنهم يختلطون بأهل المدن ويدخلون في المدارس والجامعات، ولأن فئة كبيرة منهم تنضوي تحت كنف الإسلام.

أحوالهم الشخصية

ثيابهم وأزياؤهم

ذكرنا أن القسم الأعظم من اليزيديين يحيا في شمال العراق، ومن البديهي أن يكون لهم في مناطقهم هذه كيانٌ خاص. فالمعروف أن خمسهم يحيا اليوم في محافظة الشيخان. والشيخان مركزُ إقامة الأعيان والأمراء منهم، بالإضافة إلى أنها مرقد عدد من شيوخهم ورجال دينهم. وثلاثة أخماسهم يعيشون في محافظة سنجار المنيعة الخصيبة؛ خمسهم في قُرى دهوك وزاخوا ومواقع كثيرة أخرى.

والذين يعيشون في محافظة الشيخان فئتان: فئة دينية على اختلاف مراتبها وسلالاتها، وفئة المريدين (العامة) وهي فئة كادحة مكافحة، تعمل جاهدة كي تسعد رؤساءها.

أما في سنجار فالتوزيع نفسه، إلا أنهم يختلفون قليلاً في المفهوم. فهم فئتان: فئة الجوانا، وفئة الخوركان (الكواجك). ولكل فئة من الفئتين المذكورتين فروع متعددة. فالجوانا [1] يرتدون القبعات الطويلة المصنوعة من الحرير، ويلفون عليها عمامةً قرمزية اللون أو كوفية سوداء. ويضفرون شعورهم وسوالفهم ضفائر عدة، ويرمونها على أكتافهم ورقابهم. وهم بهذه المظاهر يبدون نظيفين مرتبين أكثر من فئة الخوركان (الكواجك) [2]. وهم يدّعون أنهم قدِموا إلى جبل سنجار قبل الخوركان، ولهم آدابهم ورسومهم مما ليس للخوركان ذلك.

وهم لا يرتدون ألبسة زرقاء، ويعتقدون أن ارتداء هذا اللون حرام. ويفضلون اللون الأبيضَ لأنه لباس أهل الجنة. فألبستهم بيضاء ذات أزرار جانبية (إلى جانب الرقبة) بمعنى أنه لا يجوز أن تكون ألبستهم مفتوحة الصدر. ويلبسون كذلك السراويل القطنية، وحزاماً من الصوف، وهذا لبس العامة. أما رجال الدين فغالباً ما يرتدون اللون الأسود. والفقراء (الدراويش) يرتدون القمصان والسراويل، وفوقها قطعة من الصوف الأسود، ويدعونها «خرقة الفقير». وهذه

---

١ ـ معناها الفتيان. وجوان بالكردية والفارسية: الفتى. ذكرنا ألبسة الجوانا دون الخوركان لتميزها.

٢ ـ سيرد شرح هذه الطائفة. ويروون أن الشيخ شرف الدين هو الذي أمرهم بضفر الشعر ورميه على الأكتاف.

الخرقة مقدسة، ولا يجوز للمرء منهم أن يُقسم بها بهتاناً وزوراً. كما لا يجوز أَنْ تؤخذ منه الخرقة حتى يموت، أو ليُلبسوه غيرها إذا اهترأت. أما غطاء رأس الرجل - في غير سنجار - فكوفيةٌ يسمونها «يَشْماغ» [1]، وتكون بلون أحمر، أو عقال وكوفية حمراء، يلفّونها على الطريقة البغدادية، ويقولون لها «جراوية».

وألبسة الرجال تختلف عن ألبسة النساء. فملبوس الرجل: ١- الثوب الأبيض الذي يُزرُّ إلى الجانب أو الخلف، وصدره مجوبٌ جَوباً مستديراً إلى الثُنْدُوتين. ويفعلون ذلك تلميحاً إلى النور الذي نزل على الشيخ عدي بهيئة قرصٍ مستدير بعد أن صام أربعين يوماً. وهذا الجَوبُ يسمى «طوق يزيد». ٢- سراويلُ بيضاء على هيئة الشروال الشامي. ٣- عَمرة (ملبوس الرأس) هو عمامة بيضاء صغيرة الحجم. ٤- يَتَمنطقون بمنطقةٍ من النسيج من غير اعتبار لأي لون. ٥- ويلبسون في أرجلهم «كالات»[2].

أما لباس النساء فيتألف من: ١- عَمرة النساء وهي عبارة عن شيء يشبه عمامة الرجل، لكنها تأخذ وضعاً خاصاً، وتكون بيضاء أو سوداء والسوداء تسمى «پوشي» ومعناها بالكردية غطاء رأس المرأة الملفوف، عن المصدر الفارسي «پوشيدن» بمعنى الارتداء والتغطية. ٢- دَنداشة طويلة[3]. ٣ - سراويل تلبس تحت الدنداشة، وتكون من القطن المحلي الأبيض. وإذا رُئيتِ المرأة منهن قد خلعت سراويلها البيضاء دَلَّ ذلك على أنها عافت الديانة اليزيدية، أو ليست منهم. ٤- ملحفة تسمى «المئزر». وتلبس الملحفة بإرسال الطرف الواحد منها تحت الإبط الأيسر، ويُترك الجانب الأيمن من المرأة من فوق إلى تحت غير محجوب. ٥- والفقيرات يمشين حافيات، أما الغنيات فيلبسن «أجداك»[4].

أما نساء الأمير فيرتدين ما يحلو لهن من حرير وسندس و. . ولا شك أن

---

١ - يشماغ: كلمة تركية الأصل، وهو غطاء الرأس للنساء خاصة.

٢ - الكالة: كلمة بغدادية قديمة، يراد بها الحذاء الذي يتخذ وجهه من الخيف أو من كل نسيج غليظ، وبالأخص نسيج القطن والصوف والكتان. والكلمة فارسية معناها أصلاً الأنسجة المختلفة ولا سيما الغليظة، فسمي الشيء باسم ما يتخذ منه.

٣ - ويقصدون «الدشداشة» وهي الدراعة تتخذ من القطن.

٤ - مفردها «جدك»: وهي جزمة نسائية مع بابوج فوق الجزمة، والجزمة والجدك كلمتان تركيتان. ومعنى «جدك» الخف الداخلي، ويدعوها العرب «موق» أو «موزج» معربة عن «موزه» الفارسية بمعنى الخف.

اللون الأزرق محرم كذلك على النساء. لكننا اليوم قد نجد من يَرتدي منهم اللون الأزرق، ومن يفتح قميصه عن صدره. وهذا ليس دليلاً على أن رجال الدين تسامحوا معهم، بل على أن بعضهم أخذ يتحرَّر من تقاليده أو أنه يجهلها. إلا أن فئة متعلمة منهم اليوم تحاول أن تتخطى أمثال التقاليد والعادات التي ليست أساساً في معتقداتهم (عدا اللون الأزرق كما سيأتي).

وأختتم بحث مظهرهم في ألبستهم بما وصفه أحد الأجانب قبل ثمانين عاماً، لنتمكن من إجراء مقارنة بين ما كانوا عليه وما آلوا إليه اليوم. ففي نيسان من عام ١٩٠٦ سافر «مارك سايكس»، وهو بريطاني يعمل ملحق شرف في سفارة إستانبول، في طريق القوافل من حلب إلى الموصل، حيث كان المهندسون الألمان يعملون في سكة الحديد إلى بغداد، فمر بأطراف جبل سنجار، والتقى ببعض اليزيدية هناك، فوصفهم بأسلوب ظريف، قال:

«ملابسهم غاية في الغرابة؛ فعلى الرأس قبعة طويلة مخروطية بُنِّية الشكل، وملفوفٌ عليها عمامة سوداء أو حمراء، وأجسادهم ملفعة بقمصان بيضاء، مربَّعة الشكل عند الرقبة، وعباءة بُنية قصيرة، وأحذية مدبَّبة ملفوفة تكمل الزيَّ. عندما شاهدت هذه الأشكال الغريبة حولي بَدا لي وكأنني رجع الزمن بي أربعة آلاف سنة إلى الخلف»[1].

حرفهم وصنائعهم

ليس لدى اليزيدية صنائعُ يمتازون بها، ولا عهدَ لهم بالبيع والشراء أو بالتجارة بشكل عام، لأنهم يعلمون أن مثلَ هذه الأعمال تدفع بالمرء منهم إلى الغش والكذب والمكر. وهم يخشون عمليات التجارة بأجمعها حتى لا يسمعوا الكلام النابي والسب واللعن، ومؤدَّى ذلك كله إلى «طاووس ملك» والذي هو «الشيطان» في عرف الملل الأخرى. وهم إذا سمعوا من أحدهم إهانة موجهة إلى الطاووس الملك هدروا دمه.

ولهذا فإنهم يرتزقون بالزرراعة وتربية الأغنـ، وهذه هي حرفتهم

---

1 – The Yazidis, 137. مع تفصيل أكثر،

الأساسية. ومزروعاتهم كل أنواع الحبوب، عدا ما هو محرَّم عليهم طعامه وتداوله (مما يأتي). أما مواشيهم فعامَّةً، يستفيدون من ألبانها ولحومها وصوفها وفضلاتها.

وقد نجد اليوم بعضهم يتعاطى التجارة، والبيع والشراء في المتاجر. فإما أنهم يعصون أوامر عقيدتهم، أو أن شيوخهم تسامحوا معهم للحاجة الماسَّة المعاصرة.

طعامهم وشرابهم

لا يختلف طعام اليزيديين عن طعام المسلمين والمسيحيين في المنطقة. إلا أن اليزيدي يتناول الكثير من الجبن والبصل. كما أنه يأكل الكشك (لبن ينشف بعد غليه) كثيراً. ويفضِّلون خبز الشعير على خبز القمح، لأنه أقرب إلى روح الزهد التي يتمتعون بها.

وهم يأكلون اللحم قليلاً، وحين يصلُ موكب السنجق (كما سيأتي) إلى إحدى القرى وتُضحَّى بقرة أو كبش، وتقام وليمة لهذه المناسبة فإنهم يأكلون اللحم. وهم إذا كانوا في حضرة طاووس الملك يأكلون اللحم كثيراً، لأنهم يقدمون أفضل الأطعمة في هذا المقام وبلا حساب، ويشربون الكحول بأنواعه بإفراط، والاحتفالات ومجال الطرب والطوافات والرقص لا تكون بلا شراب عادة.

لكنهم يمتنعون عن أكل عدد من الأطعمة، ويعتبرون تناولها من المحرَّمات. فهم لا يأكلون لحم الخنزير ويعدون لحمه محرَّماً (كالمسلمين). ولا يأكلون لحم الأسماك تقديراً للنبي يونان. ولأنهم يقولون إن يزيد حين ترك بلاده طالباً بلاد اليزيدية انتظم السمكُ تحت أقدامه انتظاماً عجيباً، حتى إنه تمكن من المشي على ظهره في البحر إلى أنْ وصل إلى البر، فزال من تحت أقدامه الشريفة. وهم لا يشربون من كوز أو جرَّة أو قارورة «تبقبق»، لأنهم يزعمون أن ما يُبقبِقُ هو روح حية موجودة فيها (وسيأتي تفصيلها).

ومن الأطعمة المحرَّمة جدا: الخسّ، والملفوف، واللوبياء، والقرع، بل إن مجرد رؤيتها حرام. ويرون أن الخس أخسُّ ما خلقه الله على وجه الأرض. وإذا أرادوا أن يَعْنوه قالوا: «ذاك الوحش». كما يحرَّم على رجال الدين أكلُ لحم

الديكة، لأن طاووس الملك جاء على هيئة الديك. ولا يأكلون لحم الغزال بحجة أنه غُنم أحدِ أنبيائهم.

لكن بعضهم تهاون في بعض هذه الأطعمة (تهاون كثير من أصحاب الديانات الأخرى) ولا سيما في أسفارهم إلى بلاد الغرب، أو لاندماجهم في الحياة الحديثة، ولاعتقادهم بعدم جدوى هذه الأعراف.

التقويم

وهم استخدموا الحسابات البدائية كالظل، أو شروق الشمس وغروبها. كما استخدموا التقويم الشرقي الشمسي، والحساب القمري، واستفادوا من النجوم. وهم مازالوا ـ إلى عهد قريب ـ يؤرخون لحوادثَ بارزةٍ وأحداث تاريخية مهمة. واليومُ عندهم يبدأ بالغروب وينتهي به.

أما أسماؤهم فشبيهة جداً بالأسماء الإسلامية والعربية، مثل: سعيد، حسن، حسين، علي، شرف الدين، إسماعيل...

النكبات مع مسيرة التاريخ

لم يذكر التاريخ الإسلامي أنه تعثر في أثناء فتوحه بمثل هذه الطائفة، أو أن جيشاً إسلامياً واحداً حاربها، ولا سيما إذا غدت مجوسية في بادىء أمرها. كما أنهم منذ ربطت معتقداتهم بالشيخ الصوفي عدي بن مسافر لم يحاربوا لأنهم غدوا في عداد المسلمين. ولعل أول حرب وجهت إليهم مباشرة هي التي جرت بينهم وبين بدر الدين لؤلؤ حاكم الموصل أيام المستعصم بالله وبعيده، فقد كان لؤلؤ هذا أَلَدَّ أعدائهم وأولهم، فهو الذي قتل منهم الكثير وشردهم ومثل بهم، ونبش قبر الشيخ عدي. ولا بد لنا من أن نشير إلى أن حربه لهم لم تكن عن عقيدة بل من أجل جمع الضرائب بكثير من الجور، أو خوفاً من حركة أموية في شمال العراق.

وذكر المقريزي في السلوك ـ حوادث سنة ٨١٧هـ ـ أن قبر الشيخ عدي أحرق في منطقة الهكار، لأنهم رأوا أن أتباعه يتجمعون حول قبره ويجعلونه قبلتهم، ولقد خربت قبته، ونبش قبره، وأحرقت عظامه، وقالوا للأسرى الذين معهم: انظروا لمن تعبدون ماذا جرى له؟ إنه لا يستطيع الدفاع عن نفسه، ونهبوا وغنموا ورحلوا. عندئذ قام أتباعه بإعادة بناء القبة، وبإقامة شعائرهم المعهودة. وهذه أول هجمة عقدية عليهم.

إن تواكب النكبات على هذه الطائفة ـ من داخل منطقتها ومن خارجها ـ دفع شبانها إلى التدرب على حمل السلاح والفروسية، فاتصفوا بالشجاعة والبسالة والرمي منذ طفولتهم. وغدت البندقية ـ حين عرفت ـ من أقدس ممتلكاتهم، وأفضل ما يتزين به الرجال. كما أن غالبيتهم طلبت الاحتماء في جبل سنجار الحصين، وكأنه درع فولاذية تقيهم عاديات الإنسان، وتوزعت قراهم وتناثرت على السفوح، فكانوا إذا داهمهم عدو تركوا منازلهم وقراهم واختفوا في الكهوف والشقوق الجبلية.. أَلَيْسوا أتباع المتصوفة المعتزلين؟ فمن البديهي أن تطيب لهم أمثال هذه المواقع، فلا يخرجون من مخابئهم حتى ينزاح الخطر عنهم.

واليزيدية كغيرهم من العشائر العراقية (والسورية) المعروفة، بعضهم سكان مدن وبعضهم سكان خيام، ولا نتصور أن سكان المدن يبنون المنازل الجميلة، بل كانت منازلهم طينية وآجرية أو حجرية. أما البدو فهم الذين يطلبون مواطن العشب

والكلأ والماء، وهم الذين يسمونهم «الكواجر»[1]. ولا شك أن الجميع مستعدون للحرب وللاحتماء في الجبال إن لزم الأمر.

على أن المأساة الكبرى التي حلت بهم وهدت من كيانهم، وأنقصت من أعدادهم، وأفشت من أسرارهم كانت في السنوات الأخيرة من حكم السلاطين العثمانيين وبالتحديد أيام السلطان عبدالحميد الثاني. فقد اتجهت أنظار الباشاوات إليهم حينما اتجهوا للحروب شرقاً. ويعتبر شمسي باشا والي «وان» ـ وبعده محمد كور باشا ـ .. أعنف هؤلاء الولاة. ولقد أسهم هؤلاء الباشاوات في إلهاب الفتن الداخلية فيما بينهم. يذكر هنري لايار حادثة أليمة جرت عام ١٨٧١، مفادها أن عداوة كبيرة كانت قائمة بين أمير اليزيدية علي بيك ورئيس قبيلة القويشين «علي آغا بالطي». فدعا الأول الثاني لزيارته بحيلة قتله بها، فثارت قبيلة القويشين. ولما كانت قوتها أضعف من قوة اليزيدية فقد طلبوا العون من أمير «راوندوز» محمد باشا المعروف بأمير الجبل، فقبل لجوءهم إليه، وهاجم مناطق اليزيدية، وقتل منهم أعداداً كبيرة، ثم أعقبوها بحملة ضارية أخرى. ويروي لايار أن ربع السكان قتلوا في هاتين الهجمتين.

ويتأزم العداء بينهم وبين العثمانيين في مسألة التجنيد الإلزامي، فقد كانوا يدفعون البدل عن الجندية منذ ١٣٠٨ أسوة بأبناء الملل الأخرى، والذين تعتبرهم الدولة ذميين. أما في عهد السلطان عبدالحميد فقد تغير الوضع، ففي عام ١٨٩١ أصدر فرماناً بتشكيل «فيلق الحميدية»، وهو فيلق كردي من الفرسان غير النظاميين، للدفاع عن الحدود وعن أملاك الدولة وسلطتها في الداخل، ولما كان السلطان يعتبر اليزيدية فرقة متطرفة ضالة عن الإسلام فقد نظر إليهم نظرته إلى المسلمين، وفرض عليهم الانخراط في هذه الفرقة. لكن اليزيدية رفضوا الخدمة وعرضوا دفع خمسين ليرة ذهبية، فلم يقبل السلطان وأبى إلا أن يكونوا كغيرهم في الخدمة عام ١٨٨٥.

وفي ١٨٩١ وصل وفد من إستنابول مؤلف من ضابط وشيخين يحملون رسالة إلى اليزيديين، يطلبون منهم أن يعترفوا بأنهم كانوا مسلمين ثم انحرفوا، وعليهم الآن أن يعودوا إلى الإسلام، ورفض ميرزا بيك وشيوخه هذا الكلام وقال لهم:

---

١ ـ أصل اللفظة «كوچەر» وتعني الرحُل.

«كيف نكون مسلمين وديننا يسبق دينكم بآلاف السنين؟ ألم يكن «نَبوخُذْ نَصَّر» يزيدياً؟ ونرى أن العكس هو الصحيح ؛ فأنتم الذين افترقتم عنا وليس نحن» .

غضب الوفد العثماني وطالبهم بالضرائب المتراكمة عليهم . فإما أن يدفعوها ويبقوا على دينهم، وإما أن يسلموا فيعفون من الضرائب ويؤجل تجنيدهم. ولجأ اليزيديون إلى اللجنة التبشيرية الأميركية في أورمية، وكانت تعمل منذ ١٨٧١ . ولقد طمح «مايكل دول» جعل اليزيديين مسيحيين، لكن لم يتحقق له هذا الطموح . وفي النهاية سيقوا ـ ومعهم رئيسهم ميرزا بيك ـ إلى الثكنات وأكرهوا على الثياب العسكرية الزرقاء .

وفي عام ١٨٩٢ أرسلت الحكومة «عمر وهبي باشا»، وكان ضابطاً حازماً مقرباً من الصدر الأعظم، إلى الموصل لينجز ثلاثة أعمال، أهمها تأديب اليزيدية، فأرسل حملة تأديبية إلى سنجار، فقتل عشرة منهم، وجرح خمسة وثلاثين، وساق مئة وعشرين سجيناً إلى الموصل، ثم جمع عمر وهبي كثيراً من اليزيدية وأمرهم باعتناق الإسلام فأبى حوالي ربعهم، بينما البقية أعلنت الإسلام . وأجبرهم على إرسال رسالة إلى السلطان عبدالحميد يعلنون فيها أنهم انضووا تحت راية الإسلام في عهد السلطان، وتركوا طريق الخطأ والضلال، ومع ذلك فإن عمر وهبي أرسل حملة تأديبية أخرى لقتل فلاحي «شيخان» فأغاروا عليهم وقتلوهم ونهبوهم، ونقلوا من المزار أشياء مقدسة ووثائق هامة : خمسة صور برونزية على شكل الطاووس، وصورة برونزية بشكل الكبش، وعصا موسى البرونزية، وأفعى برونزية، ومشط للصوفي جنيد البغدادي، وطائر برونزي يدعى «شاهرور»، وحزام السيد أحمد الرفاعي، وسبحة السيد أحمد البدوي (ويسمونه أحمد الكبير)، وعصا الشيخ عبدالقادر الكيلاني، و. . . ولكن الطاووس العظيم والكتابين المقدسين لم تكن من جملة أغنامهم . وهاجموا بعد حين «بعشيقا» ودمروا مزاراتها .

ثم أمر قائد الجيش الشيخ أمين أفندي القره داغي أن يؤسس مدرسة دينية في مزار الشيخ عدي ، وعين له ولمن يعمل معه مرتبات شهرية ، فتوافد على المدرسة من أظهر الإسلام من اليزيدية وبعض الأكراد من المنطقة وعدد من فقراء الموصل، وقد امتد العمل في هذه المدرسة من ١٣١٠ ـ ١٣٢٢هـ حيث أقنع الوالي نوري باشا الباب العالي أن يدعوا اليزيدية وشأنهم، وأن يقبل منهم البدل النقدي كما كانوا

يفعلون، ويغلق المدرسة. أما يزيدية الموصل فلم يبدوا أي استعداد لقبول الإصلاح، واستمروا على عقيدتهم وعاداتهم، وحاربوا الجيش المغير عليهم، واحتموا بقمم الجبال، ولم تتوقف الهجمات عليهم حتى تدخلت السفارات الأجنبية وأوقفت الجيوش المعادية. لقد كانت الحكومة العثمانية تضغط عليهم ليتركوا دينهم ويدخلوا في الإسلام. وكانوا ـ هم بالتالي ـ مصرين على التمسك بعقيدتهم التي حافظوا عليها منذ مئات السنين.

وحين اشتد الضغط عليهم من قبل الولاة، ومن العاصمة، كتبوا عريضة رفعوها باسم زعمائهم إلى السلطان في ٢٨ شباط ١٨٢٧، وضّحوا فيها مبادىء من شريعتهم تمنعهم من الانخراط في الجندية الإلزامية، وفيما يلي بنود هذه العريضة الهامة[١]:

١ ـ على كل يزيدي صغيراً كان أو كبيراً أن يزور الطاووس ثلاث مرات سنوياً، بدءاً من مطلع شهر نيسان إلى آخره، ومن أول أيلول إلى آخره، ومن أول تشرين الثاني إلى نهايته، ومن لم يزره عدَّ كافراً.

٢ ـ على كل يزيدي أن يزور تربة الشيخ عدي مرة كل سنة على الأقل، وذلك من ١٢ ـ ٢٠ أيلول. ومن لم يزره عدَّ كافراً.

٣ ـ على كل يزيدي أن يستقبل طلوع الشمس كل صباح (وهم في ذلك يشبهون الهندوس) شريطة ألا يراه إنسان من أي دين كان. وإلا عدَّ كافراً.

٤ ـ على كل يزيدي أن يقبل يد أخيه الديني ويد شيخه أو پيره كل يوم.

٥ ـ لا يمكننا سماع المسلم وهو يصلي، وحاشا لله بقوله: «أعوذ بالله من ....» إلى آخره. وإذا سمع اليزيدي هذه الجملة فلا بد من قتل قائلها ثم قتل نفسه، أو صيام أسبوع مع أضحيَّة فداء للملك طاووس.

٦ ـ إذا حان حَينُ اليزيدي لزم أن يجالسه أخوه الديني وشيخه وبيره، أو أحدهم، ليلقنه: «يا طاووس الملك، جل شأنه، يجب أن تموت من أجل معبودنا الذي هو طاووس الملك جل شأنه، ولا تمت على غير دينك. وإن جاءك أحد

---

١ ـ راجع في ذلك مذكرات إسماعيل بك چول (اليزيدية قديماً وحديثاً: ٩٧ ـ ٩٩). وانظر كذلك المجلة الأميركية للغات والآداب السامية (AJSL)، المجلد: ٢٥، الصفحة: ١٥١ ـ ١٥٦، ومجلة الجمعية الألمانية الشرقية (ZDMG)، المجلد: ٥١، الصفحة: ٥٩٢ ـ ٦٠٤. وهذه البنود ذات أهمية كبيرة جداً، لأنها كشفت دقائق معتقداتهم بقلمهم. فاهتم المستشرقون بها وعلقوا عليها.

يكلمك عن الإسلام أو المسيحية أو اليهودية أو أي دين آخر فلا تصدقه ولا تؤمن بما يقول. وإن أنتَ آمنت بمعبود آخر أو صدقته أصبحت كافراً» .

٧ ـ على كل يزيدي أن يحمي تراب البركة أعني تربة الشيخ عدي، قدس سره، وعليه أن يذوق منه كل صباح، أو أن يضع شيئاً منه ليتناول منه ذرةً كل صباح، فإن لم يأكل منه عمداً، أو لم يرافقه في موته عدَّ كافراً .

٨ ـ على كل يزيدي أن يصوم في محل إقامته وليس في أي مكان آخر، إذ إنه يتحتم عليه لقاء شيخه أو بيره في منزله، ويفطر مساء من يده بالشراب المقدس، فإن لم يتناول فنجانين أو ثلاثة من هذا الشراب المقدس بطل صومه وكفر .

٩ ـ إن سافر يزيدي وغاب أكثر من سنة حرمت عليه زوجته، ولم يجز تزويجه من غيرها .

١٠ ـ إذا خاط يزيدي قميصاً فعلى أخي الدين (الآخرة) أن يفتح له طرف القميص .

١١ ـ على من خاط ثوباً جديداً أن يعمده بماء زمزم المبارك الموجود في حضرة الشيخ عدي .

١٢ ـ لا يجوز لليزيدي أن يرتدي ثياباً كحلية اللون[١]، ولا أن يرجل شعره بمشط مسلم أو نصراني أو يهودي، ولا أن يحلق رأسه بموسى حلاقتهم، ما لم تطهر بالماء المقدس من مقبرة الشيخ عدي .

١٣ ـ لا يرخص لليزيدي دخول بيت الخلاء ولا الحمام (ويستخدمون البرية والخلاء) ولا يأكل من طعام موضوع في إناء لا يخصه .

١٤ ـ يختلف اليزيديون عن الملل الأخرى بنوع أطعمتهم؛ فهم لا يأكلون السمك إكراماً للسمكة التي حفظت يونان النبي، ولا يأكلون القرع ولا الكرنب والباميا والفاصولياء، أما الحشيش المسمى «الخس» فهو محرم عليهم جميعاً، والأرض التي يزرع فيها الخس نجسة، ولا يجوز المرور بأرض زرع فيها .

ومن خالف بنداً واحداً عدَّ كافراً. مما يجعلنا لا نستطيع تأدية الخدمة العسكرية، ونقدم بدلاً نقدياً عوضاً عنها .

التواقيع: أمير شيخان ـ الشيخ الديني لناحية شيخان الشيخ ناصر ـ رئيس

---

١ ـ لعل تحريمهم للون الأزرق ـ على رأي تلميذنا المهندس آزاد علي ـ أن اللون الأزرق بالكردية هو «شين» أو «هشين» وهم يتهربون من هذا اللفظ لقربه من كلمة «شيطان» .

موسكان ـ رئيس قرية مام وشام . . بيرسليمان ـ رئيس ختارة أيوب ـ رئيس بليباك . . وعدد آخر من الأسماء البارزة لديهم .

ولكن، حين تحولت الحكومة التركية إلى جمهورية منحت الأقليات حرية الدين والمعتقد. وحين ظهرت الحكومة الوطنية في العراق في ٢٣ آب ١٩٢١ أعادت نظرها في الأقليات غير المسلمة، ومنحتها حرية الاعتقاد ما دامت لا تخل بالنظام والأمن والآداب، فاعترفت الحكومة بمعتقدهم. أما أميرهم فمصون غير مسؤول، وهو مشرف على طائفته، متول لأمورهم، مسؤول عن إدارة أوضاعهم، ولكن حين طالبت الحكومة العراقية الشباب بضرورة الانخراط في الجندية استنكف اليزيدية، وبنوا استنكافهم على عريضة ـ تشبه السابقة ـ فقدرت الحكومة العراقية مبدئياً وضعهم، بأن جعلتهم كتيبة واحدة منفصلة في لباسها وطعامها ومسكنها وطرز حياتها . إلا أن اليزيدية لم يستجيبوا لهذه التسهيلات فأعلنوا العصيان والتمرد. فأرسلت الحكومة فرقة لإخضاعهم في ٧ تشرين الأول عام ١٩٣٥، وختم يوم المعركة بمقتل مئة يزيدي، ولما أدرك اليزيديون أنهم غير قادرين على التصدي والمجابهة أطاعوا وصالحوا، ودخلوا في الحياة الاجتماعية، وأدركوا معنى التعلم، فأقبلوا على المدارس، وبرعوا في اختصاصاتهم، وتخرجوا من دور المعلمين وغدوا معلمين .

أما يزيدية سمعان، فمع أن ما هو موجود منهم لا يشكل شيئاً ذا بال بالنسبة إلى نسبتهم في العراق أو في تركية، فإن التاريخ لم يسجل لهم عناداً واحداً، كما أن الحكومات الوطنية لم تعاملهم معاملة سيئة أو مخالفة في معاملتها لأبناء الوطن جميعاً، فهم دخلوا في الجندية[1]، كما أقبلوا على المدارس والجامعات، ويوجد عدد منهم في كليات الجامعات مثلهم مثل أي فرد في هذا الوطن .

ولعل مما تجدر الإشارة إليه أن إسماعيل بيك كان من الأمراء المتنورين، والذين أدركوا أهمية العلم وضرورته، فأدخل أولاده أرقى المدارس في بيروت وتخرجوا منها. وتعتبر ابنته الأميرة «ونسة» أول فتاة يزيدية تخرجت من علومها العالية في الجامعة الأميركية ببيروت، وَأَسْهَمَتْ في مراجعة مذكرات والدها للعمل على طبعها .

---

١ ـ يذكر غست أن الحكومة العثمانية أرسلتهم إلى اليمن، ولم يعودوا .

الدارسون المحدثون لهم

مع أننا ذكرنا بعض كتب التاريخ القديمة التي نوهت بهذه الطائفة، فإن صفحتهم ظلت منسية عبر السنين، ولم يعرف مقامهم إلا في القرنين الأخيرين حين نهد بعض السياح والمبشرين يجولون تلك البقاعِ المهملة. وقد اهتم بهم المستشرقون ليكشفوا معتقداتهم وعاداتهم وأرومتهم، عملاً باهتمامهم بالأقليات.

ولعل أول من سجل معتقداتهم وأعرافهم مبشر كاثوليكي فرنسي في حلب، كما أن المبشرين الطليان سجلوا في العراق بين ١٧٦٩ ـ ١٨١٠ بعض معتقداتهم. أما التقرير العلمي الدقيق فهو الذي كتبه «أوغست نيندر» أستاذ الدين في جامعة برلين عام ١٨٥٠، وازداد بعده الاهتمام بهم، ولا سيما حين نشرت الصحيفة الفرنسية «المجتمع الآسيوي» ملخصاً عن دينهم، مأخوذاً عن مصادر يزيدية.

وعثر أحدهم في الموصل على نسخة مخطوطة بالعربية لكتابيهم «الجلوة» و«رَش» فنشرهما بنصيهما في إحدى المجلات الأميركية مع ترجمة لهما بالإنكليزية، كما عثر أحد علماء المشرقيات بالنمسة على نسخة منها بالعربية والكردية فطبعهما بنصيهما، مع ترجمة نمساوية لهما في فيينة.

وزار ممثلو رئيس أساقفة كانتربري لاليش ١٨٦٨، وزار مناطقهم القس Calob Gates من شيكاغو في أثناء زيارته للمجتمع البروتستانتي في الموصل، وزار ميرزا بيك في «باعدري» عام ١٨٨٣. وصادق نيقولا سيوفي الملا حيدر المقيم في «بعشيقا»، فزوده بمعلومات مهمة فنشرها عام ١٨٨٢ وعامٍ ١٨٨٥ في «المجتمع الآسيوي» بباريس، وذكر في بيانه أن في سنجار ٨٣٦٠ يزيدياً، و٤٥٠ مسلماً، ولا يوجد مسيحي واحد.

وحصل قنصل روسية «ياري كارتسوف «Yari Karstov» على نسخة مخطوطة عربية حول مبادىء اليزيدية التي كتبها الراهب «ربان هرمزد». كما أنه زار لاليش مع الشيخ نصر، وأفاد من ملاحظاته، وزار مرقد الشيخ. وذكر أنه شاهد تمثال «الملك طاووس» ويقدر وزنه بـ ٦٧٨ باوند، وهو أصغر خمس مرات من النسخة الأصل. وكتب «بروسكي» مقالة ونشرها في مجلة ألمانية، وهو أول تقرير روسي عن زيارة وفدهم إلى مناطق اليزيديين، نشرت عام ١٨٨٦، واستمر نشر المعلومات حتى

١٨٩١ . وفي عام ١٨٨٦ أمضى Rily يومين في لاليش، وزار المواقع المقدسة، وكان بحثه أفضل من بحث كارتسوف لأنه كان يحمل آلة تصوير معه. وفي عام ١٨٨٧ زارهم مبشر يدعى «كانون ماكلين»، وقابل الشيخ نصر في «عين سفني» .

وبرز دور المجلات العربية بنشر مقالات عن هذه العقيدة وهذه الطائفة. فكان من أهمها: مجلة الجنان (ج٧/ ص٥٢٥) ـ مجلة المقتطف (ج١٣/ص٣٩٣) مجلة الضياء (ج١/ص٧٠٥) ـ مجلة المشرق (ج٢/ص٣٢ و١٥١ و٣٠٩ و٣٩٥ و٥٤٧ و٦٥١ و٧٣١ و٨٣٠). ومن الكتب الأجنبية التي اعتنت بهم ودرستهم:

A.H. Layard - Nineveh its Remains, 2 Vols, London, 1849.

- Discoveries in the Ruins of Nineveh and Balylon, London 1853.

E.G. Browne - The yazidis of Mosul, Appendix to O.H. Parry, Six Months in Syrian Monastery, London, 1895, pp 357- 385.

W. A and E.T. Wigram - The crodle of Mankinol, London 1914.

Isya Joseph **Yazidi Texts.** AJSL.

Bittner KAWW

وسيرد في خاتمة البحث مراجع عربية وفارسية وكردية وإنكليزية رجعنا إليها .

الفصل الثالث

معتقداتهم وشرائعهم

الله وخلق الكون

بعد أن بينا في الفصلين السابقين منشأ اليزيدية وترجمة الشيخ عدي بن مسافر، وعقدنا همزة الوصل بين هذا الرجل الصالح وهذه العقيدة، نرى أن نستعرض فيما يلي عقائدهم وآراءهم في الله والكون وملائكته السبعة والملك طاووس، وخلق آدم، وأفكاراً أخرى متفرقة . .

فاليزيديون يؤمنون بإله واحد ويخاطبونه باللفظ الكردي «Khuda» ويؤمنون بأنه الضابط الأساسي لكل ما في الأرض والسماء، والمحرك لهذا الكون، وهو نفسه خالق الإنسان. وهم يعتقدون أن الله كان موجوداً على البحار، يتجول على مركبته قبل أن يخلق السماء والأرض. ثم خلق الدرة البيضاء من سره العزيز، وخلق طائراً اسمه «انفر»، وجعل الدرة فوق ظهره، وسكن عليها أربعين ألف سنة .

وبعد ذلك شرع بخلق الملائكة، فخلق سبعة تعينه، في كل يوم واحداً، وأول يوم خلق الله فيه هو:

يوم الأحد، خلق فيه ملكاً اسمه «عزرائيل» وهو طاووس ملك، رئيس الملائكة .

يوم الإثنين، خلق فيه الملك «دَردائيل»، وهو الشيخ حسن .

يوم الثلاثاء، خلق فيه الملك «إسرافيل»، وهو الشيخ شمس .

يوم الأربعاء، خلق فيه الملك «ميكائيل»، وهو الشيخ أبو بكر.

يوم الخميس، خلق فيه الملك «جبرائيل»، وهو سجاد الدين.

يوم الجمعة، خلق فيه الملك «شمنائيل»، وهو ناصر الدين.

يوم السبت، خلق فيه الملك «نورائيل»، وهو فخر الدين .

وعيَّن الله «الملك طاووس» رئيساً عليهم، ثم خلق صورة السماوات السبع والأرضين السبع، والشمس والقمر، وعين لكل ملك عملاً، ففخر الدين «نورائيل» خلق الإنسان والحيوان والطير والوحش. وخلق جبرائيل بصورة طائر، وأرسله وبيده صنع زوايا الأرض الأربع . ثم خلق مركباً ونزل بالمركب ثلاثين ألف سنة، ثم استقر في لاليش. ثم صاح في الدنيا فجمد الحجر وصارت الدنيا أرضاً

«مدورة بلا تخلل». وبدأت تهتز، فأمر جبرائيل أن يأتيه بقطعتين من تلك الدرة البيضاء، فوضع واحدة تحت الأرض، والأخرى في باب السماء فسكنت الأرض. ثم صنع الشمس والقمر والنجوم من القطع المتكسرة من الدرة البيضاء، وعلقها في السماء للزينة.

ثم غضب الله من الدرة البيضاء فرفسها، فصار من ضجيجها الجبال، ومن عجينها التلال، ومن دخانها السماوات، ثم صعد إلى السماء وثبتها، من غير عمد. وخلق أشجاراً مثمرة ونباتات في الأرض والجبال زينة لها. ونزل إلى الجبل الأسود وخلق ثلاثين ألف ملك، وفرقهم ثلاث فرق، وشرعوا يعبدونه أربعين ألف سنة، ثم أسلم أمرهم إلى طاووس ملك حيث صعد بهم إلى السماوات.

ولاحظنا أن بدء خلق الكون سبق خلق آدم، وأن موضوع القوى هي التي أوجدت العالم، وأنها اختلفت عن آراء الأديان كلها ـ بما في ذلك الزردشتية ـ لكنها اتفقت معها جميعاً في أن رب العالمين هو الأساس الأول، وهو الموجود منذ الأزل. ولقد حاولنا ترتيب خلق الكون ترتيباً زمنياً، مستعينين بذلك على «مصحف رش» إلا أن ذلك تعذر علينا لعدم كتابته على نسق، واتفق معتقدهم مع معتقدات سماوية أخرى بأن هذا الكون كله خلق قبل آدم ومن أجله، وأنه خلق الفردوس ليحيا فيه آدم حياته الأولى، وخلق الأرض ـ مسبقاً ـ لينزله إليها.

الله خالق البشر

أراد الله أن يوجد العالم والخلق فقال لملائكته: «يا ملائكتي، إنني أخلق آدم وحواء والبشر منهما، وسيحيا نسل آدم على وجه الأرض. وستنتظرون بعد ذلك ملة طاووس ملك أو ملة اليزيدية».

ثم تجلى الرب في أرض القدس، وأمر جبرائيل أن يجمع له ذرات من أطراف الدنيا الأربعة، فخلق من تلك الذرات العناصر الأربعة والتي هي: الماء والهواء والتراب والنار، ونفخ فيها فخلق منها آدم، وجعل فيه روحاً من قدرته، وأمر جبريل أن يدخل آدم الجنة، وسمح له أن يتناول ثمارها عدا القمح، فمنعه من أكله، وبعد مرور مئة سنة سأل طاووس الملك الله: وكيف يزداد نسل آدم؟ وأين نسله؟ وقال له الله: إنني أوكلت أمر البشر ونسل آدم إليك. فجاء طاووس ملك إلى آدم وسأله:

أأكلت حنطة؟ قال آدم: لا، لأن الله نهاني عنها. فقال له: كل منها، وهذا أفضل لك.

وحين أكل آدم من القمح انتفخت بطن آدم فوراً، فأخرجه طاووس ملك من الجنة وتركه وحده وصعد إلى السماء، وتضايق آدم كثيراً من بطنه لأنه لم يكن له مخرج يخرج منه البراز، فأرسل الله طائراً ذا منقار، فنقر له مخرجاً في ظهره، فاستراح آدم. عندئذ أمر الله جبريل أن يهبط بهما إلى الأرض بعد أن خلق حواء من ضلعين من تحت إبطه الأيسر، فالله لم يطرد آدم وحواء لعصيانهما عليه عز وجل، بل لأنهما دنسا جنة النعيم ببرازهما بعد أن أكلا من سنابلها، فأتخما وتألما من التخمة، وحين أفرج عنهما الطائر بفتحه منفذاً في جسديهما وأراهما بذلك طبيعتهما أخرجهما حتى لا يدنسا الجنة.

وأراد كل من آدم وحواء أن يكون لهما بشر من نسلهما من غير أن يتلامسا، وبعد أن طال نقاشهما ومذاكراتهما قر رأيهما على أن يصب كل واحد منهما شهوته في إناء، وأن يختم كل واحد منهما إناءه بمهره. وبعد مرور تسعة أشهر فتحا إناءيهما، فكان في إناء آدم صبي وبنت، وفي إناء حواء ديدان وحشرات، وكان من نسل الصبي والبنت ذرية الطائفة اليزيدية. فأرضع آدم طفليه من ثدييه اللذين خلقهما الله له. ومنذ ذلك الزمان ظهر للرجال أثداء.

وبعد ذلك التقى آدم حواء على جبل عرفات وتصالحا، وقررا أن ينجبا نسلاً لهما، ولهذا فإن اليزيدية جميعاً من نسل آدم وحده وسائر البشر من آدم وحواء معاً.

ثم نزل الملك طاووس إلى الأرض وأقام ملوكاً لطائفتهم، فكان - عدا الملوك الأثوريين - نسروخ وهو ناصر الدين، وكاموش وهو الملك فخر الدين، وأرتيموس وهو الملك شمس الدين، وبعد ذلك صار لهم ملكان تابعان لهم هما شابور الأول وشابور الثاني، وقد دام ملكهما مئة وخمسين سنة، ويعتقدون أن نسل أمرائهم منهما. كما كان من ملوكهم «أحاب» وملك بابل «بختنصر».

والملائكة تنزل إلى الأرض تباعاً في مطلع كل عام لتنشر العقيدة والتشريعات.

دموع آدم وجهنم

يقولون إنَّ الله كان قد خلق جهنم منذ الأزل لأبناء آدم العصاة. وإذا كان آدم أول من أخطأ من الناس، وعرف ما يكون من حاله عمل بُقبوقاً (ويريدون به الكوز) ليحفظ به دموعه، فامتلأ الكوز في السنة السابعة فأخذه من فوره وأفاضه على نار جهنم، فانطفأت نيرانها للحال، ونجا بهذه الصورة هو وذريته من لهب النار الحامية.

الملك طاووس وعبادة الشيطان

علاقة الشيخ عدي بتقديس إبليس:

لم يكن الشيخ عدي، رحمه الله، مجرد شيخ منزو زاهد، بل كان واعظاً مربياً، مهتماً بتهذيب الأخلاق وتقويم الطبائع، فكان إذا جلس إلى مريديه وعظهم ورشدهم، ولا شك أن درسه كان ذا جاذبية متميزة، حتى تعلق بمجلسه عدد غفير من الناس، كانوا يؤمُّون منزواه ويطلبون منه لقاءهم ووعظهم، ولقد بدت آراؤه جلية في نفوس الناس، حتى نفذت إلى ضمائرهم، وغدا قدوة جليلة لهم. لكن الناس ضخموا كلامه وقدَّسوه حتى غدت مواعظه ونصائحه عقيدة راسخة في القوم.

ومما كان شائعاً بين سكان تلك البقاع السبُّ واللعن، فأمرهم الشيخ بترك الشتم واللعن، وعدَّه إثما كبيراً ويروى أن منعه اللعنَ شمل إبليس. ووُفِّق الشيخ عدي إلى إبطال اللعن عن أي شخص أو أي شيء، ووجَّه الناس إلى العبادة والتقوى. وتطور الأمر عندهم حتى اعتبر اليزيدية لعن إبليس حراماً (كما سيأتي) وجزءاً من أصول عقائدهم، وبعد وفاة الشيخ عدي تطورت هذه الفكرة بين الناس. حتى اعتقدوا أن الشيطان شريك الله في خلق الإنسان.

وليست هذه الفكرة جديدة أو مخفية، لأن كثيراً من الملل والنحل تعتقد بها. فهم يرون أن هذا كان منذ أيام المشرِّع الأول، في صُلب معتقدهم، وهم إما نسوه بعد وفاة المشرِّع الأول، واعترى عقيدتهم التغيير والتبديل، وإما أهمل عن طريق البدعة، أو عن طريق أهواء القائمين على الأديان، أو مراعاة لدرجة جهالة الناس، وهذا ما جرى في الديانة اليزيدية.

على أن بعض المعتقدات الآريائية تفضِّل إبليس على آدم، وما شعرُ بشار بغريب عنا. كما أن بعض المتصوفة والمتكلمين كانوا يميلون إلى إبليس. فقد جاء في «شرح نهج البلاغة» لابن أبي حديد أن أبا الفتوح أحمد بن محمد الغزالي ـ وهو أخو أبي حامد الغزالي الفقيه الشافعي ـ كان واعظاً حسن البيان والأداء، وناصحاً بارزاً، قدم من مشهد إلى بغداد، واشتغل فيها بالوعظ، إلا أن طريقته فيها كانت منكرة، لأنه كان يتعصب لإبليس ويقول: إنه سيد الموحِّدين، وإبليس سيد العَبَدة. ويروى

أنه صعد المنبر يوماً وقال: من لم يتعلم التوحيد من إبليس فهو زنديق؛ أمره ربُّه أن يسجد لغيره فأبى. كما اشتطَّ بعض المتكلمين كالنظّام، فزعموا أنه تعالى لا يقدر على شيءٍ من الشر، وأن إبليس يقدر على الخير والشر، ذكر ذلك ابن الجوزي في كتابه «تفليس إبليس». فمن هذه المقولات، ومما توارثوه نشأ الاعتقاد بالشيطان عند اليزيدية.

وليس في عقيدة الشيخ عدي ما يخالف الأصول المعروفة في عقائد أهل السنة والجماعة، ولا أي حديث عن الشيطان يخرِّج اعتقاد اليزيدية عليه سوى ما روي عنه أنه قال لهم ـ لما وجدهم كثيري اللعن والشتم فيما بينهم: «أحجموا عن لعن الناس؛ فاللعن على الأحياء والأموات غير مستحبٍّ». فتوسعوا في هذا الكلام، وضمُّوه إلى ما توارثوه من معتقدات، وما اطلعوا عليه من آراء خلفاء الشيخ عدي حتى حرَّموا اللعن على إبليس، وحرَّموا ذكره على ألسنتهم خيراً أو شراً. ثم رفعوا من مقامه حتى أوصلوه إلى مقام الألوهية الشامخ.

وصاروا إذا لعن أحدهم الشيطان أمامهم غضبوا عليه أشد الغضب، ولا يتركون اللاعن ما لم يقتلوه، وقتله واجب أينما كان وحيثما وجدوه. ويعدُّون قتله من أعمال البرِّ السامية.

مقام طاووس ملك

يقولون: «. . . إن الله الذي لا حد لجوده ومحبته للخلائق لا يفعل بهم شراً لأنه صالح. أما الشيطان فهو منقاد إلى عمل الشر. وعليه فالحكمة تقضي على من يريد السعادة أن يهمل عبادة الرب ويطلب ولاء الشيطان»[1].

على أننا نتوقع أن تقديس طاووس ملك جاء من موقف إبليس من مسألة السجود لآدم. فهم يرون أن الله اختبر ملائكته في السجود لآدم، فأشركت الملائكة بسجودها لغير الله، وأبى إبليس أن يشرك. ولهذا اختاروا له أن يكون رئيس الملائكة، بل أول المخلوقات. جاء في كتاب «الجلوة»: «الموجود قبل كل الخلائق هو ملك طاووس». وإن قصة رفض «عزازيل» ـ وهو اسمه أيضاً ـ

---

١ ـ موسوعة العراق الحديث: ١٠٠٥/٢

الانحناء إلى آدم وطرده من الجنة قصة قديمة يعرفها اليهود والنصارى والمسلمون. لكنهم يختلفون في العرض والأداء الوصفي.

ومن أسمائه كذلك عندهم «كاروبيم»، وهو بعد رب العالمين، وسيد الكل، وضابط الكل، ورازق الكل. بيده اليمني الخير وبيده اليسرى الشر، يعطي الخير من يشاء، ويأخذ ممن يشاء، ويلقي الشرَّ على من يشاء، ويزيله عَمَّن يشاء.

ولهذا نرى اليزيدية يترضَّونه كل الرضا، فأقاموا له أياماً مشهودة، وأعياداً معدودة، وطوافات معلومة، وحفلات مرسومة، ويقولون: «إنما نكرم الطاووس الملك دون رب العالمين لأن هذا الطاووس مصدر كل الشرور والنحوس. فإن لم نستلفت أنظاره علينا لم نتخلص من انتقامه. وإذا ترضيناه فزنا بسعادة الدنيا والآخرة. أما رب العالمين فهو عين الخير والصلاح، لا يرى فيه أدنى عيب أو وصمة. بل هو العصمة والجودة والرحمة، لا يحقد على أحد إلى الأبد، حتى إنه يتصالح مع الطاووس الملك، ويرجعه إلى عليين؛ ولهذا فمن يلعنه يهلك.

هذا التقدير السامي لطاووس ملك، بشكل يختلف عن جميع الأديان والمعتقدات، أوهم الناس أنهم يعبدونه، والتقديس شيء والعبادة شيء آخر، وهم إنما يعبدون الله رب العالمين. ولهذا - وإبعاداً عنهم هذه الشبهة - يقولون: «إننا لا نعبده بل نترضّاه ونسترشده».

وهم إذ يكرِّمونه يريدون أن يكرِّمه غيرهم، وعندهم لفظة «شيطان» كلمة احتقار وإذلال وكفران، لذا لا يلفظونها البتّة[1] ولا يريدون أن يلفظها أحد أمامهم. وإذا لفظ أحد كلمة شيطان بسوء حلَّ قتلهُ. وهم يُحجمون عن كلِّ ما يشبهها اشتقاقاً أو لفظاً أو روياً أو أحرفاً، بالعربية أو الكردية. فلا تقل أمامهم أبدا: شط، بطّ، حيطان، بستان، سرطان، سطانة (اسم حلزون لديهم)، لعنة، نعل. وإذا اضطر أحدهم إلى استخدام مثل هذه الألفاظ بحث عن مترادفات لها، أو عبر عنها بعبارات مستطيلة للعدول عن الكلم المحرَّم. فإذا أرادوا لفظة «شيطان» قالوا: هو، أو ذلك الرجل (ميريك)، وإذا أرادوا لفظة

---

١ - جاء في كتاب الجلوة: «ولا تذكروا اسمي وصفاتي لئلا تذنبون».

الشط، قالوا: الماء الكبير. والمشط بالكردية «شه»، لكنهم لا يلفظونها، بل يصفونه بقولهم «داركي سَري» أي خشبة الرأس.

شكله وهيئته

اختلف الباحثون في وصف الطائر الذي يدعوه اليزيديون بطاووس ملك، وتفننوا كثيراً في تصويره. فيرى أغلب الغربيين أن المقصود به هو ذلك الطائر المعروف، وصوّروه بشكل طاووس. غير أن بعض الكتب العربية المتأخرة صورته بشكل بطة أو ديك.

ويقول إسماعيل بيك:[1] «إن ملك طاووس تعمل له صورة من درٍّ الجنة. وتقول الصورة: أنا رئيس الملائكة عملت هذه الصورة من در الجنة للأمة اليزيدية حتى يسجدوا لها. والذي يزور هذه الصورة يزورني، وأمحو كل خطاياه، وأقبل صومه وصلواته. وهم يسجدون ويمدحون ويدقون الدفوف، وينشدون المدائح في حضرته. وفي هذه الحال يقف اليزيديون احتراماً، فيفرح ملك طاووس معهم ويقبل عبادتهم. ويطوفون به في القرى والمدن، ويجمعون الهبات. وإذا دخلت الصورة بيت أحدهم شرف وبورك مقامه عند الله. ويقولون: إن الملك طاووس يدبر الكون منذ ستة آلاف سنة، وسيبقى التدبير بيده إلى نهاية عشرة آلاف سنة، والملائكة متفقون فيما بينهم».

وهم يصنعون تمثاله بحجمه الطبيعي من البرونز ويسمى «أنزال ـ Anzal» ويزن أكبر تمثال ٧٠٠ باوند[2]. ومعروف لديهم كذلك بطاووس منصور، ويعلق على حامل أشبه بحامل الشمعدان. ولنا حديث آخر عنه في بحثنا عن «السناجق».

وفيما يلي دعاء لله تعالى، يدَّعون أنه قول طاووس ملك[3]:

يا ربِّ علا شأنك وعلا مقامُك
يا ربِّ أنت الكريمُ وأنتَ الرحيم
يا ربِّ دائما أنت الإله.

---

١ ـ اليزيدية قديماً وحديثا: ٩٤

2 - Britannica.

٣ ـ مترجم من كتاب «ئيزدياتي»، مقطع من الصفحة: ٢٤

وأنت أهل للمدح والثناء الدائمين
يا ربِّ أنت الملك الكريمُ
وأنت مالك العرش العظيم
يا ربِّ أنت القديم منذ الأزل
أنت الكامل والتام
يا ربِّ دائماً أنت الإلهُ

فكرة الخير والشر

الخير والشر من الأفكار الأصيلة والعريقة في القدم لدى البشر. وهي مغروسة في عقولهم منذ يوم الإنسان الأول. ويعزو بعض المفكرين من علماء الأديان هذه الفكرة إلى أنها السبب في قبولهم الديانات، وميلهم إلى الإيمان. وجليّ جداً أن مظاهر الطبيعة وعوامل الكون ذات أثر عميق في فكر الإنسان، وهي التي تمنحه حركة معنوية وعقيدة خاصة فيه أو في الجماعة. ولهذا السبب نرى الفكر متفاوتاً بين البشر، أعني أنهم يختلفون في كيفية الاستنتاج من مظاهر الطبيعة. ففئة ترى في العوامل موجبات للراحة والأنس، وفئة تراها موجبة لإحساساتهم بالسوء والخطر والرعب.

فلكل إنسان نوع من العبادات؛ فإما عبادة بسيطة وإما عبادة معقدة، وهي على أي حال واقعة تحت تأثير عاملين: عامل الخير، وعامل الشر. فالإنسان القديم نظر إلى هذين العاملين نظرة تقديس وعبدهما، ومن هنا جاءت النظرية «الثَّنوية» في الأديان الآريائية القديمة.

فالثنوية هي القول بأن النور والظلمة أصلان خالقان ومتساويان في الأزلية، ومن أبرز زعمائها ماني ومزدك وابن دَيصان، والقائلون بها في العصر العباسي اعتُبِروا زنادقة. والسبب أن الإسلام يدعو إلى الوحدانية (الله الواحد لا شريك له)، والثنوية يدعو إليها من يؤمن بوجود إلهين شريكين، ولا شك أن «زردشت» الذي عاش في أذربايجان بين القرنين السابع والعاشر قبل الميلاد، يرى أن النور والظلمة، أو أهورا مزدا وأهريمن، مبدءا العالم، وهما متضادان، وبامتزاجهما حصلت تراكيب العالم وصوره المختلفة. لكن زردشت يرى كذلك أن الاثنين لهما

خالق واحد هو الإله الأعلى. ويعد زردشت نفسه إله الخير ورسوله. ويرى أن الإلهين يصطرعان، ولا بد إلا أن يغلب الخير الشر في النهاية.

وجاء بعد زردشت «دَيصان». ودَيصان هذا يؤمن بالنور والظلام، أو بالخير والشر. ويعتقد أن إله الخير يعمل الخير بطبعه، وإله الشر يعمل الشر بطبعه، ولهذا وجد النور ليمحو الظلمة.

وظهر ماني بعد دَيصان بثلاثين عاماً. وقد ولد ببابل وتأثر بالمجوسية، وبرأي يوحنا المعمدان في المسيحية، وبالبرهمية. ويرى ماني أن الخير والشر ممتزجان. وخلفه مزدك الذي ظهر أيام قُباذ، وكان يرى رأي ماني في الأصلين، إلا أنه يذهب إلى أن النور عالم حساس والظلام جاهل أعمى، وأن النور يفعل عن قصد واختيار، بينما الظلام يفعل بالصدفة والاتفاق. إلى غير ذلك من الآراء والدعوات إلى الثنوية، وإلى فكرتي الخير والشر.

هذه الأفكار العريقة في القدم تسللت إلى كثير من الفرق والأديان في الشرق فتبنوها وغدت من أصول معتقدهم. ومن هؤلاء اليزيديةُ. إلا أن اليزيدية يختلفون عنهم جميعاً في أنهم يحبون إله الشر ويقدسونه، حتى كاد تقديسهم له ينسيهم إله الخير، أو رب العالمين. وإله الشر عندهم ـ والذي هو الشيطان عند غيرهم ـ هو الملك طاووس. وهم أيضاً يتفقون مع غيرهم في أن هذا الكون وجد من اصطراع قوتي الخير والشر؛ قوة الخير هي الله وهي التي غلبت قوة الشر ـ والتي لم تُغلب عند زردشت بعدُ ـ. وقوة الشر هي الشيطان، وهي التي يخضعون لها خوفاً وضرورة لأنه مصدر السر. وهم واثقون من أن الله لا يقدم على شر، وعمله كله خير في خير.

الطوفان

يشاركون الشعوب الأخرى في مسألة الطوفان، ولكنهم يعتقدون بطوفانين: الأول جرى في «عين سفني» محل إقامة المشايخ اليزيدية في منطقة الشيخان (على بعد ستة أميال جنوب لاليش»، وهناك تمَّ بناءُ السفينة، وتحركت حتى وصلت إلى جبل سنجار، فاصطدمت بصخر ناتىء فتصدعت. فخرج ثعبان وسد ثقب السفينة، فتابعت السفينة مسيرتها، وتوقفت على جبل الجودي. ويقولون: لما كثر

نسل الثعبان أحرقه نوح بالنار ونثر رماده في الهواء، فظهرت البراغيث من هذا الرماد[1].

وبعد ذلك ظهر الطوفان الثاني ليفرق الله الذين تعدوا على الأمة اليزيدية. فأبو اليزيدية في الطوفان نوح، والناس من أبناء، حام بن نوح. والله أرسل الشيخ عدي من بلاد الشام إلى جبل لاليش النوراني ليبشر الناس بالديانة اليزيدية، ويحض الناس على الإيمان بديانته. وقد جاء في مصحف رش: «ثم أرسل الشيخ عدي بن مسافر من أرض الشام وأتى إلى لاليش».

ويعتقد اليزيديون أن سبعة آلاف سنة مضت من الطوفان. وكان الله يرسل في كل ألف سنة أحد الآلهة السبعة ليحدث بعض المعجزات ويعود. وقد نزل الله عدة مرات في الألف الأخيرة، فثبت أولياءه، وأنزل شرائعه وقوانينه، وحدَّد الأماكن المقدسة، وكان يحدِّثهم بلهجة تركية. وهذا كله بعد الطوفان الثاني.

نهر المجرة أو درب التبّان

يعتقد اليزيدية أن الله أعدَّ استقبالاً عظيماً لضيوفه في السماء، ودعا إليه الشيخ عدي بن مسافر الأموي ومريديه. كان مريدو الشيخ جميعاً يمتطون خيولهم، ولم يكن لدى الله تبن في السماء. فطلب الشيخ عدي من أحد مريديه أن يعود إلى الأرض ويجلب من مزرعته (مزرعة الشيخ عدي) تبناً للجياد، فنزل التابع وأحضر التبن للخيل. إلا أن بعض التبن تساقط في الطريق إلى السماء، وما زال أثره باقياً حتى الآن، ولهذا دعوا نهر المجرَّة «درب التبَّان».

عقيدة التناسخ

يعرِّفُ الشهر ستانيُّ التناسخ بأنه «عقيدةُ تعاقب الحياة وعودتها إلى الدنيا». ويعدّ الهنودَ أشد الأمم اعتقاداً بالتناسخ بهذا المعنى. وهناك تعريف آخر للتناسخ؛

---

١ - وهم يروون كذلك أن السفينة حين ثقبت سأل نوح: من لنا بسد هذا الفتق؟ قالت الحية: أنا أقوم بذلك بشرط أن تسلمني ابن آدم لأمتص دمه، قال نوح: قد رضيت بذلك. فلما تَمُوَّت ورتقت السفينة ونجا من كان فيها قالت الحية لنوح: أنجز ما وعدت به، فخاف نوح على من كان من جنسه، فأحرق الحية وذر رمادها في الهواء، فجاءت منها البراغيث التي تمتص دم ابن آدم برفق.

فهو يدل على فيض الروح الإلهي على الكائنات في هذه الدنيا. ويرى الشهر ستاني أن الغلاة من فرق الشيعة هم الذين يقولون بالتناسخ وحلول المبدأ الإلهي أو جزء منه في بعض الناس. وقد ظهر الاعتقاد بالتناسخ على هذا الوجه بين كثير من الشعوب؛ أخذته عن مجوس المزدكية وبراهمة الهند والفلاسفة والصابئة، وهي كذلك متداولة بين بعض الطرق الصوفية، والتي يعرف أصحابها بـ«الحلولية». وهو منتشر بين الشعوب الصينية والهندية والتبتية، كما نجده بين الشيعة والقرامطة والإسماعيلية والدروز...

واليزيديون «يعتقدون بالحلول وبسكون الأرواح مع الأرواح» أي بانتقال الروح من مكان إلى غيره؛ من وضيع إلى رفيع حسب استحقاقها والإنعام عليها»[1]. وقد جاء في كتاب الجلوة قوله: «وإذا شئتُ أرسلته تكراراً ثانياً وثالثاً إلى هذا العالم أو غيره بتناسخ الأرواح».

واعتقادهم هذا شبيه جداً باعتقاد الغلاة من المتصوفة، والتي تجري على أربع درجات:

١ ـ الرسخ : انتقال النفس الناطقة من بدن الإنسان إلى أجسام نباتية.
٢ ـ المسخ : انتقال النفس الناطقة من بدن الإنسان إلى أجسام حيوانية.
٣ ـ الفسخ : انتقال النفس الناطقة من بدن الإنسان إلى الجمادات.
٤ ـ النسخ : انتقال النفس الناطقة من بدن الإنسان إلى بدن إنسان آخر.

ويبدو اعتقادهم هذا في كثير من المراسم. ويرون أن الأرواح قسمان:

١ ـ أرواح شريرة : تحلُّ في أجسام الحيوانات الخبيثة والسيئة كالكلب والحمار والخنزير. وحلول الأرواح الشريرة في هذه الأجسام نوع من تعذيبها.
٢ ـ الأرواح الخيِّرة والطيبة: تحوم في الفضاء لتكشف للأحياء أسرار الكائنات والمغيبات، لأنها دائماً في تماس مع العالم. لذا يمضي اليزيديون ليلتهم حول جثمان فقيدهم، مشغولين بالعبادة والتضرع والصلاة، فلعلهم يرونٍ الميت في منامهم، فيخبرهم على أي صورة سيعود، وفي جسم أي فئة ستحلّ روحه، وهل هو في عداد أهل جهنم أم في عداد أهل الجنة. فإن رأوا أن روحَ ميتهم

---

١ ـ قول إسماعيل بيك: ٩٦

ستذهب إلى روح إنسان شكروا الله، أما إذا كانت روحه ستحلُّ في جسم حيوان فإن أفراد أسرته يبذلون ما في وسعهم من خيرات، ويعمدون إلى النذور، فلعل روح الميت تنتقل من جسم الحيوان إلى جسم إنسان آخر[1].

وهم يعتقدون أن الخليفة العباسي «المقتدر بالله» قتل منصوراً الحلاج ـ وهو مقدس عندهم ـ فسكبوا على رأسه ماء. فسرت روحُه فوق الماء. وبالأمر المقدر أخذت أخت الحلاج جرَّتها لتملأها ماء. وفي طريق عودتها عطشت الفتاة فشربت من الجرة، فتسربت روح أخيها إلى جسمها عن طريق معدتها، وحملت فوراً من غير أن تدرك سبب حملها، حتى وضعت وليدها، فكان الوليد شبيهاً بأخيها الحلاج. ولما كان المولود من حيث نسبُه وحسبُه ابن الحلاج فقد استدلوا على حدوث التناسخ. ولهذا فإننا لا نراهم يشربون الماء من الكوز أو الإبريق ولا من أي وعاء ذي مقبض، ولا مما شرب غريب بعضه.

وهكذا تبين لنا أن التناسخ والتقمص من المعتقدات الشرقية القديمة التي تسربت إلى بعض معتقدات الفرق الأخرى، وعرفناها كذلك في أقاصيص ألف ليلة وليلة وغيرها، مما وصل إلينا من ثقافات الشرق.

---

١ ـ ولهذا يعمد كثير من أغنياء اليزيدية ـ إذا لم يكن لهم ورثة شرعيون ـ إلى إخفاء أموالهم في أماكن معينة، ويضعون عليها علامات فارقة، حتى إذا عادوا إلى الحياة ثانية نعموا بهذه الأموال مرة أخرى.

شرائعهم ومقرراتهم الدينية

لكل أمة أو طائفة شرائع وعادات تتَّبعها في عباداتها، وتؤديها في أوقات معينة لتتمكن من الاتصال بإلهها. ولليزيدية عادات وآداب وسنن ممزوجة بالتقاليد الموروثة. وقد ظهر بعضها في الديانات المختلفة المعاصرة والمجاورة لها، وتتمثل بالسجود للشمس والقمر كالمجوسية والهندوسية، وبتحريم بعض الأطعمة كاليهود، والضرب على الطبل والنفخ بالمزمار كالمسيحية في مراسمهم الدينية، وكثير من العبادات الإسلامية كالصوم والصلاة والحج والزكاة والأضحيَّة وغير ذلك .

ومع أن كثيراً من هذه المراسم تشابهت، إلا أن طريقة أدائها في اليزيدية ذات طبع متميز. ولا نذهب مع الآخرين بأن ذلك مقتبس عن الديانات الأخرى (عدا الإسلام)، فالتشابه لا يعني الاقتباس دائماً. وحج المسلمين إلى الكعبة لا يشبه حج الهندوس إلى نهر الغانج، ولا حج اليزيدية إلى مرقد الشيخ عدي، ومثله الصوم الموجود في كثير من المعتقدات. فما التشابه إلا من قبيل المسميات وطريقة الأداء .

وتزداد بعض المراسم وتقلُّ من منطقة يزيدية إلى أخرى. وقد يختلف مظهرها أيضاً، إما بحكم الجوار كما جاء في كتاب «الجلوة» : «احفظوا ما تُلقَّنونه وحافظوا عليه، ولا تذكروه بحضور الغرباء، ولا تعطوهم شيئاً من كتابكم المقدس حتى لا يغيروه من غير أن تعلموا. وإن قرأتم بعض شرائعكم بحضورهم، وسألوكم هل هذا صحيح أولا؟ فلا تجيبوهم صراحة، واعمدوا إلى الجواب الموهوم والمحتمل، من غير أن تقولوا الحقيقة». فأول فرائضهم الدينية كتمان العقائد. وهم بهذا مختلفون عن سائر الأديان. لكن هذا التشدُّد يختلف من منطقة إلى أخرى، فيزيدية شيخان مثلاً أكثر ليونة من يزيدية سنجار. ويزيدية سنجار أكثر اعتقاداً برجال الإسلام ولا سيما بالسادة العلويين لاندماجهم أكثر بالمسلمين منذ وجودهم في سنجار، وهم يساعدونهم ويدافعون عنهم. وكما أن أركان الإسلام خمسة فإن أركان دينهم : الصوم، والصلاة، والزكاة والحج :

١ ـ **الصوم** : الصوم عبادة يطهِّر الله بها القلب ويزكي النفس كغيره من

العبادات. والله غير محتاج إلى هذه العبادات لذاته، ولكن لتطهير القلوب. ولهم نوعان من الصوم: صوم عمومي وصوم خصوصي.

وهم يعتقدون بأن شهر رمضان كان أصمَّ. فلما فرض الله الصوم على المسلمين أمر اليزيدية به كذلك، ولكن باللسان الكردي، فقال لهم «سي»، ومعناها بلغتهم ثلاثة لاثلاثون والتي هي «سِه»[1]. ولما كان شهر رمضان أطرش فقد فُهم الثانية مكان الأولى، لهذا فاليزيدية يصومونه ثلاثة أيام صحيحاً، والمسلمون يصومونه ثلاثين يوماً خطأ[2]. وهم يصومون هذه الأيام الثلاثة (الثلاثاء والأربعاء والخميس) من شهر كانون الأول الشرقي، يعني أقصر أيام السنة، ويصومونها من الصباح إلى المساء. ومنهم من يقول: إنهم يصومون ثلاثة أيام وهي تعادل ثلاثين يوماً، أليس الله هو القائل: ﴿من جاء بالحسنة فلهُ عشرُ أمثالها﴾[3]؟ وهذا يدل على اعتقادهم بكثير مما ورد في القرآن. وهذا هو الصوم العام.

أما الصوم الخاص فهو ثمانون يوماً. والورِع منهم هو الذي يصوم نصفها في ٢٠ كانون الأول الشرقي، ونصفها في ٢٠ تموز الشرقي. ويذهب الرؤساء الدينيون أربعةً أربعةً إلى مقبرة الشيخ عدي، ويصومون هناك ثلاثة أيام، وهي بقية الأربعين يوماً، ثم يعودون إلى قراهم ليُمضوا بقية الصوم.

وهم يرون أن المرء إذا نام وقدٍ نوى الصيام، وأحضر إليه أحدهم طعاماً في صباح اليوم التالي، فإنه يأكله ويظلُّ صائماً، ولا يحتاج إلى صيامه ثانية. وآداب صومهم ومبطلاته شبيهة بصوم المسلمين تقريباً. ومن عاداتهم أنهم يفطرون على خبز وملح. وفي أيام شهر رمضان يتظاهرون بالصوم مراعاة للمسلمين.

٢ ـ الصلاة: ليس لهم صلوات عمومية (جماعية)، إنما لهم صلوات خصوصية. وهم لا يسمونها صلاة، لأن الصلاة عندهم محرَّمة. ومن هذه الصلوات صلاة الشروق. حيث ينهض اليزيدي عند شروق الشمس، ويتجه نحوها حافياً، ويخرُّ راكعاً على وجهه ثلاث ركعات إكراماً للشمس. ويفضل أن

---

١ ـ بالمناسبة إن اللغة الفارسية هنا عكس الكردية؛ فثلاثة بالفارسية سه، وثلاثون سي.

٢ ـ كلام إسماعيل بيك چول: ٩٦

٣ ـ الآية: ١٦٠/الأنعام: ٦

يفعل ذلك في مكان خالٍ يؤدي فيه واجباته براحة وهدوء واطمئنان بال. ويدعو ربه في صلاة الشروق بكلام مزيج من العربية والكردية والفارسية، وهو :

«آمين آمين الله، تبارك الله أحسن الخالقين. بهمَّة شمس الدين، ناسردين، سجّادي، شَه شمس الدين، قوة دين، قديم البان قديم، سلطان شيخ آدي. تانج أول، هاته آخرين، خبرت بدن، شروي كرين، حق الحد لله رب العالمين، مشي قده نكه، بَهره إيزيد، أشكر وبختان، هفتي دو ملَّت، هفتي هزار خليفة، صبر وستر، ره طريق، عقل وفهم، أوركان، راستي، نالسي، حياءِ إيمان، باشَه شمس، عليك السلام».

ولقد سمع السيد غضبان هذا الدعاء من بعض اليزيدية فأكتبه أحد المرشدين، وعرضه على شيوخهم فصدَّقوه وأكَّدوه. ولهم أدعية عدَّة للصباح، منها دعاؤهم كل صباح :

«آمين آمين، الله يبارك الدين الأوَّلي النبيين الخادمين. يا الله، يا دايم، يا غفور، يا موجود، يا فتاح، يا رزاق، يا مدبر الكون، يا ساتر، يا أمدين، يا شمس الدين، يا فخر الدين، يا سجادين، يا ازرائيل، يا جبرائيل، يا شمخائيل، يا ميكائيل، يا دردائيل، يا إسرافيل.

يا ربِّ أنت تبارك الدين. يا رب على شانك، على مكانك، على سلطانك، على عظمتك أدعو وأسجد. ما لنا غيرك، يا قايم بنِ قوم قرجمي. أنت كريمي، أنت دوامي. أنت موجود. أنت معبود، أنت خداي، نوري نور الله».

وعندهم أدعية أخرى ينطقونها عند الغروب، وعند المساء، و . . .

٣ ـ الحج : لهم كعبة يقصدونها للزيارة، ويحتفلون بذلك في مواعيد محدَّدة من السنة. وكعبتهم هذه هي مرقد الشيخ عدي قرب عين سفني، وهي مركز منطقة شيخان في الموصل. ويقولون إن جبل لاليش الذي فيه مرقد الشيخ عدي يعتبر مثل مكة التي يقصدها المسلمون. وهي إن لم تكن أعلى منها فليست بأقل منها. ويختمون موسم الحج من يوم ١٥ أيلول الشرقي (٢٨ أيلول الغربي)، وينتهي في اليومِ العشرين (٣ تشرين الأول الغربي). وهو فرض على كل يزيدي مهما كانت سنهُ، وأينما كان، ويمضون فيه أفراحاً في الشراب والطرب .

ويروون أن الشيخ عدي ذهب لزيارة مكة مع الشيخ عبدالقادر الكيلاني. وبقي هناك أربعين سنة، ثم دعاه الملك وتشبَّه بصورته. وتجادل معه أهل مكة، وما قبلوا وصيته. ولما يئس منهم ذهب إلى السماء. وبعد موته ظهر لهم ملاك، وقال لهم: إن هذا هو الشيخ عدي نفسه، عند ذلك اعتبروه وقدَّروه وجعلوا بيته مزاراً، يجب أن يزوره كل يزيدي مرة في السنة. ومن زاره ولم يقدم شيئاً للشيخ والقوالين بحضور صورة الملك طاووس فهو كافر.

أما سبب جعلهم مرقد الشيخ كعبتهم وتفضيلهم إياه على مكة المكرمة أن علماءهم وأشرافهم يقولون دوماً: «كلما زرنا الشيخ عدي ليهدينا ويرشدنا أفدْنا من وعظه وأصغينا إلى نصائحه». والغرض من حج بيت الله هو ﴿ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام..﴾[1].

وينتهز القوالون فرصة أيام الحج ليحملوا معهم مقداراً من تربة مرقد الشيخ، حيث يصنعون منها كرات أو أقراصاً يسمونها «براءة»، فيمنحونها هدية للزوار للتبرك وحفظ الروح. وعلى كل يزيدي أن يحتفظ بواحدة من «براءة» ليقبِّلها صباحاً ومساءً بكل احترام. ويعتقدون أن هذا القرص يحفظه من كل مصيبة أو أذى. والأموال التي يجنيها القوالون من هذه الأقراص تعتبر وسيلة عيشهم. وهم كذلك يبيعونها للمرضى. ويعتقدون أن من يأكل القرص ينجو من المرض طوال العام روحاً وجسداً ببركة الملك طاووس.

٤ ـ **الزكاة**: يختلف مفهوم الزكاة عندهم عما هو في الإسلام. فهي عندهم ضرائب دينية. ويقولون: إن الشيخ عدي رأى في زمانه أن الشيوخ والرؤساء الدينيين كانوا مختلفين فيما بينهم ومتخاصمين. وكان اختلافهم حول مزارعهم وأملاكهم وتنمية أموالهم. فباشر ببثِّ روح الفضيلة بينهم، وبإبعاد الجشع والطمع عنهم. حتى وفق إلى تزهيدهم بالدنيا وما حوت من زائل، وتوجيه أنظارهم نحو الآخرة. وسرعان ما تنازل الشيوخ والرؤساء عن أموالهم لمريديهم. وفرض الشيخ عدي على المريدين سهماً من عائداتهم، بحيث يدفع الواحد منهم مقداراً من غلاته للمالك الأصلي السابق، وهو ذلك الشيخ. فغدا هذا الدفع بمثابة الإرث، أو الضريبة الثابتة.

---

١ ـ الآية: ٢٨/الحج: ٢٢

وفرض على كل مريد أن يدفع للشيخ عُشر محصوله، ويدفع للبير نصف حصة الشيخ، وللمربي نصف حصة بير، وللفقير ثلاثة أرباع السهم، وللكوچك سهماً، أي على المرء أن يدفع لرجال دينه ١٩,٢٥٪ من محصوله السنوي، بالإضافة إلى دفعات أخرى[١].

وهم يدفعون صدقات حين تمرُّ بهم السناجق (كما سنرى). وحين يبيعون محاصيلهم ويربحون يعطون من أموالهم القوالين والمشايخ وغيرهم خيراتٍ باسم الملائكة. وهؤلاء يقبلون هداياهم، ويَرْجون الله إدخال المتصدِّقين الجنة.

الزواج وطريقته

اختلطت طريقة الزواج عند اليزيدية بين ما هو سُنَّة وعادة وما هو مطابق للأحكام الشرعية. وتتم مراسيم الزواج عادة باحتفال ديني، ولكن لا بد من أن يسبق هذا الاحتفال ببعض العادات. وذلك بأن يلتقي الشاب الفتاة ويتفقا. ويتمُّ ذلك غالباً في أثناء الزيارات الدينية، ولا سيما غير الجماعية، حيث تباح فيه اللقاءات والخلوات المحدودة. وبعد ذلك يفاتح الوالدان أبويهما، فالصبي يكلم أباه، والبنت تحكي لأمها، ولا يجوز للأبوين أن يعارضا في رغبات أبنائهما. وإن امتنع أبو الابنة يحق للفتى أن يهرب بفتاته ويعقد عليها على حسب السنة المتبعة عندهم. وفي هذه الحال فلا مهر ولا صداق[٢]، لأن الفتى كافح حتى تحققت آماله. ثم يتدخل العقلاء لإصلاح ذات البين، فيعيدون العروسين إلى المنزل. فإن وافق الأب اشترط دفع المهر[٣]. ويكون صداق الفتاة ذهباً أو فضة مع عدد من الأغنام.

أما المراسيم فهي قرصٌ من الخبز يؤخذ من منزل أحد رجال الدين، ويُقسم فوق رأس العروسين. وعلى كل واحد منهما أن يتناول نصفه. ويكون هذا العمل بمنزلة عقد القران. وإن لم يجدا خبزاً تناولا قدراً من «براءة». ويكون الشيخ والبير والأخ (أو الأخت) الديني (في الآخرة) حاضرين مع العروسين.

---

١ ـ أملاها علينا أحد الشبان اليزيديين، ولعلنا أول من يشرح مسألة الزكاة بهذه الدقة.
٢ ـ غير أن الدملوجي يذكر أن المهر مفروض في هذه الحالة كذلك
٣ ـ كان المهر قديما ٥,٩ مثقال من الذهب الخالص، ويجري المهر اليوم بالاتفاق.

وحين يبدأ حفل الزفاف يُحضر ذوو العروسين المشروبات، ويدعون الأقرباء ولا سيما أبناء العم وبناتهم، ويُقيمون حفلات الأنس والطرب، فالشباب يضربون على الطبول ويزمرون بالمزامير «زرنا» والبنات يرقصن. ويستمر الحال على هذا المنوال ثلاثة أيام بلياليها. وفي الليلة الثالثة يأخذونْ العروس إلى بيت زوجها ماشيةً ببطء، وخلفها المنشدون والعازفون، في حين أن نساء القرية يزغردن طوال الطريق[1]. وحين تدخل الزوجة منزلها الجديد يضربها الزوج بحصاة صغيرة، ليُعلمها ما جاء في القرآن الكريم: ﴿الرجال قوامون على النساء﴾. ثم يكسر فوق رأسها رغيفاً ليُفهمها أن تكون عطوفة على الفقراء. وهذان الأمران الأخيران (الحصاة وكسر الرغيف) مذكوران في مصحف رش.

وقبل انقضاء ليلة الدخلة يأتي الشيخ ويأخذ بيد الشاب ويدخله حجلة العروس. ثم يجعل يد العريس بيد العروس ثم يسألها الشيخ: من أنت؟ فتقول: أنا بنت فلان. ثم يقول للشاب: ومن أنت؟ فيقول: أنا ابن فلان. فيسأله: أتريد هذه الشابة امرأة لك؟ وأنت أيتها الشابة أتريدين هذا الشاب رجلاً لكِ؟ فيقول كل واحد منهما: نعم. ثم يأخذ الشيخ صبغاً أحمر يشبه الحبر ويعلّم به ما بين كتفي الابنة والابن وجبينيهما. ثم يأخذ قضيباً طوله شبران أو ثلاثة، ويجعل طرفيه بين يدي العروسين، ثم يقول لكل منهما: «اكسر هذا القضيب». فيلوي كل واحد منهما الطرف الذي بيده، فينكسر القضيب من وسطه، ويبقى النصف الواحد بيد الابن والنصف الآخر بيد الابنة ثم يقول الشيخ لهما: «وهكذا أنتما تبقيان متحدين إلى أن يفرِّق بينكما الموت كما فرّقت القوة بين طرفي هذا القضيب الذي كان واحداً». وهذا يدل على أن الطلاق نادر.

ويحضر حفل القران الشيخ وحده. أما بقية الناس فينتظرون في ساحة الدار. وبعد أن يتم الشيخ زواج العروسين يخرج ويغلق الباب عليهما. ويقف بالباب أحد أصدقاء أهلِ العروسين وبيده البندقية ملقّمةً، ينتظر أن يُريهُ العريس المنديل وعليه علامة فض البكارة من خلف الحجلة (أو الباب). وحالما يراها يطلق عياراً نارياً من بندقيته فيبتهج الحضور ويصفقون وعندئذ يعلن الشيخ أن

---

١ ـ وهذا إعلان الزواج، حتى لا يعارض أحد فيقول: هذه ليست زوجته أو...

الاحتفال قد تم، فيرجع كل واحد إلى منزله. ويبقى العروسان بدون عمل سبعة أيام.

ملاحظات وتوضيحات

١ ـ حين يزور أهلُ الولد أهلَ البنت للخطبة يُلبسونها الخاتم وشنفين، ثم يقضون جانباً من الليل في اللهو والقصف وأكل الزبيب الأسود (الذي لا يستغنى عنه في الحفلات). وفي هذه الليلة يحدِّدون المهر. وفي يوم القِران تقدَّم الهدايا: مناديل حريرية، أنواع من القماش، ثياب، . . .

٢ ـ يذهب موكب حافل من الرجال والنساء يوم القران إلى بيت العروس. وحين يصل الموكب إلى الباب يطلقون عيارات نارية إيذاناً بقدومهم لأخذ العروس. فيُودع الأب كلَّ ما يخص ابنته في خُرج. وتلقي الأم على ابنتها إزاراً خاصاً ـ في مثل هذا المقام ـ يسمونه «حَينيَّة» ويكون أحمر في الغالب، ويلقى عليها من رأسها إلى قدميها.

٣ ـ يأخذ الوِلدان ملاعق من بيت الابنة، ويشكّونها برؤوسهم، ويأتون بيت الابن استعداداً للطعام.

٤ ـ لا يجوز لليزيدي أن يتزوج زوجة أخيه، أو امرأة عمه، أو امرأة خاله، أو أن يجمع بين أختين.

٥ ـ لا يجوز لليزيدي أن يتزوج من غير دينه. وقد تساهلوا مؤخراً أن يدخل الغريب في الدين اليزيدي. وهدفهم من المنع كي لا تختلط دماؤهم فتضيع أنسابهم.

٦ ـ بإمكان اليزيدي أن يتزوج أربع نساء، لكن يحرَّم عليه الجمع بين اثنتين من غير رضا الزوجة الأولى. كما أنه لا يستطيع الزواج بالثانية إن أنجبت الأولى.

٧ ـ يمكن زواج الفتاة من الثانيةَ عشرةَ، وقد تُزوج وهي في الثامنة، لكن سعيد بيك أمير شيخان (١٢ أيار ١٩٢٩) منع أن تتزوج الفتاة قبل الخامسة عشرة.

٨ ـ لا يجوز عقد القران في شهر نيسان لأن هذا الشهر مقدس [1]؛ فهو شهر

---

١ ـ وهي من العادات السائدة بين سكان المنطقة.

الأزهار، وهو الموسم الذي كان الأنبياء يتزوجون فيه. ويستثنى من ذلك أفراد طائفة الكواچك (وانظر البند ١٩ في نهاية الفصل).

٩ ـ لا تجوز مضاجعة المرأة أيام الأربعاء والجمعة. ويستثنى من ذلك أفراد طائفة الكواچك.

١٠ ـ عندما تتزوج الفتاة تنقطع علاقتها بأبيها، وبالتالي لا ترثه، وهذا شبيه بعادات المجوس.

١١ ـ إن رفضت الفتاة الزواج تَوجَّب عليها أن تخدم في منزل أبيها طيلة حياتها. وإن تزوجت ومات عنها زوجها يمكنها أن تعود إلى منزل أبيها، حيث يزوجها ثانية (أو ثالثة)، وفي هذه الحالة لا ترث من زوجها[1].

١٢ ـ بإمكان الآباء ـ للضرورة ـ أن يزوجوا بناتهم حتى ست مرات. وتستطيع في هذه الحال أن تشتري حريتها؛ بأن تدفع إلى أقربائها ما يعادل المهر الذي سيدفعه الرجل الطالب لهم، فتتخلص عندئذ من الزواج القسري[2]. لأن المرأة في عرفهم كالبستان المؤجر الذي يستفاد من ثمره. وإن أعرضت الأيِّم عن الزواج، لتجمع أبناءها وتحافظ عليهم فلها أن تأخذ من أبنائها مالاً يعادل صَداقها إن تزوجت.

١٣ ـ وهم في مسألة الزواج طبقات، ولبعض هذه الطبقات امتيازات خاصة، وهذا شبيه ما كان عليه الروم قديماً. فمثلا لا يسمح لأبناء الشيوخ والرؤساء الدينيين أن يتزوجوا من غير طبقتهم، ويتم زواجهم، كلٌ بحسب طبقته حصراً. كما لا يحق لأبناء العامة أن يتزوجوا من بنات الشيوخ ورجال الدين. وقد سمح للقوالين مؤخراً بأن يتزوجوا من المريدين (العامة) لأن طبقتهم آيلة إلى الانقراض. أما الأمراء فيتزوجون من عائلاتهم أو من أي أسرة نبيلة. ومع ذلك فلهم الحرية التامة في الاختيار من أي طبقة[3]. ولقد تزوج سعيد بيك ابن حسين بيك أمير اليزيدية (ت ١٩٤٤) عشر نساء، كان

---

١ ـ اليزيدية ـ دملوجي: ٢٨١

٢ ـ المقتطف مجلد ١٣، صفحة ٣٩٧، عام ١٨٨٩

٣ ـ يذكر عبدالرحمن بدران (مجلة الجنان: مجلد٧، ص٥٢٩، عام ١٨٧١) «أن للرئيس الحق بالزواج من أي امرأة كانت، بنتاً أو متزوجة وزوجها حي» لكننا نستبعد اليوم أن يتم مثل هذا.

آخرهن «ونسة بنت إسماعيل بيك چول» وهي الأميرة التي هربت من قصره ثم أعلنت إسلامها. وكنا ذكرنا أنها أول فتاة تخرجت من دراستها العالية.

١٤ ـ مدة النفاس أربعون يوماً، ولا يحق للزوج الاقتراب من زوجته في هذه الأيام، وكذلك في أيام الحيض.

١٥ ـ الزنى: كل من زنى (رجل أو امرأة) بأجنبي عن ديانتهم قتلوه إن تمكنوا منه. والعقاب نفسه إذا كانا يزيديين، إلا أن الله يغفر فسق المرأة إن كان من يزيدي؛ فقد يكون عقابها شديداً لكنه لا يوصلها إلى القتل. وإن زنى اليزيدي بامرأة متزوجة فعليه أن يُرضي زوجها، وإن كانت ثيِّباً أرضى ولي أمرها بموجب حكم الأمير. وإن وقعت المضاجعة بين الذكور أو بين الإناث فقتلُ الاثنين واجب. وإذا لم يستطيعوا قتلهما طردوهما من ديانتهم وبلادهم طرداً أبدياً.

١٦ ـ الطلاق: الطلاق مسموح به إلا أنه نادر جداً[1]. ويجوز طلاق المرأة العاقر، ولكن يتعذر طلاق ذات ولد. وليس للطلاق عندهم أنظمة معينة، وهو يجري ببساطة تامة. فإن أراد الرجل أن يطلق زوجته حصبها ثلاث مرات (ضربها بالحصى)، وهذا علامة الطلاق إن كان الرجل شيخاً. وإذا كان من العامة يكتفي بضربها بحصاة واحدة. ويستطيع الزوج استرجاع مطلَّقته من غير قيد أو شرط. أما إذا كان المطلِّق من الخاصة فإنه يستنكف عن استعادة زوجته. أما الأمير فإنه إن طلق فلا يحق للمرأة الطالق أن تتزوج بعده من غيره طول حياتها.

الموت ودفن الموتى

ذكرنا أن اليزيديين يؤمنون بالتقمص وتناسخ الأرواح. وأغلب الأمم الشرقية التي تؤمن بالتناسخ تحرق جثث موتاها، إلا أن اليزيديين يدفنون موتاهم، ومراسمهم كثيرة الشبه بمراسم المسلمين والمسيحيين.

وتبدأ هذه المراسم بالوفاة. فإن كان الميِّت عزيزاً أو شاباً أو مكرَّماً نحتوا خشبة على هيئة إنسان ـ ويدعونها «الشكل» ـ وألبسوها الثياب التي كان صاحب

1 – The Yazidis, 36

الشكل يلبسها[١]. ثم يأتي الطبال والزمار وسائر أفراد الجوقة فيضربون ويعزفون نغمات الحزن والموت، والناس حول الميت يبكون ويندبون وهم وقوف. ثم يطوفون حول الشكل ويركعون له ويتبركون به.

ويتقدم الغرباء متجاهلين الحدث فيسألون أهله: ما عندكم؟ فيقول أصحاب الميِّت: «نحن نزوج ولدنا وهذه حفلة عرسه». ويقيمون الحداد ثلاثة أيام، ويوزعون الخيرات على روحه. ويجددون ذلك في اليوم السابع، واليوم الأربعين، وفي مثل يوم وفاته من قابلٍ. ويطعمون الفقراء طبقاً من الطعام مع رغيف خبز مدة سنة. وإذا كان الميت غير عزيز فلا يُفعل له شيء. وإذا كان الميت يزيدياً أسود فلا يبكي عليه أحد، ولا تقام له مراسم الحداد!

حينما يحتضر اليزيدي يُحضر إليه شيخه (من طبقة الكواچك وأخوه «أو أخته») الديني (الأبدي) ليكونا إلى جانبه. وحين يلفظ أنفاسه يغسلونه، ويَدهن الشيخ وجه الميت بزيت الزيتون، ثم يَذرُّ تربة الشيخ على وجهه (عوضاً عن الكافور) وتحت إبطيه وعلى عينيه وقلبه. ثم يسدُّون منافذ الميْت بالقطن، ثم يتقدم الشيخ ويصلي عليه. ويلبسونه فاخر ثيابه (كالمسيحيين)، ثم يكفنونه بالقماش الأبيض، ويربطون القماش فوق رأسه (كالمسلمين).

وبعد ذلك يوضع في التابوت المغسول بماء زمزم (قرب الشيخ عدي) ثم يحمل النعش إلى القبر، بينما يعلو صوت البكاء والعويل، ويرافق الجنازةَ قوّالان يعزفان اللحن الحزين، والنساء يصرخن «هاو، هاو، هاو». وإن كان الميت عزيزاً أطلقوا عيارات نارية في الفضاء، وأحرقوا البخور حتى تتعطر روحه[٢].

وكل من شيَّع الميت حثا على تابوته التراب عند دفنه وقال: «يا إنسان كنتَ تراباً ورجعت اليوم إلى تراب»[٣]. ويوجهون وجهه نحو المشرق. ويلقنه الشيخ

---

١ - ذكر هذا أنستاس الكرملي في مجلته، والعزاوي في كتابه «تاريخ اليزيدية» والدملوجي في كتابه «اليزيدية». في حين أن السيد غضبان نفى مسألة نحت الشكل أصلاً وقال: «لم نر مثل هذا - في مناطقهم - كما أننا حضرنا وفاة «حمه فاسكي» أحد رؤسائهم في سنجار والذي قتل ليلة ١٥ نيسان ١٩٤٧، فلم نر شيئاً مما ذكر الباحثون، كما أننا سألنا عدداً من العلماء فلم يؤكد أحد منهم صحة هذه السنة».

٢ - يستدعي بعضهم إماماً مسلماً فينحني على الجثمان ويقرأ عليه آيات من القرآن الكريم.

٣ - وهي بلغتهم: «يا إنسان تو آخ بوي وتوفچر يابي سرآخي».

بقوله: «يا عبد ملك طاووس ستموت على دين معبودنا وهو ملك طاووس ولا تموت على غيره. وإن جاءك أحد وقال لك: مت على دين الإسلام أو اليهود أو غيرهما من الأديان فلا تصدقه. وإن صدَّقته وآمنت بغير معبودنا كنت كافراً».

ثم يوجه الشيخ حديثه للناس فيقول: إننا حين نرجع إلى بيوتنا ونقول قبل ذلك: «لنقم ونذهب إلى بيوتنا» فيقول الميت أيضاً: «لأقم ولأذهب إلى البيت مع الجماعة». وحين يريد القيام يُصدم رأسه بالحجر ويقول: «آخ، ها إني من عداد الأموات». ويسمون هذا الحجر «بَري حَدِي». ثم يرجع الجميع إلى بيوتهم. والمفروض أن تتم كلٌ هذه المراسيم قبيل الغروب.

وبعد سُنَّة الدفن تذبح الذبائح وتوزع على الفقراء، وأفقر اليزيدية لا يذبح في مثل هذا اليوم أقل من أربع أو خمس ذبائح. وقد يذبح الأغنياء مئة نعجة.

وفي يوم العزاء الثاني يمدُّ سماط الطعام فوق القبر لأنهم يعتقدون أن الميت بحاجة إلى طعام. وبعد الأيام الثلاثة الأولى يتابع ذوو الميت ذهابهم لزيارة القبر من غير عويل ولا عزف. إلا أن القوالين يتبعونهم وينشدون لهم بعض الأناشيد الدينية، ينالون عليها بعض الدراهم. وفي اليوم الأربعين يذهب الرجال والنساء للمرة الأخيرة إلى قبر الميت. وبذلك تتم مراسم الدفن.

وهم يؤمنون بالمَطْهر ويسمونه «آخْرَهْ دُوزَه» أي نار (أو نور) الآخرة.

عادات وأعراف

وهم عادات وأعراف دخل كثير منها في شرائعهم، وغدا إهماله إلحاداً أو تقصيراً. من ذلك:

١ ـ هم يحرِّمون على أنفسهم اللون الأزرق، وهذا مذكور في مصحف رش. ولعلهم أهملوا تحريمه في مرحلة قديمة فجدَّد تحريمه. يذكر «غست»[1] أنه حوالي منتصف القرن الثامن عشر أعلن أحد الكواچك للبابا شيخ أنه رأى في حلمه أن لون الملابس الزرقاء التي كانوا يترددونها تُضايق الملك طاووس. فصدرت الأوامر فوراً بترك اللون الأزرق والاستعاضة عنه باللون الأبيض.

٢ ـ يقدِّسون بعض الأشجار الكبيرة والأرواح القديمة (من أي نوع كان)،

---

1 – The Yazidis, 35.

فيكسونها أو يلوِّنونها وبعضهم استخدم أوراقها للشفاء. وهذه الأشجار ليست قليلة. منها شجرة «الست نفيسة» في قرية بعشيقا. وشجرة توت في قرية «بحزاني» قرب نبع ماء، ويسمونها شجرة «مَنْد». وشجرة بلوط كبيرة تقع بين مقبرة الشيخ عدي وقرية عين سفني ويسمونها «شجرة الكواچك»، وشجرة فوق جبل «هكان»، وأخرى قرب قرية «ميركي»، وأخرى في قرية «برتيسك» وتقع بين قريتي عين سفني وباعدري.

فإذا أصيب أحدهم بالحمى قصد شجرة الست نفيسة أو شجرة «عبدي رشو» وهي شجرة توت في قرية «كبركي». ومن اصفر وجهه قصد «كاني ذركي»[1].

٣ ـ إذا مرض ولد بالحصبة أو بالجدري أحضر أهله تراباً من مرقد الشيخ عدي وذوَّبوه في الماء، وسقوه إياه. كما يدهن جسم الولد بذلك التراب المعجون بالماء فيشفى. وإن أصيب بورم يذهب إلى بيت الپير في قرية «مام دشا».

٤ ـ وهم يكرمون الظواهر الطبيعية على اختلاف أنواعها كالسحاب والبرق والنار. وكذلك يكرمون الشمس والقمر وسائر الكواكب. كما يكرمون الخبز والسراج.

٥ ـ يتوهم الناس أن اليزيديين إذا أحطتهم بخط على شكل دائرة لا يخرجون منه. وهذا غير صحيح قطعاً. لكن الدائرة موجودة في معتقدهم. فيروى أن الشيخ عدي أول ما اتخذ مريدين له كان يخط دائرة بالأرض ويقول: من أراد أن يسمع وعظ الشيخ عبدالقادر كيلاني يدخل هذه الدائرة. ومن هنا أخذت الدائرة شكلاً معيناً له علاقة بالقَسم.

فهم يقسمون بالله، وبالملك طاووس، وبالثياب السوداء، وبلابسها، وبرؤوس أصحابها. وهم لا يحنثون بأيمانهم. وإذا أراد أحدهم أن يتأكد من قول امرىءٍ ولم يُقسم يخطُّ حوله دائرةً ويقول له: «أنت في خِيز يزيد[2] (أي في دائرته وطريقته وسنته) فإن كنت صادقاً في ما تقوله وتدَّعيه فقل: أخرجُ من خيز يزيد على أنَّ ما أقوله عين الحقيقة». فإذا كرر المسجون في الدائرة هذه

---

١ ـ كلمة كردية معناها النبعة الصفراء.

٢ ـ أو في «خط الشيخ».

الجملة تحقق صاحبه أنه لم يكذب. وإن سكت تَبَيَّنَ كذبه. وهو لا يكذب في هذه الحال أبداً.

٦ ـ ومن أشرف عاداتهم في نظرهم أنهم يعتبرون «الكرافة» مقدسة. والكِرافة تعني أن يصطنع اليزيدي قريباً له (وليس من أسرته) بأن الطفل حين خَتْنهِ يقطر في حضن هذا اليزيدي قطرة من دمه. فإذا سقطت في حضنه قطرة الدم أصبح «كريفاً» لذلك الطفل، ويغدو مقرباً، وسيكون لهذا الطفل حامياً ومناهضاً لخصومه، وكذلك لأسرة الطفل جميعاً.

ولا يجوز أن يكون الكريف يهودياً ولا مسيحياً، ولكن لا مانع أن يكون مسلماً. وإن كان الرجل والكريف يزيديين أصبحا أخوين بمثابة الأخ بالرضاع وتظل هذه القرابة إلى خمسة أنسال. وحريم الطرفين حرام عليهما حين يغالون في هذه العلاقة.

المحرمـــات

ذكرنا في معرض حديثنا السابق عدداً من المحرَّمات. وفيا يلي عدد آخر من المحرَّمات أو أكثر تفصيلاً:

١ ـ تحرَّم الصلوات العمومية (صلاة الجماعة)، وأما الصلوات الخصوصية (الانفرادية) فيقوم بها الأفراد من غير جهر. والپيورة (جمع پير) يتعلمون الصلوات شِفاهاً خلفاً عن سلف. ولا يجهرون بها، بل يُدمْدِمون بها دمدمةً.

٢ ـ يحرَّم عليهم تعلم القراءة والكتابة. ويستثنى من ذلك أسرة الأعظم، والذي هو من سلالة الحسن البصري[1].

٣ ـ يحرَّم البصاق بصوت يخرج من الشفتين أو الفم، لأنهم يعتبرون ذلك شتماً للشيطان. ويؤوِّلون غاية الباصق بهذه الصورة توجيه التفلة إلى الملك طاووس.

٤ ـ يحرَّم لبس الثياب الزرقاء، ويلتزمون بلبس الثياب البيضاء إن كانوا من العامة، والثياب السوداء إذا كانوا من خدمة الدين، أما الثياب الحمراء فليست محرمة لكنهم قلما يلبسونها[2].

٥ ـ لا يجوز لهم أن يلبسوا السراويل بعد الغسل وهم وقوف، ولكن يجوز ذلك بعد قضاء الحاجة.

٦ ـ يحرم عليهم قضاء الحاجة في المحلِّ المبني لهذه الغاية، بل في الفضاء أو في فناء الدار، لأنهم يعتقدون أن غير اليزيدية يعينون الشيطان دائماً بافتكارهم السيء أنه موجود في الكنيف. فإذا دخلوه وقضوا الحاجة فيه كأنهم فعلوا ذلك على طاووسهم، وهذا إثم كبير تسامحوا به مؤخراً.

٧ ـ حرام عندهم من اللحوم: لحم الخنزير، ولحم كل أنواع السمك، ولحم

---

١ ـ يرى العارفون أن هذا التحريم جاء خوفاً من اطلاع أفراد الطائفة على حقائق الأديان الأخرى، فيتأثرون ويدخلون بعض الآراء في عقيدتهم. لكن رجال الدين أجازوا التعلم مؤخراً حتى لا يكونوا متخلفين.

٢ ـ يذكر الزمخشري في «الكشاف» أن اللون الأزرق أسوأ الألوان عند العرب لأن الروم ـ أعداء العرب ـ كانوا زرق العيون. وما زالت قبائل الأكراد في شمال العراق تستكره الألبسة الزرقاء، في حين أن اليزيدية الصابئة يحرمون اللون الأزرق كما ذكرنا.

الغزال. كما يحرِّم على الشيوخ وسائر رجال الدين أكل لحم الديكة، لأن طاووس ملك جاء على هيئة الديك.

٨ - حرام عندهم من البقول والخضروات: الخس، والملفوف، واللوبياء، والقرع. أما الخس فإنهم يعتبرونه أخسَّ ما خلقه الله على وجه الأرض. وإذا أرادو ذكره قالوا: «ذلك الوحش». ويرجع سبب كراهتهم له إلى «أن الشيخ عدي في زعمهم مرَّ يوماً ببستان، فرآه مزروعاً. فسأل عنه فلم يجبه أحد. فقال: لا يجوز أن يأكل منه أحد. وما زال الخس حتى اليوم محرَّماً على كل يزيدي. حتى إنهم لا يعبرون حقلاً زرع فيه الخسّ»[1]

٩ - لا يشربون من كوز أو جرَّة تُبقبق، لأنهم يزعمون أن ما يبقبق هو روح حية موجودة فيها (راجع ما ذكرنا آنفاً عن الحلاج وأخته). وعند بعضهم أن من يحمل الإبريق منهم كأنه أعلن إسلامه.

١٠ - يحرَّم عليهم حلق شاربهم أو قصُّها بالمقص، إلا أن تخفيفها مستحب.[2] بخلاف اللحية التي يفضل حلقها. ولا مانع من أن تُخفى الشوارب وأن تُعفَى اللحى. أما الشيوخ فلا يجوز لهم حلق شيء. واليوم يحلق اليزيديون لحاهم جميعاً، ويدعون شواربهم، في حين أن القوالين والپيورة ورجال الدين لا يجوز لهم حلق لحاهم.

١١ - لا يجوز لليزيدي أن يحضر صلاة المسلمين في أي مكان، لأنه إذا سمع المسلم وهو يصلي يلعن الشيطان، فحسب مصحف رش يجب أن يقتله.

١٢ - لا يجوز استخدام الجواد والفرس في التحميل.

١٣ - حرام تقليم الأظافر.

١٤ - لا يجوز الاغتسال على جنابة.

١٥ - لا يجوز الاستنجاء بعد قضاء الحاجة.

١٦ - لا يجوز أن يحلق اليزيدي لحيته لدى غير اليزيدي، ولا أن يحلقها بموسى حلق بها غيره (غير يزيدي).

١٧ - لا يجوز لليزيدي أن يبتعد أكثر من سنة عن موطنه. وإن غاب أكثر من عام حرمت عليه زوجته.

---

١ - كلام إسماعيل بيك في «اليزيدية قديماً وحديثاً: ٩٦».

٢ - يذكر أحد مثقفي اليزيدية أن استحباب تخفيف الشاربين أهمل اليوم.

١٨ ـ يحرَّم على اليزيدي أن ينظر إلى امرأة غير يزيدية، ولا أن يمازحها .

١٩ ـ يعتقدون أن الملائكة تتصل فيما بينها في شهر نيسان، لذا يحرَّم عليهم الزواج في هذا الشهر. كما لا يجوز لهم بناء المنازل في هذا الشهر. ويقولون: إن كثيراً من الذين تزوجوا أو بنوا في شهر نيسان ماتوا.

٢٠ ـ لا يجوز لليزيدي أن يُطلع غير اليزيدي على كتابيه المقدسين، جاء في كتاب الجلوة: «وهو الكتاب الذي لا يجوز أن يقرأه الخارجون على الملة».

ملاحظة: لقد تغاضى معظم اليزيدية ـ ولا سيما المثقفون منهم ـ عن معظم هذه المحرمات في العصر الحاضر، وراحوا يتبعون الشريعة الإسلامية، أو يظلون بلا دين.

الفصل الرابع

مَراتبهُم وأَعيادُهمْ

مراتبهم وطبقاتهم

على صغر حجم هذه الطائفة وقلة عدد سكانها، وبالتالي عيشها الانعزالي، والأشبه بالبدائي فإنها تمتاز بنظام دقيق في طبقات مجتمعها، وقناعة كل طبقة بالتي هي عليه لصلة مراتبها بدينها. كما تمتاز بتقسيم الرئاسة إلى قسمين: دنيوية ودينية، من غير أن تتدخل رئاسة في مهامٍّ غيرها، وبانصياع الشعب لأوامر الرئاستين، وإيمانه بأن هذه الطبقية نزلت من السماء لتحافظ على مجتمعهم اليزيدي. ولهذا فإن المراتب الدينية مرتبطة بالشعب تمام الارتباط، والمراتب جميعها ملتحمة بالرئاسة الدنيوية.

فالرئيس الدُّنيوي: هو رئيس الزمان والعالم والسياسة ويدعى «مير» مختصرة من الكلمة العربية «أمير». وهو وكيل الشيخ عدي أَوْكَلَهُ موضعه وقال له: «أنت ولدي وقبلتُك محل ذريتي، وهي حرام على من لا يسير على أصول هذا الدين. وكلها سلمتُها بيدك». والميرُ من نسل الملك يزيد، والطائفة كلها تنتسب إليه. ويلقب «مير شيخان»، ويقيم عادة في قصر الإمارة الواقع في قرية «باعدري»[1]، والتي تبعد مسافة ٤٥كم إلى الشمال الشرقي من الموصل[2]. ويتم انتخاب الأمير من قبل الطائفة، شريطة أن يكون من نسل الأسرة الحاكمة، على حسب عاداتهم الموروثة. ولا يشترك في الانتخاب رجال الدين ولا زعماء القبائل.

والأمير مصون معصوم غير مسؤول. وهم يعتقدون أنَّ جزءاً من الله حلَّ فيه؛ فهو ذو حق مطلق في حكمه، لأنه وكيل الشيخ عدي. وله نفوذ كبير في شعبه. فكانوا إلى عهد قريب إذا مرض طفل أو أصيب بعاهة نذره والده للشيخ عدي، فإذا سلم الطفل أو شُفي غدا ملك الأمير. كما أن النساء اللائي ما كنَّ يحملن ينذرن أنَّ الله إذا رزقهن ولداً وهبنه للأمير، وله حق الاحتفاظ به أو بيعه. وعلى الرعية طاعة الأمير، ومن يقصِّر في طاعته أو يقلل من تبجيله واحترامه خضع لعقاب شديد وقطعي كمصادرة منزله وماله، وحرمانه من حقوقه المدنية، وإقصائه

---

١ ـ يطلق اليزيديون كلمة «شيخان» على قرية «باعدري» والقرى المجاورة حولها، وتقع على بقعة واسعة موزعة بين عدد من التلال يجمعها جبل. مسيرتها أربع ساعات، وتنتهي شرقاً بعين سفني، والتي هي مقر مشايخ اليزيدية. يقطع باعدري نهر صغير وهو مشروب أهالي المنطقة وتروى به الحقول. وقصر الإمارة يشرف على هذا النهر.

٢ ـ تسلم الأمير تحسين بيك بن سعيد بيك بن علي بيك . . الإمارة عام ١٩٤٤. ولما كان صغير السن فقد كفلته جدته «مَيان خاتون» بنت عيدي بيك بن علي بيك، وكان لها دور كبير.

عن مقامه الأخلاقي والديني. ولا يجوز للأفراد أن يحولوا دون رغبات أميرهم، وعليهم أن يقدموا له ما يشاء بكل رحابة صدر.

ومن مات وليس له وريث وَرِثَهُ. وإذا خطبت إحدى السيدات، ولم يكن لها أحد من الأرحام يقبض مهرها تحوَّل إلى الأمير. والأمير مسؤول عن أوقاف الشيخ عدي، يتصرف بها كما يشاء بغير حساب، لأن الرعية يحملون أخطاءه على حسن النية. وهو كذلك مسؤول عن السناجق المحفوظة في بيت الإمارة، ولا يجرؤ أحد على إخراجها من دون إذنه.

يضع على رأسه غطاء هو بمنزلة التاج، ولا يخلعه ليلاً ولا نهاراً. ولا يحق لأحد توجيه الإهانة لتاجه. وفي يد الأمير حق حياة رعيته وموتهم[1]. ولا يجرؤ أحد على خلعه أو عزله أو المطالبة بتبديله إلا في حالة الموت. كما لا يجوز لأحد قتله، وإن كان ذلك ممكناً من قبل أحد أفراد أسرته.

الرئاسة الدينية

ورجال الدين سبع طبقات، ولا يجوز لأي طبقة أن تتخطى مقامها. ورجل الدين في الديانة اليزيدية ذو أهمية كبيرة، لأنه يشرف على كل مظاهر الحياة الدينية والاجتماعية. ولا بد لنا من الإشارة إلى أن لكل يزيدي أو يزيدية شيخاً وبيراً على الأقل. ولكل فئة من رجال الدين مقام ووظيفة. والرؤساء الدينيون سبع فئات، وهي:

١ ـ **بابا شيخ**: وهو الرئيس الأعلى، ويكون من سلالة الشيخ فخر الدين أي ملك القمر. ويتصف بالتقى وخفة الروح والإنصاف والعدل والاستقامة. وهو يمثل السلطة الدينية والحج المقدس، ويدعونه «بابي شيخ» أي الشيخ الكبير. ووظائفه منحصرة بالمسائل الدينية والصلاة مع المشايخ والكواجك، والنظر في بناء مرقد الشيخ عدي، والمحافظة على السجادة المنسوبة إلى الشيخ عدي. وهو الذي يحدد أيام الصوم، وعدد ركعات الصلاة، ونصاب الزكاة، ومسائل الحلال والحرام، وتقدم الوظائف الدينية أو تأخرها، وكلامه من الشيخ عدي.

---

١ ـ كان ذلك حتى عام ١٨٧٥، ثم نزع منه هذا الحق وتحولت دعاواهم إلى السلطات المسؤولة في الدولة التي ينتمون إليها.

وهو مستشار الأمير في الأمور الدينية، والأمير يرجع إليه فقط من بين رجال الدين، وينفذ آراءه. وإن أراد الأمير إجراء إصلاحات ما في بناء مرقد الشيخ عدي كلَّف بابا شيخ بالإشراف عليه. وهو الذي يخرج السجادة المقدسة لينظر إليها الأتباع ويتبركوا بها، ويقدموا نذوراتهم لها.

يأكل الشيخ بوعاء خاص به، ولا يجوز له أن يشرب من كأس شرب بها غيره، لكنه يجوز له أن يجلس على سجادته. وهو في أثناء طوافه أو زيارته يسير عاري القدمين صيفاً أو شتاءً، شمساً أو مطراً.

ورداؤه مصنوع من الصوف الأبيض، يربط فوقه حزاماً مفتولاً أسود طوله تسعة أمتار، ينتهي بعدد من الحلقات أو الكرات المقدسة، وتحت إمرته عدد من الشيوخ ينفذون أوامره في قراه. وإن عزله الأمير أو الناس (وهذا نادر) اجتمع عدد من زعماء القبائل وشيوخها في مرقد الشيخ عدي أو في منزل الأمير وانتخبوا شيخاً آخر. ويشترط في المنتخب الجديد أن يكون من سلسلة الشيخ فخر الدين أيضاً، وأن يوافق الأمير عليه.

٢ - **الشيخ**: مشايخ اليزيدية ثلاث فرق هي: الأديانية، الشمسانية،[١] القابانية. ويرجع نسب الأسر جميعاً إلى أصل واحد هو يزيد بن معاوية، وقد حلَّ فيهم جزء من الله، وهو الذي يمنحهم تغيير مجرى الأحداث ويستطيعون أن يتصرفوا في شؤون العالم. وهم مخوَّلون في التجول بين القرى جميعاً.

ومقام الشيخ فوق البير، ورتبته وراثية. وشيخ الشيوخ عندهم بمنزلة حبر الأحبار، وسائر الأحبار هم بقية الشيوخ، ومقرُّه في قرية الشيخ عدي. وبيد شيخ الشيوخ العقد والحل، والأمر والنهي في كل ما يتعلق بالشؤون الدينية، يأتيه الناس من كل صقع ليستفتوه.

ويعتقد اليزيديون أن أجداد الشيوخ الموجودين اليوم أحياء على الأرض، نزلوا من السماء شيوخاً أئمة، وفيهم أنواع الفضائل التي تميزهم بعضهم من بعض، ولكل شيخ اختصاص في معالجة بعض الأوبئة وردّ النكبات. منحه الله

---

١ - أسرة الشيخ فخر الدين التي يرجع أصلها إلى الشمسانية تصل إلى مقام «بابا شيخ». والأسرة «الأديانية» واجبها أن تلم بالقراءة والكتابة اللتين هما محرمتان على سائر الرعية.

تعالى هذا الاختصاص في السماء. فسلالة الشيخ «منت» مثلاً مُنحت أن تقوم بالعجائب والخوارق في رصد الحيات والعقارب؛ أي رقيها، ويزعمون أنهم إذا أمسكوا بالحيات الخبيثة لا تؤذيهم، وهم لا يأكلون لحومها. وبعض هؤلاء الشيوخ يلقب بالشيخ المهدي، ويدَّعون بأن منهم سيأتي المهدي أو المسيح. ولسلالة هذا الشيخ قوة؛ هي أنه إذا حدث وباء أو طاعون أو نحو ذلك من الأمراض الوافدة جاء الشيخ إلى القرية ورسم بالفدّان دائرة حولها، زاعماً بذلك أنه افتداهم من هذه الأوبئة، فلا تعود تفتك بهم، لأنه قدَّم نفسه قرباناً للملك طاووس. وقد يعفو الملك طاووس عنهم بدون توسط الشيخ إذا رأى ذلك مناسباً لأمرهم.

ولكلِ شيخ مريدون محسنون إليه، ويتحسن وضع الشيخ كلما كان وضع مريديه حسناً. والعادة أن يطوف الشيخ على مريديه مرتين في السنة، فيجمع منهم غنماً وبقراً وسمناً وصوفاً ونحو ذلك، إذا كانوا من أهلِ الضرع، ويجمع حنطة وشعيراً وقطناً وأرزاً إذا كانوا من أهل الزرع، وبُسطاً وملاءات إذا كانوا من الرحّل (كوجه ر، وتلفظ: كواچر). ونقوداً إذا كانوا أغنياء. ومن لا يُرضي شيخه يُجرم، وإذا أُبسِل (حُرم) عُدَّ كسقط المتاع الذي لا يُشرَى ولا يباع.

ومن شيوخهم من يلقب بشيخ «جَرْوَة» وخوارقه موقوفة على طرد العقارب بقوة الماء؛ فإنه يقرأ عليه بعض الصلوات، ثم ينفحه في زوايا البيت. فيدفع له الناس مالاً على تعبه هذا. ومنهم من يلقب بشيخ «ديكله» أي شيخ الديك، مهنته أن يجول في القرى، وفي أي بيت وجد دجاجة رنقاء[1] (مكركة) أو (كورك) أخذ منها فرّوجاً واحداً. فيجمع أكثر من ثلاثين فروجاً من كل قرية.

ولكل امرىءٍ شيخ خصوصي وبير خصوصي يكون له بمثابة الأخ في الآخرة[2]، ويقال لهذا الأخ بلسانهم «بْراي آخرتي» أي أخو الآخرة. فإذا مات اليزيدي يجيء شيخه ويغسله ويكفنه ويدفنه. والشيخ بارع في صناعته لأنه تلقنها عن جده الذي نزل من السماء وأرشده وهداه إلى الطرق والأودية المؤدية إلى الجنة، و«براي آخرت» يرافقه ويشجعه لئلا يضلَّ جهلاً أو خوفاً.

وللشيخ علامةٌ وهي زنار خاص. وحين يدخل على الجماعة يضع على يده

١ ـ الدجاجة الرنقاء: القاعدة على البيض.
٢ ـ لعلنا ندعوه «الأخ الديني».

شبكةً كرشْمة الجمل[1]. وحين يدخل عليهم ينحنون له احتراماً. والزواج يكون من أسرة الشيخ، وهي كذلك محدودة في كل أسرة (الأسر الثلاث)، فلا يجوز الزواج إلا ضمن كل أسرة. فالشيخ مهم في المجتمع اليزيدي، وهو مسؤول عن طلب الصفح عن أخطاء مريديه أحياء، ويشرف عليهم أمواتاً. ويقول غست: في الوقت الحاضر (١٩٨٦ ـ ١٩٨٧) يوجد ثلاث مئة أسرة من الشيوخ يعمل أفرادها مرشدين ووعاظاً للعائلات التي وضعت تحت إشرافهم.

٣ ـ پير: تعني كلمة «پير» بالكردية العجوز، وعندهم شيخ الطريقة أو رئيسها. ويجمعون الكلمة بقولهم «پيورة» أي الشيوخ. وتطلق هذه الصفة على من هم دون مرتبة الشيوخ. والپيورة من أسرة متعددة، ويشترط أن يكونوا جميعاً من سلالة پيرية، لأن وظيفتهم وراثية، منحتهم الشريعة اليزيدية حق إجراء الزواج، وتوثيق العرى، وحق التجول في القرى والقصبات. وهم مكلفون في يوم عيد الجماعية (انظره) وأيام الأربعينيَّتين بالذهاب إلى قرية الشيخ عدي لإطعام المريدين بأموالهم، ولإرشادهم ووعظهم. وهم يعتقدون أن رحمة الله وغفرانه بأيدي هؤلاء الپيورة. والتربة المقدسة تحت اختيارهم، والتي فيها الشفاء.

والپيورة أميون جميعاً إلا عُزمةٌ منهم تسكن «بعشيقا». وإذا كان للپير عدد من الأولاد فالبكر وحده يحق له الامتياز ليكون بمنزلة الفقيه أو المنلا الأكبر عند المير. ويوجد حالياً ـ ١٩٨٧ ـ مئتا عائلة من الپيورة، تنتمي إلى قبائل رئيسية منحدرة عن المريدين الأوائل للشيخ عدي. وهم أربع فرق: پيرهسن ممان ـ پيرانات ـ پير آلي ـ پير هجال.

وعلى كل أسرة أن تدفع ٥٪ من أرباحها لپيرها. ومثل هذا معروف لدى الفرس والترك والكرد والعرب، حيث يذهبون إلى رؤسائهم الدينيين ويدفعون لهم، يرجونهم الدعاء لمرضاهم بالشفاء وبقضاء حاجاتهم. واليزيديون كذلك يترقبون من پيورتهم كلما داهم داء أو وباء أو حلّت بهم كارثة.

وحارس مزار «لاليش» يدعى «بابا چاويش»، وهو أبرز شخصية من هذه

---

١ ـ الرشمة: ما يجعل في رأس الفرس ونحوها من الحديد ونحوه متصلاً بالعذار ليربط به الرسن.

الفئة، ويجب أن يبقى عزَباً. وهو وسائر البيورة يشاركون في الاحتفالات الدينية، وبقية أوقاتهم يقضونها في العبادة والتأمل.

٤ ـ **الفقير**: تطلق لفظة «فقير» عندهم على الزاهد والمتعبد، الذي عزف عن زخرف الدنيا في سبيل كسب نعيم الآخرة. ونعيم الآخرة، في نظرهم، هو البقاء الأبدي (على مذهب الحلول والتناسخ). والفقير في الهند هو الزاهد المتقشف (أيا كان دينه)، يحترمه الناس جميعاً، وكلامه مسموع لدى كل الفئات.

وفقراء اليزيدية مثل فقراء الهند أو كرهبان النصارى. لكنهم يتدخلون في أمور غير منوطة بهم، وهم بذلك يؤذون أنفسهم ويُلحقون الضرر بالرعية. وهم يتميزون باللباس البسيط الشبيه باللباس الذي كان يرتديه الشيخ عدي، ويسمونه «الخرقة»[1]. وهي عبارة عن عباءة سوداء (قصيرة) من الصوف. يغطي الفقير بها صدره، أطرافها ذات لون أحمر، تربط عند الخصر بحزام أحمر وأبيض. وهو لا يخلعها حتى تهترىء وتتلف، فيبدلها بغيرها عندئذ، ويعلق القديمة في مكان خاص. وإذا مات دفنوها معه. ويضع على رأسه قبعة صينية (عرقية) وفوقها عمامة سوداء، يدعونها «كمه فقير». وله حبل يربطه برقبته يدعونه «طوق الرقبة» أو «المقفول». وهذه القطع الثلاث من ثياب الفقير تفرض احترامها لمرتديها حتى وإن هو أخطأ أو خالف.

هذه الفئة مفتوحة لكل يزيدي، إلا أن السائد أن منصب الفقير متوارث. وواجبات الفقير أن يرعى الناس في غياب الشيخ، وأن يعلم الأولاد علوم الدين وأمور الملة والكتاب. وفي جبل سنجار قبيلة كاملة من الفقراء.

وإن خالف الفقير فرائض الديانة أو عصى أوامر أمير شيخان أو قَصَّرَ في ملابسه الدينية خُلعت عنه خرقته، وحلقت لحيته، وطرد من الجماعة. وبإمكان أي فرد من أفراد اليزيدية أن يصبح فقيراً، بشرط أن ينذر حياته للعبادة والزهادة. ويمكنه أن يحصل على موافقة أمير شيخان لصلاحيته بأن يصبح فقيراً، والأمير ـ حين يوافق عليه ـ يُلبسه بنفسه خرقة الفقير. ويروى أن الشيخ عدي أوصاهم قبل انتقاله من هذا العالم بأن يكونوا مطيعين لوكيله (أمير شيخان).

---

١ ـ ولا يجوز القسم بالخرقة كذبا كما ذكرنا.

الفقيرات : هناك عدد من النساء الأرامل اللائي وهبْنَ حياتهن لخدمة لاليش، بأن يُمضين عمرهن بصنع فتيلات مصابيح المزار.

٥ ـ **القوّال** : (أو المرتّل) وتطلق على من ينشد في المحافل الدينية أو في أيام الأعياد والأفراح. وغالباً ما يكون القوالون من الشعراء المحليين. ويقولون إنهم رافقوا الشيخ عدي عبر بادية الشام، وظلوا معه على المحبة. وهو الذي منحهم : حق إنشاد القصائد والمدائح النبوية، وخصّهم بحفظ أسرار الشريعة والحوادث التاريخية. ويعتزون بأنهم يصاحبون الملك طاووس، وينشدون أمامه المدائح في الله وفي الملائكة. ويتجولون في القرى ليجمعوا النذور والصدقات، وكلما قاموا بزياراتهم الدينية نظفوا المكان من الغبار ومن بقايا الزوار وأوساخهم. وهم يتباهون بهذه المهمة ويعدونها شرفاً ورثوه عن آبائهم.

يعلّم كبار أصحاب الطبقة أبناء القوالين علم الغيب، والرقص الديني، والضرب على المزاهر، وإنشاد القصائد حتى يخلفوا آباءهم «القوالين» في حرفتهم. ولا يجوز لهذه الطبقة أن تتزوج من غيرها. كما أن الشيوخ لا يجوز لهم الاقتران ببنات القوالين. إلا أن «بابا شيخ» ـ في ربع السنة الأخيرة ـ أفتى بجواز زواج أبناء القوالين ببنات طبقة القوالين.

ومهمتهم الأساسية زيارة الجماعات اليزيدية حيثما كانوا وأينما استوطنوا، ونراهم يحملون معهم صورة الملك طاووس دليلاً على هويّتهم. وعندما يحل القوال في إحدى القرى يمنحه مضيفه غرفة في منزله، فيُثبت القوال المجسّمة (السنجق) على منصة في تلك الغرفة، ثم يشرع بجمع التبرعات بينما يعظ الناس ويخطب فيهم ويحثهم على التبرع. ويوسَم كل سنجق عادة باسم المنطقة الموجَّه إليها. وقد تصل مواكب القوالين إلى ألمانية لكثرة المهاجرين إليها. وحين تتمّ عملية التبرع يعود القوالون أدراجهم إلى «باعدري» حيث يودعون السناجق لدى الأمير في قصره.

وحتى السنوات الأخيرة كان القوالُ الوحيدَ المسموح له بالقراءة والكتابة. وكان الحارس الرسمي لكتابهم المقدس «الجلوة». وله قبعة «عرقية» خاصة يغطي بها رأسه يدعوها «كمه قوال». ولا يجوز أداء يمين كاذب بهذه القبعة. كما لا يجوز لهم حلق لحاهم وشواربهم. ومسكنهم الآن في قريتين هما «بعشيقا» و«بحزاني»

٦ ـ **الگوچك** : أفضل المراتب في الديانة اليزيدية، ويعتبرونه بمنزلة النبي. والگواچك طائفة كبيرة العدد، وأغلبهم حجاج تركوا بلادهم ليعيشوا حول لاليش، ويعملوا كحطابين للمزار، وهم موزعون بين سنجار وشيخان، ويختلفون عن سائر المراتب بلباسهم الأبيض. وحزامُهم الصوفي أسود اللون أو أحمر، بحلقات مميزة.

وإذا أراد الگوچك أن يتنبأ يلتحف بعباءة ويضطجع على الأرض، ثم يدمدم ويترنّم. وبعد ذلك يروي للحضور ما تراءى له في الرؤيا النبوية. وهو كذلك بمنزلة الطبيب عندهم، فهو يعود المرضى ويصف لهم الأدوية المناسبة وكيفية استعمالها. والدواء واحد وإن تنوّعت الأدواء والعاهات. هذا الدواء هو «تربة» المزار الفلاني، أو الفلاني . . . . بحسب نوع المرض. يضعه الگوچك على الجبهة أو على البطن . . . بموجب حالة المرض. ولا شك أن بعضهم من ذوي المواهب والطاقات الهائلة، ويدّعون التواصل مباشرة مع الملك طاووس نفسه.

ومن وظائفهم الدينية الأخرى : اعتناؤهم بزوار الشيخ عدي أيام الاحتفالات، وتجهيز الميت وغسله وتكفينه ودفنه، وكشف مآل الميْت خيراً أو شراً (مرتبة تناسخه)، والاتصال بعالم الغيب والشهادة لمعرفة واقع الناس ومستقبلهم، والخدمة في المقابر المقدسة، والخدمات القاسية في مقبرة الشيخ عدي كنقل الحجارة وتقليم الأشجار، وذلك كله بإشراف «چاويش» منهم يدعى «كوچك عزب»[1]. وهم يقيمون في مرقد الشيخ، وعليهم مهمة حراسته. واحترامهم واجب، وكلامهم مصدَّق، وعملهم معتبر، حتى وإن كان عن طريق الاحتيال والشعوذة، ولقد جاء في ختام كتاب الجلوة : «احفظوا سُنني وشرائعي وحافظوا عليها، وأطيعوا خدمي وأصغوا إلى ما يقولون، وصدِّقوا ما يقولونه فما ينقلونه من الغيب فمني».

ومن يجد ـ من أي يزيدي ـ في نفسه القدرة على رياضة نفسيَّة خاصة يبْلغْ مرتبة الكوچك، ويشخص مستقبل الناس، ويكاشف الأرواح، ويفهم أسرارهم الطبيعية. وعلى كل واحد ـ عندئذ ـ أن يردَ أربعين منبراً، ويزور أربعين سراجاً، ويقسم على أن يكون في غاية الصفاء للشيخ عدي، وأن يقوم على خدمته، وأن

---

١ ـ إن تنظيف مقبرة الشيخ عدي مقصور على مجموعة الكواچك .

يعزف عن الدنيا وما فيها، وأن يصوم أربعين يوماً. ثم يزور مقبرة الشيخ عدي مرة ثانية، ويزور أربعين سراجاً، ويدخل على المنبر أربعون شيخاً منهم، ويقصدون بابا شيخ لكسب البركة. وبعد أن يمتحنهم يمنحهم حق ممارسة سلطتهم ـ من غير أن يحول دون من يجد فيه الكفاءة ـ والناجح منهم يعطيه زناداً وحلقتين من المعدن الأصفر.

وإذا حلَّ بالبلاد بلاء أو ضيق يطلب الشيخ الكبير من الكواچك جميعاً الدعاء والصلاة لكشف هذا البلاء. وهم يجتمعون ـ لهذا الغرض ـ في مرقد الشيخ عدي أو في منزل الشيخ الكبير أو في أي مكان آخر عدة ساعات. والشيخ الكبير يجمع الكواچك عشر مرات سنوياً في عشرة أعياد، حيث يتوجهون نحو مرقد الشيخ فيخدمون المكان وينظفونه.

المريدون

المريدون هم عامة الناس، المطيعون لأوامر رؤسائهم الدينيين إطاعة عمياء. وهم يعتقدون أن التدخل في الشؤون الدينية والعبارات يُذلهم ويخرجهم عن ملتهم. وعلى كل امرىء رجلاً كان أو امرأة أن يكون له شيخ وپير يقدم لهما صدقاته ونذوره ويتعلم منهما ويسترشد بهما. وإن مات پير مجموعة من المريدين (العامة) أو حرقه الأمير، ولم يكن في سلالة هذا الپير أحد يحل محله فعليهم الاتصال بالأمير ليعين پيراً مرشداً. والمريدون يتزوجون فيما بينهم، ولا يجوز لهم التزاوج بالطبقات الأخرى.

السناجق[1]

في اعتقادهم أن للملائكة السبعة الذين اشتركوا في تكوين هذا العالم وخلقه علاماتٍ خاصة، حفظها سليمان الحكيم لديه. وحين دنت وفاة سيدنا سليمان أودعها لدى أحد ملوك اليزيديين. وحين ولد «بربر آيا» أو «يزيد البربري» انتقلت إليه العلامات فخصص لها منشدين.

كان لهم ستة سناجق (أو سبعة)، ولم يبق منها اليوم سوى سنجق واحد،

---

١ ـ السنجق: كلمة تركية معناها الراية، لكن اليزيديين أطلقوها على شكل مجسم فيه صورة الملك طاووس، منصوب على عمود شبيه بحامل الشمعدان.



«سنجق الطاووس الذي تمتلكه إحدى الأسر البغدادية»

لأن الحكومة العثمانية أرسلت سنة ١٣٠٩هـ (١٨٩٤م) جيشاً بقيادة الفريق عمر حسين باشا لإصلاح وضع العراق. وبعد حروب طويلة مع اليزيدية استولى على خمسة من سناجقهم، فاضطروا إلى صنع غيرها[١].

وأعلى السنجق تمثال بهيئة الديك أو الطاووس من النحاس أو الشَّبه أو الحديد. ولكل سنجق هيئة تختلف عن هيئة الآخر. وكلها مركبة بلوالب شتى وبصنعة عجيبة في غاية الظرافة[٢]. ولكل سنجق محل خاص في قصر الأمير، وسرير صغير من النحاس، وإناء بهيئة الهاون موضوع أمام السنجق، والشموع توقد أمامه صباح مساء، وتحرق له البُخور العطرة. وتحفظ جميعها عادة في «خزانة الرحمن» في بيت الإمارة في باعدري. وفي أيام جمع النذور والصدقات، في شهور: نيسان، أيلول، تشرين الأول، يحملها القوالون ويتجوَّلون بها، ثم تعاد إلى مكانها المعتاد «خزانة الرحمن».

ولكل سنجق بلاد وضعت في كنفه. ففي جناح السنجق الأول بلاد شيخان وهي قرى اليزيدية الموجودة في أطراف الموصل ونواحيها. وفي كنف السنجق الثاني جبل سنجار. وفي ظل السنجق الثالث قرى «الخالته» وهي قضاء من أقضية ديار بكر. والسنجق الرابع «الهَورية» ويسمونها نقص الكواجر وهم الرحَّل من اليزيدية الأكراد. والسنجق الخامس اليزيدية، أطراف حلب ونواحيها ويُدعَون «المليَّة». والسنجق السادس «السَّرْ حدار» وهم يزيدية بلاد الروس وغيرها من البلاد الخارجة عن أملاك عثمان.

فإذا جاء الربيع أخرج خَدَمة الدين سنجق شيخان وطافوا به في تلك الأصقاع، ويجتمع القوالون المختصون بهذه المنطقة لينشدوا الأناشيد الخاصة بذلك السنجق. ثم يأتي البير الأعظم، فيأمر المير بأن يوضع السنجق في خرج «هگيبة»[٣] ويحمل على جواد البير الأعظم المطهَّم. وعندما يقترب الموكب من إحدى القرى يرسلون أمامهم فارساً يبشرهم بقدوم السنجق، وهو ينادي بالكردية: «سنجق هات» أي «جاء السنجق». فيخرج الناس بزينتهم لاستقباله،

---

١ - يذكر دملوجي أن الجيش العثماني عثر فقط على أربعة سناجق، فأرسلها إلى بغداد حيث حفظت في خزانة الجيش السادس عام ١٨٩٢. ثم أعادتها الحكومة العراقية إلى أصحابها عام ١٩٠٨.

٢ - تذكر الموسوعة البريطانية أن وزنه ٧٠٠ باوند.

٣ - هگيبه: مخفف حقيبة.

ويصطفون صفَّين متقابلين، والسنجق يتقدم بينهم، والقوالون يزمرون بالمزامير وينقرون بالدفوف وينشدون الأناشيد بالكردية، فتجيبهم النساء بالهلاهيل، حاملات مجامر البخور والعود. ثم ينادي الپير: «السنجق ضيفي بمئتي ليرة». ويقول الآخر: «السنجق يستضيف السنجق؟». فيقول أحد الحاضرين: «السنجق ضيفي بمئتي ليرة». ويقول الآخر: «السنجق ضيفي بثلاث مئة». . . وهلمَّ جرّا، حتى تنقطع الزيادة. فيتقدم الپير ويُنزل الخرج من على ظهر الجواد، ويعلقه برقبة الذي آلت إليه. حيث يضعه على مُتكأ خاص، وإلى جنبه شمعة مضيئة. ويجلس القوالون عن يمينه وشماله. كما يجلس الپيورة والشيوخ وينشغلون بالإنشاد الديني. ثم يتقبَّلون ترحاب الجمهور، ويباركون لهم، من غير أن ينقطع صوت الطبل والمزمار، ويتوافد سكان القرى المجاورة وهم يُظهرون الخشوع والخضوع، وقد عقدوا أياديهم على صدورهم، وهم حاملون الهدايا والنذور. وكل من تبرع بشيء سقوه ماءً من طاس السنجق، ويكون له حق الجلوس على سماط صاحب البيت وتناول طعامه.

فإذا تمَّت مراسيم الاستقبال والزيارة فصلوا المجسَّمة عن العمود، ووضعوها في خرجها المخصص لها، وانتقلوا بها إلى قرية أخرى، وهكذا.

أما القوالون فيحمل كل واحد منهم مجموعة من الأقراص المعجونة من تربة الشيخ عدي، ويعطونها للناس في أثناء تجوالهم على أمل الشفاء والتبرك. فإذا أتمّوا تجوالهم عادوا بالسناجق وغسلوها بماء السمَّاق ودهنوها بزيت الزيتون قبل أن تحفظ في مواضعهاالخاصة.

ذكر غست[١] أن حسين بيك رهن مرة أحد السناجق لدى رجل مسيحي في الموصل لقاء مبلغ من المال احتاج إليه. وأن أحد السناجق اشتراه نيقولا سيوفي[٢] من أحد القوالين بمبلغ خمس ليرات تركية ذهباً. ولا نعلم مدى صحة هذين الخبرين.

على أي حال فإن جمع الصدقات والتبرعات يتم سنوياً عدة مرات تحت راية

1 – The Yazidis,121

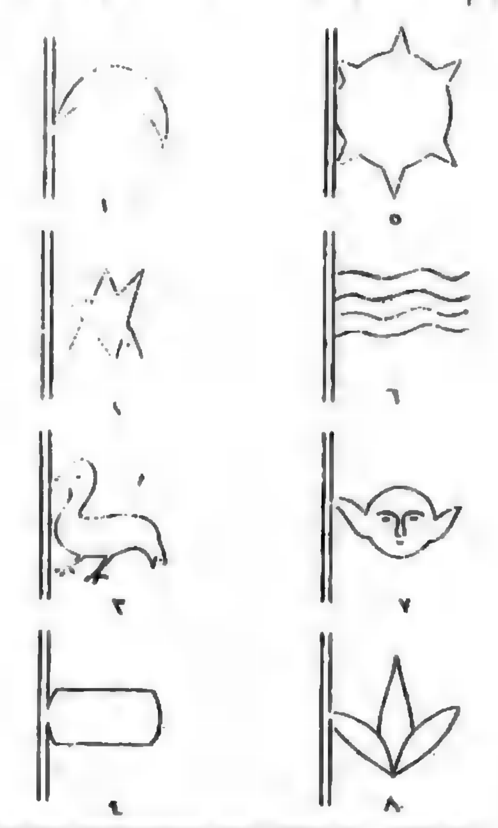
٢ ـ نيقولا سيوفي: دمشقي الأصل، عمل في عدة قنصليات، ثم مترجماً للأمير عبدالقادر الجزائري. وفي عام ١٨٧٨ تسلم منصب نائب قنصل فرانسة في الموصل.



«سنجق شيخان ـ صورتها السيدة بادگر Badger في بعشيقا. العراق ١٨٥٠»

السناجق فقط، والتي تتجول بصحبة رجال الدين في المناطق التي يتوزع فيها اليزيديون. أما أصل نظام التبرعات فغير معروف، ولعله لم يكن قديماً، دفعه إليه حاجة الأمير إلى المال. والأموال تحوّل إلى قصر الأمير للمصروفات المتفرقة الدينية والدنيوية.

أما أشكال هذه السناجق فترى الباحثةAnastas Marie[1]أن هذه الأشكال تمثل السناجق المعروفة لديهم. وكل سنجق يرمز إلى شكل معين. فالرقم واحد يرمز إلى القمر أو الهلال. والرقم اثنان يرمز إلى نجم الصباح. والرقم ثلاثة يرمز إلى الطاووس، وهو أشبه به. والرقم أربعة يمثل الأرض. والرقم خمسة يمثل الشمس، والرقم ستة يمثل نهرين، وهما دجلة والفرات على الأرجح. والرقم سبعة يمثل الشيطان. والرقم ثمانية زنبقة بثلاث شعلات وهو رمز للنار واللهب.



1 - Anthropos, pp4-8. 1911.

مزاراتهم

ترتبط مزارات اليزيدية بأعيادهم غالباً. لكننا حاولنا فصل المزارات عن الأعياد؛ فما كل عيد مرتبطاً بمزار معين، وما كل مزار له عيد. وعددُ مزاراتهم بعدد أوليائهم[1]، وهم كثير. ويوكل أمر هذه المزارات إلى شيوخ القبائل والپيورة. والناس يزورون هذه المزارات، فإذا ضاقت بالحضور، اضطروا إلى المبيت في الساحات حول المزارات. ولكل واحد من هذه المزارات أيام خاصة للطواف حوله، ولا سيما في شهر نيسان.

ولاشك أن مرقد الشيخ عدي أهم هذه المزارات. ومن مزارات قرية بعشيقا: شخص الشيخ محمد ـ شخص الشيخ أبي بكر ـ شخصا مُسيعد ومسعود ـ شخص الست نفيسة ـ شخص رأس العيون ـ شخص الدراويش ـ وفي قرية خَتار (خطار) شخص ناهش. وفي قرية بابيرا شخص باطي. وفي قرية كُوَيْچن شخص الشيخ عَنْزَروت.

وفي جبل سنجار مزار الشيخ شمس الدين تَوْرِس بقبته المخروطية[2]، ومزار الشيخ بركات في قرية «تخمي عوج»، ومزار الشيخ دقيق بين قريتي «حمسكي» و«بارة»، ومزار الشيخ محمد رشان شمال قرية «تَبَه»، ومزار الشيخ الرومي السنجاري في شمال الجبل، ومرقد الشيخ أسود ويعتقد به اليزيديون وبعض المسلمين السذج، ومزار الست زينب (بنت علي بن أبي طالب) في شرقي سنجار، وتنتسب إليها طائفة اليزيدية الباباوات.

ومن مزاراتهم كذلك: شمس الدين أو شمس يزديك وهو ملك الشمس ويحكم على الشمس والنهار. وفخر الدين وكان وزيراً أوَّل عند الشيخ عادي. وشرف الدين وهو مسعد الزمان. وأبوبكر وكان رئيس الفقراء. والشيخ عالي ويروى أن الشيخ عدي لما حضر من بعلبك نزل في بيته وبقي عنده أربعين يوماً، وصام هناك، وهو من تلاميذه. والحاج رجب وهو من أخصَّاء الشيخ عدي. والشيخ مشلح مهمتُه أن يُلبس خلعة كلما رضي الشيخ عدي عن أحد وأراد إكرامه. وإذا غضب الشيخ عدي على أحد أمره بأن يَخلعه إياها، ومرقده على

---

١ ـ يدعون الولي صاحب المزار بالشخص.
٢ ـ يزار بين ٢٠ ـ ٢١ من تموز الشرقي كل عام. ويحضر بعض المسلمين هذه الزيارة أيضاً.

الطريق إلى مرقد الشيخ عدي. والشيخ مَنْد باشا ويحكم على الحيَّات؛ فمن لدغته حية جاء إلى أحفاد الشيخ مند فيعالجون الملدوغ ويشفونه. وملك ميران من أبرار اليزيدية، وكانت السناجق تُحفظ لديه ولدى أحفاده، ومن نسله الملك يزيد.

ومن أصيب بداءٍ باطني قصد أحد أحفاد الشيخ أمادين، حيث يناوله حفنة من ترابهم ويفرك بطنه أو يشدّه على يده أو ظهره وبطنِهِ فيشفى. وبابادين من تلاميذ الشيخ عدي، وكذلك الشيخ طوكل. والشيخ كراس وهو رئيس اكتشافات الأرواح، ويُبلغ من ينتقلون بالتناسخ. ولكمدين بابا وكان حافظ أسرار الشيخ عدي، وبهلول بيك دانه من الذين اهتدوا بالشيخ عدي. والشيخ إبراهيم الخورستاني كان من أغنياء خورستان، وكان له رحى تطحن الزعفران، فرأى يوماً أن الله يأمره الالتحاق بالشيخ عدي، فترك غناه وثروته ولبس الخرقة وأقبل على الشيخ عدي واهتدى به.

وناصر الدين كان جلاداً عند الشيخ عدي، وكان الشيخ عدي إذا غضب من أحدٍ أمر ناصر الدين أن يطلب من الله قبض روحه. وپير آفات رئيس البَرَد وآفات الزروع، فإذا حلّت آفة بالمزروعات نذروا للپير آفات غنماً أو أبقاراً أو غير ذلك، فترفع الآفات عنهم. وپيرهسن ممَان رئيس الپيورة. وپير هجالي مَن أُصيب بالجنون لجأ أهله إلى أحد من أحفاده، فيقيم سبعة أيام عندهم ويعطونه خبزاً وماء فيشفى. وپيربوب أحد أمناء الشيخ عدي. والشيخ عقيل المنبجي من المهتدين بالشيخ عدي مع الشيخ الكرخي، وإيسيبيا كان خازناً للشيخ عدي. وخاتونه فخرة والدة أمادين وشمس الدين. وهسن جلال كان يدقّ الدف ويعظ بحضور الشيخ عدي. وأندريسي كان يخيط ثوب الشيخ عدي الديني. وبوقَطار بابا من وكلاء الشيخ عدي في ماردين وأطرافها. ومنصور الحلاج كان فدائياً أمام الشيخ عدي ويعظ باسمه. والشيخ حنتوش من المؤمنين المهتدين مع ابنه الشيخ قاسم بالشيخ عدي.

ومار يوحنا كان رئيس دير في موضع الشيخ عدي، فلما حضر الشيخ عدي أقنعه هو ومئة وخمسون من الرهبان معه فأطاعوا الشيخ عدياً جميعاً. ويروى أن دَيرهم هو مزار الشيخ عدي الآن. وپير جروة كان يمسك بالعقارب، ومازال أحفاده يمسكون بها ويضعونها في أفواههم من غير أن تؤذيهم. ومحمد رشان ملك

الأمطار. وپير قضيب البان من أصيب بمرض داخلي قصد بيتاً من ذريته فيغسلون بطنه بماء وصابون ثلاثة أيام فيشفى. والشيخ موسى صور ملك الهواء ورفيق عبدرش، فمن أصيب بمرض الهواء زاره وقدَّم إليه هدية فشفاه.

والشيخ خال شمسان من أصحاب الشيخ عدي، وله عيد قبل عيد رمضان بيوم أو يومين. و«حَكي فيرس» من نسل لقمان الحكيم، وأحفاده يعالجون الجراح بالعقاقير والحشائش. وملك السجادين رئيس الجراد.

وعشرات ـ أو مئات ـ من مزارات الشيوخ المقرَّبين، ولكل واحد من هذه المزارات مقام خاص لدى الشيخ عدي والمعتقدين بالديانة اليزيدية، وله قبة خاصة كبيرة أو صغيرة وذلك بحسب مقامه. وفي أيام الزيارات يجتمع اليزيديون من كل حدَب وصوب حيث يزورونها ويطوفون حولها. وترتبط هذه المزارات بأعيادهم وطوافاتهم كثيراً. وسنلاحظ بعض الاتصال بين هذه المزاررات وأعيادهم.

أعيادهم وطوافاتهم

تعتبر الطائفة اليزيدية من أكثر الملل والنحل ميلاً إلى الابتهاج والاحتفال، فأعيادهم كثيرة جداً، بعضها خاص بطوافاتهم الدينية، وبعضها بأعيادهم ومسراتهم، كما أنهم يشاركون بعض الأمم الأخرى وأصحاب الأديان المجاورة أعيادهم واحتفالاتهم. هذه الأعياد هي:

١ ـ **عيد سَرسال**: (معناها عيد رأس السنة) ويبدأ في أول أربعاء من نيسان شرقي (ويعادل ١٤ نيسان غربي). فإن حل رأس السنة مثلاً يوم الخميس أرجؤوا الاحتفال به إلى الأربعاء التالي في يوم ٨ نيسان (أي ٢٠ منه). وفي ليلة رأس السنة ترتدي النساء والصبايا ألبسة فاخرة وجديدة مذهبة ومزينة، ويتجهن نحو السهول والروابي الخضر المزدانة بالأزاهير فيجمعن الشقائق النعمانية، ويعلقنها على الأبواب أو الجدران وبين الغرف، ويصففن الأزهار في النوافذ، ومنهن من يضعن الأزهار على قشور البيض الملون.

والشائع في هذا العيد القمار وتلوين البيض واللعب به. وكل من يزور بيتَ يزيدي لا بد له من تقديم طبق من البيض الملون ليلاعبوا به صاحب المنزل أو من عنده من الضيوف. وتزدحم الشوارع والحواري باللاعبين والمتفرجين. والقمار بالبيض منحصر بالذكور، ويمتنع على النساء[1].

وطعام ليلة العيد لحم، ولا بد لليزيدي من أن يذبح بقرة أو غنمة، وقد يذبح دجاجة، ويجب على اليزيدي أن يعد أفخر الأطعمة لهذه الليلة، ويوزعه في اليوم الثاني على الفقراء وأبناء السبيل والمساكين، وتعد بعض النساء طعاماً يأخُذْنَه إلى المقابر.

ويعتبر اليزيديون شهر نيسان الشرقي كله عيداً. وهم لا يتزوجون في نصفه الأول، ولا يبنون منزلاً ولا حتى غرفة من المنزل. ويقولون إن الملائكة تنزل من السماء في النصف الأول من الشهر، وتعبر قراهم ليلاً. ويذهبون في أيام الجمع لزيارة المزارات البعيدة والقريبة، وهم يقيمون في هذا الشهر حفلات رقص جماعية مختلطة، فيرقصون الدبكة على الطبل والمزمار، ويمضون أيامهم بالطرب والأنس والخمرة والكرم. وما هذا الرقص سوى نوع من العبادة.

---

١ ـ وهو من الأعياد النصرانية كذلك، ولكن ليس في رأس السنة.

وعلى العلماء والعامة السجود شكراً، وعلى الملائكة توزيع البركات والخيرات على الأحياء والموتى من مخلوقات الله. لأن الله يجلس على عرشه ويأمر الملائكة بالعمل الطيب، ويقول: إنني أتنزل إلى الأرض بالتسبيح، والكل واقفون تحت قدمي الله فيعرفونه جميعاً، فيمهر الله بمهره الطيبين منهم، ويأمر الله الملك طاووس أن ينزل إلى الأرض ليعينهم بقدرته، وكل شيء بإرادته.

وأهم الاحتفالات في عيد سرسال تجري في قريتي بعشيقا وبحزاني، حيث يقوم البابا شيخ بالمراسيم الدينية، ويصحبه فيها المير وعائلته، وتتضمن العبادة زيارة مزار الشيخ محمد، وينتهي الاحتفال عادة بسباق الخيل، وقد يحضره زوار من الموصل. أما في سنجار فتعقد الاحتفالات عند مزار شريف الدين على قمة جبل «جلميران» بألعاب نارية، تشير إلى بدء العام الجديد.

٢ ـ عيد الجماعية: وهو العيد الرئيسي العام، ويدوم سبعة أيام يعقدونه في لاليش احتفالاً بأول وعظ للشيخ عدي ويستمر هذا العيد ـ في هذا القرن ـ من ٦ ـ ١٣ تشرين الأول[1]. وتجري فيه احتفالات وأعمال أهمها:

أ ـ الوقوف عند سرير الشيخ عدي: والسرير عبارة عن حلقات قديمة مصنوعة من البرونز والنحاس، وعلى طرفيه لوحان خشبيان، وهما بنظرهم مقدسان. يعتقدون أن هذه الحلقات واللوحين كان الشيخ عدي يجلس عليها، بالإضافة إلى سجادة قديمة كان كذلك يجلس عليها ويدعونها «برشباكي». والسرير والسجادة محفوظان لدى رجل في قرية بحزاني يدعونه الشيخ بريم.

وحين يهل عيد الجماعية يفتح باب المزايدة على نصب السرير، ويتسابق رؤساء القبائل إلى كسب هذا الافتخار، حتى إذا تمت هذه المزايدة ينهدُ القوالون إلى ضرب الدف، والنساء يطفن حول السرير، والقبيلة التي تدفع أكثر تشرع في نصب السرير وتركيب حلقاته، وربط السجادة بالحلقات، ويجب أن تكون أبعاد الحلقات متساوية، ثم يربطونها بحبال قديمة مغسولة بماء زمزم، ثم يربطون اللوحين الخشبيين المقدسين كذلك.

ثم يتقدم رؤساء القبائل من السرير فيحملونه بكل إجلال واحترام إلى طرف الحوض في وسط صحن الشيخ عدي ويقبلونه. وهم يعتقدون أن هذا العمل واجب

---

١ ـ وكان في القرن الماضي يعقد من ٥ ـ ١٢ تشرين الأول.

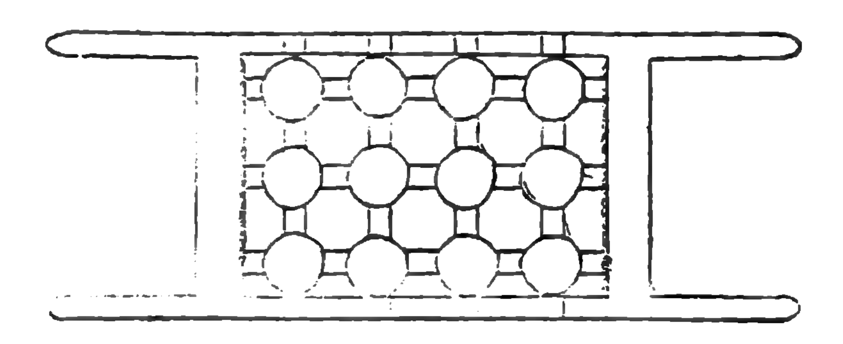


«مدخل إلى ضريح الشيخ عدي في لالش عام ١٩٧٨»

وشرعي، ولا يحق لهم أن يمنعوا الناس عن التبرك به والدنو منه، وكثيراً ما يرتمي بعضهم على السرير ويموت، ومن مات على هذه الحال عد شهيداً .

وبعد أن تتم هذه المراسم يعم البشر والحبور الناس جميعاً، ويكون هذا عنواناً لرفاهة يأملون بها في عامهم القابل. وإن كان عددهم كبيراً واستحال عليهم إنجاز مراسمهم عادوا إلى منازلهم مكسوري الخواطر محزونين، فتراهم يتحسرون لأن عدم وصولهم إلى ماء زمزم دليل عسر العام الجديد عليهم، وعلى أي حال فإن أمير شيخان يمنح الذي حظي بافتخار نصب السرير هدية رمزية كالعباءة.

والكواچك في العادة يسبقون الجميع إلى المزار لتنظيفه وإعداده لاستقبال الزوار. أما إقامتهم فيه فمؤمنة في مساكن صغيرة موزعة عبر الوادي، بينما ينصب بعضهم خيامهم على سفوح جبل لاليش. وتنتشر الدكاكين والبائعون في ساحة المزار لبيع المكسرات والفواكه المجففة والجواهر والخردوات . ويحضر الحجاج معهم أطعمتهم، لكن المير يعد وجبة من الدجاج لهؤلاء الحجاج قرب المزار، ويرمون قطع اللحم المشوي على الجموع على ذكر إحدى الوجبات التي أعدت عندما قدم أحد أصدقاء الشيخ عدي من سفره .



ب ـ القاباغ : كلمة تركية معناها الأصلي لقاء ومقابل، لكنهم استعملوها ـ ولا نعلم سبب ذلك ـ بمعنى إطلاق الرصاص جماعة . وهي علم على أحد أعيادهم ؛ فعندما تتم احتفالات عيد الجماعية يصعد اليزيديون في اليوم الثاني الجبال المحيطة بالمرقد، ويباشرون بإطلاق النار جماعة ودفعة واحدة، معبرين بذلك عن سرورهم بحلول اليوم الثاني للعيد. ثم ينزلون من الجبل، ويتجمعون في صحن مرقد الشيخ وحول أطرافه، ويرقصون الدبكة رجالاً ونساء، والقوالون يعزفون لهم ويضربون .

ويحضر أمير شيخان ثوراً ضخماً ويقول للحضور: حافظوا على هذا الثور، فيتقدم الفتيان المسلحون ـ وهم من عشيرة ما سوسية عادة ـ فيسحبون الثور نحو مزار الشيخ عدي، ويهمهمون عليه بعض الأذكار، ويتعهدون بالحفاظ عليه سليماً، لكن فتى يستطيع أن يسرق الثور بدهاء، فتعلو الولولات والصراخات، وفي النهاية يتمكن حراس الثور من استعادته من غير أن يدلوا على السارق، وينكرون معرفته. يعيدون الثور إلى مرقد الشيخ بالأهازيج والزغردات. لكن الشاب الذي سرق الثور أول مرة يعود فيسرقه مع رفيق له ثانية، ويسوقه إلى مرقد الشيخ شمس القريب من مرقد الشيخ عدي، وهناك يذبحانه ويعطيان لحمه إلى متولي مرقد الشيخ شمس، ويقولان له: هذا لحم منذور، فيطبخ المتولي اللحم حتى ينضج تماماً، ويتركه في القدر مَشاعاً، ومن حظي بقطعة من لحمه ـ مهما كانت صغيرة ـ كان له ثواب كبير.

جـ ـ سماط جلميرة: يقول يزيديو عين سفني إنه كان للشيخ عدي أربعون تلميذاً مخلصون في خدمته، ويفدونه بأرواحهم، وكان رئيسهم من أهالي عين سفني ويدعى «فخره جلميرة». ولهذا بنوا له مقاماً. وحين يتم عيد الجماعية يذبحون بقرة على محبتهم لفخره جلميرة، ويمدون سماطاً أسموه سماط جلميرة، ويتوافد السكان على السماط، وبصعوبة شديدة يحظى الواحد منهم بقطعة من لحمها، لأن أمير اليزيدية والشيخ الوزير وبابا شيخ يأخذ الواحد منهم قطعة كبيرة، وبعد أن يفتتها يرمي الفتات على رؤوس الأشهاد، فيتسارعون بكل شوق إلى التقاط ما يستطيعون، ويتقاسمونها فيما بينهم، بحيث يصل إلى كل فرد قطعة مهما كانت صغيرة، وقد يغمس بعضهم يده في مرق اللحم الساخن، فلعله يحصل على الغدرة من قعر القدرة. ويعتقدون أن القطعة التي يزدردها هي بحجم الإيمان الذي يعمر قلبه.

حتى إذا تمت هذه المراسم نشر وكيل الأمير على رأس كل فرد منديلاً أبيض، فيدفع مالاً باسم ثمنه، وبعد ذلك يعودون إلى منازلهم زرافات، ويبقى فقط سكان قرية بحزاني لينظفوا المكان من الأوساخ.

د ـ الغسل في زمزم: على سفح الجبل الذي يرقد فيه الشيخ عدي عين ماء صاف يسمونها زمزم، عمقها متر تقريباً وقطرها متران. ويروون أن الشيخ عدي حين قدم إلى هذا المكان ولم ير فيه ماء طلب منه مريدوه أن يجترح لهم آية، فأخذ الشيخ عصاه وضرب بها الصخرة، وقال للماء: «زَمّ زُمّ»، أو قال: «أريد ماء زمزماً» أي كثيراً، فانبثقت المياه أمامه.

ويروى أن الشيخ عدي بعد أن تفجر الماء بين يديه أضاف عليه بعضاً من ماء القدس أو من نهر الأردن، وقد حاول بعض المستشرقين والمسلمين رؤية ماء زمزم فلم يوفقوا. وعلى أي حال فإنهم يستعدون لعيد الجماعية ويصعدون الجبل ويغتسلون بذلك الماء المقدس ليتم حجهم، وإن رافق امرؤ يزيدي صديقاً غير يزيدي فإن اليزيدي وأهل قريته يحرمون من أداء الحج، ولا يستطيعون الاغتسال بماء زمزم، ويحاولون إخراج الضيف من مرقد الشيخ عدي بأي وسيلة .

ويعتبر عيد الجماعية بالنسبة إلى رؤساء اليزيدية مناسبة جليلة تناقش فيه قضايا المجتمع، ففيه يختلط البابا شيخ والمير والشخصيات الدينية الأخرى مع الحشود بحرية، وهي المرة الوحيدة في السنة التي يقابلون فيها أتباعهم. أما العامة فإنهم يعتبرونه آبار عيد لهم ففيه بالإضافة إلى ما ذكرنا يزورون الأماكن المقدسة، ويعمدون أطفالهم في أبار النبعة البيضاء، وتوزع عليهم فيه أقراص من تربة الشيخ عدي، ويعم الرقص والغناء بينهم طوال الأسبوع .

٣ ـ عيد الأربعين يوماً صيفاً: لهذا العيد عندهم أسماء عديدة؛ فبعضهم يسميه عيد الشيخ عدي، وبعضهم يسميه العيد الكبير، ومدته خمسة أيام تبدأ من ٨ تموز شرقي وتنتهي بالواحد والعشرين منه (من ٣١ تموز إلى ٣ آب). حيث تتجه فئة الكواجك وبعض رجال الدين إلى مقبرة الشيخ عدي، فيصومون هناك ثلاثة أيام ثم يعودون إلى منازلهم، ويتابعون صومهم أربعين يوماً، لأنهم يعتقدون أن الشيخ عدي كان يصوم أربعين يوماً في الصيف وأربعين يوماً في الشتاء[1]، ويحتفلون به في لاليش فقط. وقبل نهاية الأربعين بيومين أو ثلاثة يزورون الشيخ عدي ثانية وهناك يعيدون ويذبحون الذبائح .

٤ ـ عيد الأربعين يوماً شتاء: هذا العيد يجري في ٢٠ كانون الثاني الشرقي (٢ شباط غربي). ومراسيمه تشبه مراسيم العيد السابق بزياراته وصومه .

٥ ـ عيد يزيد: يصوم فيه اليزيديون ثلاثة أيام هي الثلاثاء والأربعاء والخميس قبل يوم الجمعة الأول من شهر كانون الأول شرقي والتي هي أقصر أيام

---

١ ـ للعدد ٤٠ تقديس خاص لديهم، ففيه جرت أحداث جليلة؛ من ذلك: طوفان نوح والذي دام أربعين يوماً، وتاه بنو إسرائيل، وصام موسى وإيليا النبي أربعين يوماً، وحسب شريعة موسى عقاب المجرم أربعون يوماً .. إلى غير ذلك ..

السنة وأبردها (وانظر في الصوم سبب صومهم ثلاثة أيام فقط). وهم يعتقدون أن الملك يزيد ولد فيه. أما يوم الجمعة فإنهم يحتفلون فيه ويوزعون الأطعمة ويرقصون ويطربون ويبارك بعضهم بعضاً، ويصنعون خبزاً يسمونه «صاووك» أو كليجه، ويتكرمون به على الناس بسخاء وذلك على أرواح موتاهم.

٦ ـ **عيد بلنده**: مدته أحد عشر يوماً تبدأ بـ ٢٥ كانون الأول، ويدعونه كذلك عيد الميلاد، وأصله أن الشيخ عدي ولد في هذا اليوم. ويوقدون فيه ناراً في منازلهم يقفزون من فوقها(٢) ثم يشوون بها تمراً وكشمشاً ويأكلونها.

٧ ـ **عيد العجوة**: ويدعونه كذلك عيد الأموات، ويبدأ في اليوم السابع من كانون الثاني الشرقي (٢٠ كانون الثاني الغربي). وفي هذا العيد يعجنون عجينة كبيرة الحجم، ويضعون فيها بعض القلوبات أو الكشمش ثم يخبزونها، ويعلقونها على ظهر أحد أولادهم. وبعد بضعة أيام يكلفون أحد أفراد الأسرة بأن يقسمها على أهل المنزل. وصاحب السعد منهم من وجد في حصته شيئاً من القلوبات أو الكشمش، ويبقى سعيداً هو وأهله طيلة السنة. كما أنهم يصنعون كليجة أخرى مكورة باسم مريم العذراء، ويضعونها داخل المؤونة وداخل الطحين من أجل البركة.

* * *

ولليزيدية أعياد أخرى ليست من صلب عقيدتهم اليوم؛ فهم يعيدون مع المسيحيين بعض أعيادهم بحكم الجوار، ويعيدون مع المسلمين بحكم جذورهم الإسلامية التي ارتبطوا بها. وعلى أي حال فإن مشاركتهم هذه الأعياد تدل على أنهم شعب يحب السرور والأفراح. ومن هذه الأعياد الطارئة:

٨ ـ **عيد الأضحى**: ويسمونه عيد قربان، ويتم تذكاراً لأبينا إبراهيم الخليل حين قدم ابنه إسماعيل قربانا إلى الله، وفداه الله بكبش عظيم. كما أنهم يعيدون فيه قبل المسلمين بيومين، ويقول شيخ طائفتهم إسماعيل بيك: «وإلى الآن صورة ذلك الكبش موجودة في خزانة الرحمن في محل الشيخ عادي!». وعلى كل يزيدي أن يقدم أضحية في هذا اليوم، وفي هذا العيد يصعد الجاويش إلى جبل الشيخ عدي، وعلى رأسه طبق من الخبز الرقيق ومعه جماعة من اليزيدية، فيقف على صخرة عالية ويرمي

---

٢ ـ وهذا شبيه بعيد إيراني قديم يدعى «چهار شنبه سوري».

طبق الخبز في الهواء، فمن تناول قطعة خبز قبل غيره وركض عاجلاً إلى ماء الشيخ عدي الذي يبعد عن ذلك المكان مسيرة نصف ساعة، وغطس الخبز في الماء أولاً نال مرامه، وحظي بجائزة. وهذا العمل يجب أن يتم قبل إنجاز مراسم الحج. ثم يعكفون على المسرات، حتى إذا حل الصباح ختم العيد بالتهاني والمصافحة.

٩ ـ عيد رمضان: ويعيدون فيه قبل المسلمين بيومين، وسبب هذا العيد أن أحد تلاميذ الشيخ عدي، ـ واسمه الشيخ خال شمسان كان سجيناً. ثم أطلق سراحه قبل العيد بيومين، ففرح به الشيخ عدي. ولما كان مقرباً لديه فقد أمر مريديه بالاحتفال به.

١٠ ـ عيد المحيا: أو عيد ليلة القدر، وهو من الأعياد الإسلامية، والليالي المباركة، حيث يسهرون ليلتها إلى الصباح، ويدعونها ليلة المحيا. والزيديون المجاورون للمسلمين يحيون هذه الليلة، ويذهب رجال الدين ورؤساؤهم إلى مرقد الشيخ عدي، فيصلون ويتعبدون ويقرؤون القرآن[1]، ووجوههم متجهة نحو قبلة المسلمين، وهم يستمرون على هذه الحال من العصر حتى طلوع الشمس. أما عامة الناس عندهم فإنهم يسهرون ليلة القدر في معابدهم، ويؤدون الصلاة، ويعتقدون أن الملائكة تنزل في هذه الليلة إلى الأرض، وتكشف أرواح من يموت هذا العام، ومن يولد منهم. ويستمر العيد في النهار الثاني، ولا ينامون فيه كذلك. فالليل إكرام لملك الموت، والنهار إكرام لملك الشمس، وهم يصنعون الأطعمة في هذا العيد ويتهادونها.

١١ ـ يوم الجمعة: عطلة اليزيديين الأسبوعية يوم الجمعة، والعمل في هذا اليوم حرام. ويقولون إنهم كانوا يعطلون يوم الأربعاء، ولا يعلمون سبب تحولهم إلى يوم الجمعة، وفي ليلة كل جمعة يصعد أحد رجال الدين سطح منزله ويدعو الناس لزيارة مقام معين، فيزورونه في اليوم التالي (الجمعة) ويحتفلون به.

١٢ ـ عيد الخضر إلياس: ويتم في الخميس الأول من شهر شباط الشرقي. ويصوم فيه بعضهم يوماً واحداً وآخرون يصومون ثلاثة أيام قبل العيد. وهذا العيد مقتبس عن عيد الخضر (إلياس) المسيحي والذي يسمونه «مار بيهنام»، وأيام صومهم يدعونها «باعوتة».

---

١ ـ وذلك من الآيات التي لم يذكر فيها اسم الشيطان.

١٣ ـ عيد القديس سيرجيوس: الأرمني في ما وراء القوقاز .

طوافاتهم

لليزيدية طوافات عديدة هي بمنزلة الأعياد، من ذلك طواف يكون في ليلة الجمعة قبل عيد رأس السنة، حيث يتجمع الناس في قرية بعشيقا ويطوفون حول مرقد الشيخ ويرقصون رقصاتهم القبلية المحلية (الدبكة) من أول المساء حتى شروق الشمس، حتى إذا تعبوا رجعوا إلى منازلهم، ثم يعودون فيتجمعون في قرية الدراويش [1] ليطوفوا حول قبر حسن فردوس ويقوم فيها بمثل ما قاموا به في بعشيقا .

ويوم الأحد ـ بعد الجمعة الثانية ـ يطوفون حول مرقد سعيد ومسعود. ويوم الأربعاء يطوفون حول الملك مهران، وليلة الجمعة الثالثة يتجمعون في قرية بحزاني ويطوفون حول قبر الشيخ أبي بكر، ويوم الأحد بعده يطوفون حول قبر ناصر الدين وسائر مقابر بعشيقا وبحزاني، وليلة الجمعة الرابعة يستعدون للطواف في قرية باعدري مركز إمارتهم، ولهم يوم محدد يجتمع فيه القاصي والداني ويسمى هذا الاجتماع طواف الشيخ محمد في بعشيقا، ويمضون في القرية ثلاثة أيام. واجتماع «مرتبات الأنبياء» في ديار الموصل في الربيع من آذار ونيسان ونهار الجمعة أو الأربعاء في شهر نيسان. حيث يجتمعون ويضربون بالدفوف ويعزفون بالزرْنايات، فهم يعتقدون أن الشيخ عدي مجاهد وعابد حتى كانت الحيات والهوام والسباع تلتف حوله .

وهم في كل طوافاتهم يشربون الخمور ويأكلون أطيب الأطعمة وهم في غاية السرور والانتعاش رجالاً ونساءً وأطفالاً. وأهم الطوافات عندهم طواف الشيخ عدي وهو واجب على كل اليزيدية، حيث يهرعون إليه من كل البلاد شيوخاً ورجالاً ونساءً وأطفالاً ورجال دين، حتى المرضى والعجز، ويرتدون فيه أفخر الثياب، ويطوفون كموج البحر. وقبل رجوعهم إلى منازلهم يهدون رجال الدين والقائمين على هذه المزارات نقوداً وقلوبهم فرحى بما آتوا في هذا اليوم المشهود .

---

١ ـ تقع قرية الدراويش شرق الموصل، مقابلة لبعشيقا .

بين يدي كتابيهما المقدسين

ذكرنا في فصول سابقة أن الديانة اليزيدية ديانة قديمة تلمست طريقها بين الأديان حتى ارتقت في عهد الشيخ الصوفي عدي بن مسافر وبعده. وعرضنا عدداً كبيراً من آراء المؤرخين في الشيخ عدي وفي الديانة اليزيدية، لكننا لم نلحظ أحداً ذكر أن لهما كتابين مقدسين. ويلوح لي من أسلوب الكتابين وأفكارهما أن مؤلفهما لم يكن عميق الفكر الديني ولا الصوفي، كما أن ثقافته محدودة ومتواضعة، وأن الروح التي تشع منهما تدل على أنهما كتبا في عهود متأخرة، ولعل ذلك حصل في أواخر العهد المملوكي أو في العصر العثماني، مما يدل على أن الروح القدسية والفكرية فيهما غير عميقة، ناهيكم عن تباين أسلوب الكتابين وأفكارهما.

ومع أننا حريصون - بعد قليل - على عرض الكتابين برمتهما، وعلى تبيان خصائص كل واحد على حدة، فإن العجب يساورنا والشكوك تحيط بصحتهما؛ فبعض الباحثين يعزو وجودهما إلى أشخاص لم يكونوا من معتقدي هذه الديانة، كتبوهما لهم منذ زمن ليس أكثر من قرنين، وأن المستشرقين افتعلوا هذا الضجيج ليزيدوا من الفرقة الطائفية والعنصرية التي يحاولون بثها وإبرازها بين سكان الشرق الأوسط. وهذا ما دفع المستشرق «بادغر» إلى إنكار وجود كتابين مقدسين أصلاً، إلا أنه يرجح أن يكون أبناء الطائفة كتبوهما بأنفسهم ليظهروا أمام المسلمين - أصحاب القرآن - أنهم أيضاً أصحاب كتاب، أو أن أحد الرهبان ويدعى «الشماس إرميا» - الذي عايش اليزيديين وعاشرهم - صنع لهم هذين الكتابين.

لكننا لا نذهب مع «أنستاس الكرملي» الذي يعتقد أن كتابيهم عبارة عن آيات قرآنية محرفة، أسقط منها كلمتا «الشيطان» و«اللعنة»، مع أنه اطلع عليهما[1]! فإما أنه لم يطلع على القرآن الكريم، وهذا ما نستبعده من عالم جليل مثله، وإما أنه انساق مع الحريصين على نشر سحابات الوهم على هذه الفئة من المجتمع، للخلاف الواسع بين أسلوب الكتابين وأفكارهما، والقرآن الكريم. بل نحن نزعم أن الأب أنستاس أدرك الروح المسيحية واليهودية، ذات الطريقة السريانية نفسها بما في ذلك تركيب الجملة وأداء المعنى، ولعله هدف من وراء ذلك إلى إبعاد الأنظار عن التشابه الذي نوهنا به، ونظرة واحدة إلى أحد الكتابين تكفي لتبيان أوجه التشابه مع العهد القديم.

---

١ - نشر الأب أنستاس الكرملي النص الكردي مع ترجمة فرنسية في مجلة Ahthropos، المجلد: ٦، ص: ١-٣٩

نحن لا نريد أن نشكك في الكتابين، وليست مهمتنا التي اعتمدناها منذ البدء، إنما غايتنا التعريف بالكتابين وبعرض الملابسات المحيطة بهما .

على أن المشرعين من اليزيدية ـ من أسرة الشيخ حسن ـ يحتفظون بنسخة من القرآن الكريم، يرجعون إليها بين الفينة والفينة، ويعتبرونها كتابهم المقدس ـ بالإضافة إلى الكتابين ـ إلا أنهم أسقطوا منها الكلمات التي تسيء إلى مشاعرهم ـ غطوها بالشمع ـ ويعتقدون أن المسلمين أضافوا على القرآن .

وهم لا يقبلون بهذه المفردات «الشيطان» و«اللعنة»، وما شابهها، أو ما كان على وزنها وإن وقع في يد أحدهم نسخة من القرآن، ولم تكن هذه الكلمات محذوفة يسرعون إلى حرقها، وهذا يدل على أن جذور اليزيدية إسلامية، إلا أن وجودهم في مناطق متطرفة ونائية ومتعددة الفرق والملل جَعَلَ بعضهم ضالين، وعدهم آخرون مرتدِّين .

على أن مؤلفي كتاب «ئيزدياتي» ـ وهما يزيديان ـ يبينان في القسم الرابع من كتابهما وهو بعنوان «كتب اليزيديين» رأيهما في الكتابين بعد أن يستعرضا آراء من سبقهما في هذا المضمار. ولا نرى بأساً من استخلاص هذه الآراء ختاماً حول قضية الكتابين .

يقول اليزيديون: كان لنا بعض الكتب، ولا نعرف عنها شيئاً. والذي سمعناه أن آباءنا وأجدادنا يذكرون اسم «الجلوة» و«الكتاب الأسود»، ويقولون إنهما من وضع الشيخ حسن بمعرفة شيخادي. وقد ضاعت ولم يبق منها شيء. بينما يؤكد الدملوجي وجودهما، وأن E.S. Drower يذكر في كتابه «الملك طاووس»[1] أن كتاب الجلوة وضع عام ١١٦١م، بينما وضع المصحف الأسود عام ١٣٤٢م. بينما يؤكد الباحث البريطاني «بادغر» الذي زار النسطوريين في منطقة هكاري عام ١٨٤٢ أنه ليس لليزيديين كتب .

ويقول المؤلفان: نتساءل ـ ونسأل الباحثين ـ بأي لغة كتبت تلك النصوص. فالعزاوي ينتقد واضع كتبهم بأنه غير متمكن؛ فالجلوة كتب باللهجة العامية العراقية. ويتساءلان كذلك: إذا كتب الكتابان بالعربية، فلماذا جاءت لغتهما

---

١ ـ المطبوع عام ١٩٤١ بلندن. وانظر كتاب «اليزيدية» لخلف الجعدان ، وهو رسالة ماجستير، طبع عام ١٩٦٦

مشوهة؟ وإذا كتبا بالكردية فلماذا ليس باللهجة الكردمانجية العليا التي يتكلم بها اليزيديون، ولماذا هي بلغة كردية مشوهة؟ وهل يعقل أن يكتب الشيخ حسن هذه الكتابة وهو الرجل المتصوف العالم والذي أثنى عليه خيرة المؤرخين كابن طولون والمقريزي وابن شاكر وابن الأثير و. . وهما يريان أن لليزيديين كتابين بهذا الاسم ولكن قد يكون وضعهما أناس آخرون بعد ضياع الأصول، وفي مدة زمنية متأخرة .

ولليزيديين كتاب آخر عنوانه «مزدهاروژ» وأول من ذكره أنور المائي في كتابه «الأكراد في بهدينان» وأكده كريم زند. وذكر أنَّ واضعه الشيخ حسن داسني، ويدعي أنه ابن أخي الشيخ عادي، كتبه باللغة الكردية ولهجة الهكاريين بمعرفة الشيخ عادي نفسه. ويبدو أن هذا الكتاب مخطوط محفوظ لدى السيد حافظ، فإن نشر كشف خبايا لم نكن نعرفها حتماً .

اللغة التي كتب كتاباهم بها

مما لا شك فيه أن لغة اليزيدية هي اللغة الكردية لأنها السائدة بينهم. وبالكردية كتب كتاباهم المقدسان وهو الشائع بين الناس وبين اليزيدية أنفسهم، إلا أن كتابة سرية ندر أن يعرفها العامة، وهي ليست متداولة إلا بين خاصة الخاصة من اليزيديين، ولا سيما رجال الدين المسؤولون عن سرية الكتابين. ونحن لا نعلم اسم مخترع هذه الكتابة، ولكن يتبين من دراسة هذه الألف باء أنها مقتبسة عن الألف باء الآرامية، والألف باء الزردشتية والپهلوية (ذات الأصل الآرامي)، مع بعض التحريف .

ومن الغريب جداً، ويدعو إلى التساؤل كذلك، أننا لم نر مرجعاً عربياً واحداً أو فارسياً أو كردياً أو حتى يزيدياً نوه بهذه الكتابة السرية. وقد استطاع أحد المستشرقين الألمان أن يكتشف الكتابين «الجلوة» و«رش» مكتوبين بهذه الكتابة السرية، فاستطاع أن يحلَّ رموز هذه الكتابة، ويستخرج منها ألف بائها، ويضع ما يقابل كل حرف منها، بما يساعد على نطقه مع ما يقابله من الحروف العربية والفارسية. وحين نقول «الحروف العربية» نعني ألف باء القرآن التي انتشرت بين الأمم مع دخولها في الإسلام ووصول القرآن الكريم إليها. وحين نقول «الحروف الفارسية» نعني الحروف التي لم يعرفها العرب ولم ينطقوها، مما اضطر الفرس إلى وضع رسم لها قريب من الرسم العربي. وتتمثل الحروف الفارسية في: پ، چ، ژ،

ڤ، إضافة إلى الألف باء العربية. ولما كانت اللغة الكردية واللغة الفارسية ذات جذر واحد فمن الطبيعي أن تكتب اللغة الكردية بألف باء فارسية (إسلامية). وفيما يلي الألف باء اليزيدية التي دونت بها نصوصهم المقدسة، واعتبرت هذه الكتابة كتابة سرية. مع الانتباه إلى أن الحرفين «ع» و«ل» متشابهان، وأن الهمزة والمدة أهملتا، وأن الحرف «ڤ» (فاء بثلاث نقاط) غير موجود في العربية والفارسية، وهو حرف كردي بحت ولهذا يأخذ رقماً (انظر الشكل).

«ألف باء الكتابة السرية»

	ا	١)
	ب	٢)
	پ	٣)
	ت	٤)
	ث	٥)
	ج	٦)
	چ	٧)
	ح	٨)
	خ	٩)
	د	١٠)
	ذ	١١)
	ر	١٢)
	ز	١٣)
	ژ	١٤)
	س	١٥)
	ش	١٦)
	ص	١٧)
	ض	١٨)
	ط	١٩)
	ظ	٢٠)
	ع	٢١)
	غ	٢٢)
	ف	٢٣)
	ف	(٢٣) (مكرر)
؟		
	ڤ	٢٤)
	ك	٢٥)
	گ	٢٦)
	ل	٢٧)
	م	٢٨)
	ن	٢٩)
	و	٣٠)
	ه	٣١)
	ى	٣٢)

«الورقة الأولى من كتاب الجلوة بألف بائهم السرية»

نشرهما

لقد كان الكتابان سريين لا يعرفهما أحد غير يزيدي، وهم لا يسمحون لأحد أن يطلع عليهما. ولما كانت غالبية هذه الطائفة أمية فإنهم هم أنفسهم لم يكونوا يعرفونه. ولقد حوفظ على سريتهما زمناً، حتى شرع المستشرقون يشرقون إلى بلادنا، ويسعون إلى كشف الأقليات، ويخططون لهم أدواراً في بث روح التفرقة والتشتيت. ولا نكتم على أحد أن الروح الانفصالية لعبت دوراً في عهد كان الفكر ـ ولا أقول القوة ـ الاستعماري أقوى من فكر المنطقة العربي والإسلامي. ولهذا اندفع المستشرقون الغربيون ـ وتدعمهم حكوماتهم ـ في نبش كل كمين وكل دين، وبذلوا في سبيل ذلك كل ثمين، غير عابئين بحرية الشعوب وأمانها.

ويبدو أن الكتابين المقدسين كشف أمرهما في أواخر القرن التاسع عشر، وأن المستشرقين هم أصحاب هذا الكشف، فنشروهما، ونقلوهما إلى عدد من اللغات الأجنبية، وعلقوا عليهما تعليقات ذات أهمية، واعتبروا عملهم هذا نصراً كبيراً.

ويروي السيد غضبان أن «ع. ل» ابن «ا. ل» وهو أحد الدارسين اليزيدية من «شيخان» أعلمه أن النسخة الأصلية لمصحف رش كانت في مكتبة أبيه، أخذها أحد أبناء «موسم الموصلي» في عهد «علي بيك بن حسين بيك» رئيس الطائفة، ووضع مكانه كتاباً باللغة التركية. واحتاج «ا. ل» إلى مصحف رش يوماً، فحين رجع إليه لم يجده! وبعد البحث والتحقيق تبين أنه آل إلى أحد المستشرقين. ولعل في هذه الحكاية بعض الصحة، لأننا ـ كما ذكرنا ـ أن المستشرقين مولعون بمثل هذه الأعمال، ولا سيما الكتب الدينية المخطوطة، ليكشفوا أسرار الأديان سواء الصحيح منها وغير الصحيح. وفيما يلي أبرز الطبعات التي صدر فيها الكتابان:

١ ـ يعد براون أول من ترجم الكتابين إلى الإنكليزية عام ١٨٩٥.

٢ ـ نشرهما عيسى يوسف بالعربية والإنكليزية تحت عنوان Yazidi Texts في مجلة (AJSL) الأميركية: ١١٨/٣٥.

٣ ـ نشرهما الأب أنستاس الكرملي في مجلة نمساوية عام ١٩١١، مجلد: ٦، ص١-٣٩، وبين كيف أنه حصل عليهما. ونشرت مجلة المقتطف ترجمتهما العربية عام ١٩١٦، المجلد: ٤٩، ص: ٣٢١ ـ ٣٣١.

٤ ـ نشرهما المستشرق النمساوي Bittner بنصيهما العربي والكردي في «مذكرات العلوم الدينية» عام ١٩١٢، مجلد: ٤ ص: ٥٥، والمجلد ٥، وص١٢ من العام نفسه .
٥ ـ نشرا في مجلة «الشرق المسيحي» عام ١٩١٥، مجلد: ٢، ص١٥٦، مع ترجمة فرنسية لهما .
٦ ـ نشر «علي الشرقي» مقتطفات من كتاب «الجلوة» في مجلة «الفرقان»، مجلد: ١١، ص: ٨٢٢ ـ ٨٢٤ .
٧ ـ نشر سيد عبدالرزاق الحسني نص «الجلوة» في مجلة «العصور» القاهرية عام ١٩٢٩، ص: ٧١٧ ـ ٧١٩، وضمن بحثه «عبدة الشيطان في العراق» الذي نشره في مطبعة العرفان بصيدا عام ١٩٣١ .
٨ ـ نشرهما مستشرق إيطالي ضمن كتابه عام ١٩٣٠، ص٧١ ـ ٩١

٩ ـ نشر «كمران بدرخان» أقساماً من مصحف رش بالفرنسية في مجلته الكردية «هآوار» التي كانت تصدر في دمشق عام ١٩٣٢ ـ ١٩٣٣، رقم: ١٤و١٦ .
١٠ ـ عام ١٩٣٤ نشرت الجامعة الأميركية كتاب «اليزيدية قديماً وحديثاً» المنسوب إلى إسماعيل بيك چول، وفيه نص الكتابين بالعربية، ص١٠٠ ـ ١٠٦ .
١١ ـ عام ١٩٣٥ نشر عباس عزاوي بالعربية ضمن كتابه «تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم» ص ١٨٣ ـ ١٩٢ .
١٢ ـ ونشرهما أنيس فريحة في مجلة «الجمعية الشرقية الأميركية» بالإنكليزية عام ١٩٤٦ مجلد: ٦٦، ص: ٢٣ ـ ٣٦ .
١٣ ـ عام ١٩٤٩ نشر سيد صديق الدملوجي الموصلي كتاباً ضخماً حول اليزيدية، وأورد فيه كتاب الجلوة وأقساماً من مصحف رش .

وعدد آخر. والذي يهمنا من هذه الإشارات وجود كثير من الاختلاف في المبنى والمعنى، في اللفظ والمضمون، لكن الأساس واحد على أي حال. ويجدر التنويه بأن كلمة «كتاب» لا تعني كتاباً ضخماً، فالعجيب جداً أن عدد صفحاتها قليل، وما نعرضه فيما يلي هو النص الكامل لكل كتاب .

كتاب الجلوة

وهو مؤلف من خمسة فصول، وعدد كلماته لا يبلغ ٥٠٠ كلمة، وهو بالتحديد ٤٩٠. مقصور على نصائح الملك طاووس لأتباع الديانة يبين مدى قوته وأفعاله، وما يقدمه لأبناء طائفته، وهو منسوب إلى الشيخ عدي بن مسافر[1]، ويعتقدون أنه قدمه إلى أمين سره فخر الدين قبيل موته.

وفيه كلام غير منتظم: في قدمه تعالى، وبقائه وقدرته ووعيده ووعده، وذكر القول بتناسخ الأرواح، وفيه كذلك أن الكتب السماوية التي هي بين أهلها مبدلة محرفة، فما وافق منها كلام اليزيدية صحيح، وما خالفه فمن تبديلهم وتحريفهم. وفيه كذلك بحث حول الحيوانات البرية والبحرية والفضائية، والتي تتحرك وتحيا تحت إمرته، وكل ما في دفائن الأرض واضح له، يرزق من يشاء. ويوصي الله في هذا الكتاب بأن يُجلّوه ويحترموه، وبأن يحفظوا شرائعه ويعملوا بها.

١ ـ يذكر إسماعيل البغدادي في «إيضاح المكنون» أن الشيخ حسن بن عدي ألف كتاباً عنوانه «الجلوة لأرباب الخلوة». ولا شك أنه غير المذكور فوق.

كتاب الجلوة (1)

المقدّمة

1 الموجود قبل كل الخلائق هو ملك طاووس.

2 وهو الذي أرسل عبطاووس إلى هذا العالم لكي يميّز ويفهّم لتعبده الخادس وينجيه من الضلال والوهم.

3 وأول ذلك كان بتسليم الكلام شفاهيًّا ثم بواسطة هذا الكتاب المسمى جلوة وهو الكتاب الذي لا يجوز أن يقرأه الخارجون عن الملّة.

الفصل الأول

1 أنا كنت وموجود الآن وأبقى إلى النهاية بتسلطي على الخلائق وتدبيري مصالح وأمور لكل الذين تحت حوزتي.

2 حاضر أنا سريعاً للذين يثقون بي ويدعونني حين الحاجة.

3 ما يخلو مني مكان من الأمكنة. مشترك أنا بجميع الوقايع التي يسميها الخارجون شروراً لأنها ليست مصنوعة حسب مرامهم.

4 كل زمن له مدبّر وذلك بشوري. كل جيل يتغير رئيس هذا العالم حتى الرؤساء يكون كل واحد بدوره ونوبته يكمّل وظيفته.

كتيبي جلوه

ديباجه

1 أوى لەپيش همو خلق بوه ملك طاووسه

2 اوەكه عبطاووسي بو ام عالمه نارد تاكو قوى خاسى خوى جوى بكاتوه وتيان بكينى ولەوهم وسرگـــردانى رزگريان بكا

3 بو پيك هينا نجى ام ايشه لەپيشدا بقسه رو برو لەپاشدا بواسطة ام كتيبه كه ناوى جلوەيه وخوبندنى درست نيه بو كسى كه لم ملته بدره.

فصلى نخستين

1 من بوم وايستەش هم ودميم تاآخر زورم بسر همو آفريندەيكه هيه من إيشى أوانه بيك دينم .

2 من حاضرم حيز ام بو اوانى بيم بروا دكن ودى ايش ليم دپارينوا

3 هيچ جيك لمن بوشر نيه من شريكم لەهمو واقعاتيك كه أوانى لەدين بى دران بى دلين شرچونـــكى بكورەى آرزوى اوان نيه .

4 بو همو وقتيك إيش پيك هينريك هيه أوش بيرسي منه همو عصريك بو ام عالمه كورديك دنيررى اوكورانەش هريك لەدورى خويدا ايشى پيك دينى .

---

1 ـ لم أتصرف بالترجمة، إلا بتصحيح تركيب الجملة، وبحدود .

٥ أعطي رخصة حسب الحق للطبيعة المخلوقة بأخلاقها

٦ يندم ويحزن الذي يقاومني .

٧ الآلهة الأخرى ليس لها مداخلة بشغلي ومنعي منها عما قصدته مهما كان .

٨ ليست الكتب الموجودة بيد الخارجين هي حقيقية ولا كتبها المرسلون لنا لكن زاغوا وبغوا وبدّلوا. كل واحد يبطل الآخر وينسخه.

٩ الحق والبطل معلوم وهما مشهوران من وقوعهما بالاختبار والتجربة .

١٠ وعيدي للذين يتكلمون على ميثاقي وأخالفه حسب رأي المدبّرين الحذاق الذين وكّلتهم لأوقات معلومة مني. أذكر أموراً وأحرّم الأشغال اللازمة بحينها.

١١ أرشد وأعلم الذين يتبعون تعليمي ويجدون لذة وفرحاً بموافقتهم معي .

٥ بدطبيعت خلق كراو ازنى حق آدم .

٦ أوى كوا برامبريم بكا عاجز دبى .

٧ خداكانى تر دخليان نيه بسر ايشي مود هرجى آرزو بكم كلم نادن

٨ او كتيباند كوا بدست أواني ترودنه همو حق نيه پيغمبران نيان نو سيوه لايان دا عادى بون كوريان . هريك لو كتيبانه أوى ترنسخ اكا باطل اكا .

٩ درست ونادرست دباره أمانه تاقى كراوتوه .

١٠ هرشدم بواوانه كه قصه لدوادهٔ من دكن بفكر خوم مخالفتي او زيركاني مدبرانهٔ كوا من ناردومه بو چند روژى دكم كلى جار ايشي كه بي بوى حرام دكم

١١ بواند رى نشان ددم وتى دكيينم كه دوى اوانه دكون كه فيربانم كردوه دلخوش دبن لدهريك كوتن لكل من

الفصل الثاني

١ أكافئ وأجازي نسل آدم بأنواع أعرفها .

٢ بيدي التسلط على كل ما في الأرض وفوقها وتحتها .

٣ ما أقبل مصادمة العوالم .

٤ وما أمنع خيرهم مخصوصاً للذين هم خاصتي ويطوعي .

٥ أسلّم شغلي بيد الذين جرّبتهم وهم حسب مرامي .

٦ أتراءى بنوع من الأنواع وشكل من الأشكال للذين هم أمينون وتحت شوري.

فصلی دوم

١ جاكى انسان ادم وكو خوم ديزا

٢ زورم هيه بسر أواني لدزمين ولسرزمينن وژيرزمينن .

٣ ناموى آفريده له آفريدهٔ تربكون

٤ وخيريان منع ناكم باوجودي أواني لدهيني منن وقصهٔ من دكن

٥ ايش بوانه ادم كه تاقيم كرد ونوه وبآرزوى من درجون

٦ بو اوانى .. كوا بروام بي دكن وبسپاري من دكن بجشنيك دردكوم

٧ آخذ وأُعطي أُغني وأُفقر أُسعد وأُشقي حسب الظروف والأوقات .

٨ وليس من يحق له بأن يتداخل أو يمنع بشيء من تصرفي .

٩ أجلب الأوجاع والأسقام على الذين يعاروني .

١٠ ما يموت الذي هو حبيبي كسائر بني آدم .

١١ وما أسمح لأحد بأن يسكن في هذا العالم الأدنى أكثر من الزمن الذي هو محدود مني .

١٢ وإذا شئت أرسلته تكراراً ثانياً وثالثاً إلى هذا العالم أو غيره بتناسخ الأرواح.

٧ بكورڎ زمان خلق ارنجينم كر ناتواني نەهيلي .

٨ كيش دخلي نيه بسروه .

٩ رنج ونخوشي دبنم بسر اواڎ كه رقەبري لكل من دكن .

١٠ اوی كوا سربمنه وكو انسانەكاني تر نامري .

١١ حظ ناكم كسيك لەزمانه زورتر كه من داماوه لم دنيايه بميني.

١٢ آگر آرزو بكم يك لسر يك دوسه جار دينيرم بوام عالمه وعالميكه ترڎ بتناسخ أرواح

الفصل الثالث

١ أرشد بلا كتاب. أهدي غيبًا أحبائي وخواصي. وتعليمي هو بلا كلفة .

٢ موافقة الحال والزمان أقاصص الذين يخالفون شرائعي بالعوالم الأخر.

٣ بنو هذا آدم لا يعرفون الأحوال المزمعة. ولذلك يسقطون أوقات كثيرة بغلط.

٤ حيوانات البر وطيور السماء وسمك البحر جميعاً بيدي وتحت ضبطي.

فصلی سيم

١ بي كتيب ری نشان ادم أواني كوا خوشدويستی من وسربمنن لەغيبوه رهبريان دكم اوی كه فيرتان دكم رنجي تيدا نيه .

٢ بكورڎ روشی وقتد زيان بوانه دكيينم كه لەعالمـ يكه تردان ولەدين من لا ددن .

٣ ام بنی آدمانه روشی شريعت نازانن بويه كلي لەدری دچنه دری

٤ روح لەبری سرزمين وكوترى آسمان وماسی ناو بحر همو بدستی منه ولەسر فرمانی منه بهو .

٥ الخزائن والدفائن المدفونة تحت قلب الأرض معلومة، وأخلفها من واحد للآخر لمن أريد. عنري

٦ أظهر معجزاتي وعجائبي للذين يقبلونها ويطلبون مني بحينها .

٧ مضادَدة ومخالفة الأجنبيين لي ولأتباعي هي ضرر عليهم لأنهم لا يدرون العظمة والثروة هم بيدي. وأختار من يليق لها من نسل آدم .

٨ تدابير العوالم وانقلاب الأجيال وتغيير كل مدبريهم منظومة مني منذ القديم .

الفصل الرابع

١ حقوقي ما أعطيها لغيري من الآلهة .

٢ أربعة عناصر وأربعة أزمنة وأربعة أركان سمحتُ بها لأجل ضروريات المخلوقين.

٣ كتاب الأجنبيين مقبولة نوعًا بالذي يطابق ويوافق سنّتي وما يخالفها هم غيّروه.

٤ ثلاثة أشياء هي ضدي وثلاثة أسماء أبغضها .

٥ الذين يحفظون أسراري ينالون مواعيدي .

٦ جميع الذين يحتملون المصائب بسببي لا بدّ أن أكافئهم بأحد العوالم .

٧ أريد أن يتحد أبنائي برباط واحد وكذلك كل تابعي لأجل مضاددة الأجنبيين لهم .

٥ كنجينة ژيرزمين دزانم يك لپاش يك ايدم بخلق

٦ معجزه وعاجباني خوم نشان ددم بواني كوا داوا دكن .

٧ او بيگانانه كوا رقه‌بري دكن وبغضة من وأواني كوا سر بمن ناكن تونشي ضرر دبن چونكي نازانن كوره‌يتي ودوله‌ندي بدست منه ديدم بجاكتريني بني آدم

٨ له‌پيشوه ريك خستني عالمان ووركيراني عباسان ودانري همو ايش پيك هينريان له‌منوه‌يه .

فصلي چارم

١ حقي خوم بكسي له‌خدايان نادم

٢ جوار عنصر وجوار وقت وجوار ركنم بخشي بو ايش پيك هينان خلق .

٣ كتيبي بيگانه گان جاكه اگر له‌آييني من بكا اگي لو له‌آييني من ناكا كوربوبانه .

٤ دشمنم سي شته ورقم له‌سي شته

٥ اواني كوا نهيني من نالين خيريان بي دكا .

٦ أواني كوا رنج بو من ادن هريكي لوان بعالميك چاكي ادموه .

٧ بو رقه‌بري لكل بيگانه‌كان دمقي أواني كوا سر بمن پيكوه بيان بتم .

٨ يا أيها الذين تبعتم وصاياى انكروا أقوال وكل التعاليم التي ليست من عندي ولا تذكروا اسمي وصفاتي لئلا تذنبوا لأنكم لستم تدرون ما يفعل الأجانب .

٨ اى اوكسانى كه راست پرى من لەكئى دكرن لو قصانه له دن كه لمنوه نيد نائى من وصفت من مهينن تا كناهبار نبن ايوه نازانن ائى له رى چونه دزن چى نكن .

الفصل الخامس

فصلى پنجم

١ كرموا شخصي وصورتي لأنهم يذكرونكم بالأمر الذي أهملتموه من سنين .

١ زات وصورتم ماقول بكرن چونكى أوانى لەفكرتان چوتوه لەآيينى من بيادتان دينى .

٢ وشرانعي أطيعوا وأصغوا لخدامي بما يلقنونكم من علم الغيب الذي هو من عندي[1] .

٢ بقصة خدمتكانى رەكانم بكن كوى بكرن لو علم غيبه كوا لمنوه پيتان دلين

«تم كتاب الجلوة»

«كتيبى جلوه برايوه»

---

١ ـ وتتمة الجملة من رواية الزعبي (ص٥٠) : «ولا تبيحوا قدام الأجانب كاليهود والنصارى والإسلام لأنهم لا يدرون ما هو تعليمي ، ولا تعطوهم من كتبكم لئلا يغيروها لكم وأنتم لا تعلمون ، واحفظوا أكثر الأشياء عيناً لئلا تتغير عليكم» .

مصحف رش

وكلمة «رش» كردية تعني الأسود، أي المصحف الأسود، وهو أكبر قليلاً من كتاب الجلوة، وعددكلماته أقل من ٧٥٠ كلمة، ومن غير فصول. ومضمونه يختلف عن مضمون الجلوة .

ففيه: حديث خلق السماوات والأرضين، وما فيها من بحار وجبال وأشجار، وخلق الملائكة وأعمالهم، والعرش، وخلق آدم وحواء وكيفية إخراجهما من الجنة، وإرسال الشيخ عدي بن مسافر من أرض الشام إلى لاليش في شمال العراق، وما كان من نزول الملك طاووس إلى الأرض، وإقامته ملوكاً لليزيدية، ومقاومة اليهود والنصارى والمسلمين والعجم لأنهم يخالفونه .

وفيه أن الطوائف البشرية كافة من نسل آدم وحواء، أما نسل اليزيدية وفيهم شيث ونوح وأنوش، وهم آباء اليزيدية الأولون؛ فمن نسل آدم وحده (وانظر حديثنا عن ولادة التوأمين الذكر والأنثى من صلب آدم وحده). وأن طوفاناً أتى على اليزيدية بعد طوفان نوح مضى عليه الآن سبعة الآف سنة، وكان ينزل في كل ألف سنة إله من السماء يشرع لهم الشرائع ويسن السنن .

وفيه مراتب الآلهة وأعمالهم فالأول هو الله الأعظم الفعال لما يريد، والمسيطر على الآلهة جميعاً ويتحكم فيها. ويأتي بعده رئيس الآلهة وأولهم وهو الملك طاووس، ويتلوه الآلهة الأخرى حتى يصل إلى يزيد والذي هو أحد الآلهة السبعة، وبنظرهم أنه المشرع الأعظم وهو الذي ينزل إلى الأرض .

ويتضمن الكتاب أيضاً شرائعهم وما أحل لهم وما حرم عليهم في الزواج والصوم والصلاة والحج والزكاة والزيارات والميت، وشرح أمر الطواف بسناجقهم في البلدان والقرى لجمع الصدقات والنذور، وزيارتهم لقبر الشيخ عدي، وما يفعلونه في عيد رأس السنة (سرصال = رأس السنة) من قطف الأنوار الحمراء، وذبح الذبائح وإطعام الفقراء وزيارة القبور[1] .

ويرون أن مصحف رش كتب بعد وفاة الشيخ عدي بمئتي سنة. وفيما يلي النص الكامل :

---

١ ـ تمتاز نسخة النمسة بالنص الكردي، وتختلف النسخة الأميركية عنها ببعض الزيادات والتقديم والتأخير في العبارات، وفيها ملحق فيه ما ليس في الكتابين من شرائعهم وأحوالهم وكرامات أوليائهم وتفصيل مراتب أمرائهم وشيوخهم، وأغنية مختلة الوزن والعبارة في مدح الشيخ عدي، وأخرى مثلها تتلى في صلاتهم .

مَصْحَف رَش

١ في البداية خلق الله الدرّة البيضاء من سِرّه العزيز وخلق طائراً اسمه «انفر» وجعل الدرة فوق ظهره وسكن عليها أربعين ألف سنة.

٢ أول يوم خلق الله فيه هو يوم الأحد. وخلق فيه مَلَكاً اسمه عزرائيل وهو طاووس ملك رئيس الجميع.

٣ ويوم الاثنين خلق ملك دردائيل وهو الشيخ حسن.

٤ ويوم الثلاثاء خلق ملك إسرافائيل وهو الشيخ شمس.

٥ ويوم الأربعاء خلق ملك ميكائيل وهو الشيخ أبو بكر.

٦ ويوم الخميس خلق ملك جبرائيل وهو سجاد الدين.

٧ ويوم الجمعة خلق ملك شمنائيل وهو ناصر الدين.

٨ ويوم السبت خلق ملك نورائيل وهو فخر الدين.

٩ وجعل الله ملك طاووس رئيساً عليهم.

١٠ بعده خلق صورة السبع سموات والأرض والشمس والقمر.

مصحف رش

أول جار خدا لەسری

خوشەویستی خوی گوهریکی سپی خلق كرد وكوتريكى خلق كرد ناوى نا انفر وگوهريكى نايە سربشتى وچلهزار سال لەسری دانیشت.

٢ أول روژی كه خلقی كرد روژی يكشنبه بو. ملكيكى خلق كرد ناوی نا عزرائيل. افيش ملك طاووسه كه كغرة همويانه.

٣ روژی دوشنبه ملك دردائيلى خلق كرد كه شيخ حسنه.

٤ روژی سیشنبه إسرافائيلى خلق كرد كه شيخ شمسه.

٥ روژی چوارشنبه ملك ميكائيلى خلق كرد كه شيخ أبو بكره.

٦ روژی پنجشنبه ملك جبرائيلى خلق كرد كه سجادينه

٧ روژی جمعه ملك شمنائيلى خلق كرد كه ناصر الدينه.

٨ روژی شنبه ملك طورانـــــيلى خلق كرد كه فخر الدينه.

٩ ملك طاووسى اثى كرد بگورة اوان.

١٠ الله لەپاشدا صورتى حوت آسمان وارز وهتاو ومانگی خلق كرد.

١١ فخر الدين خلق الانسان والحيوان والطير والوحوش ووضعهم في جيوب الخرقة. وطلع من الدرة ومعه ملائكة فصاح صيحة عظيمة على الدرة فانفصلت وصارت أربع قطع ومن بطنها خرج الماء وصار بحراً. وكانت الدنيا مدورة بلا تخلّل.

١١ فخر الدين انسان وحيوان روح لەبر وطير ووحوشي خلق كرد ولكيرفانى خرقه داينان. ولكل ملائكه لەگوهرەكه هاته درى. نعرديكى عظيمى لەسر گوهر يكى كيشد. جغى بوره بو بچوار لتوه وآو لەسكى هاته درى. بو به بحر. دنيا خر وبى‌كن بو.

١٢ وخلق الله جبرائيل بصورة طائر وأرسله وبيده وضع أربع زوايا الأرض . ثم خلق مركباً ونزل بالمركب ثلاثين ألـف سنة. بعده جاء وسكن في لالش . ثم صاح في الدنيا فجمد الحجر وصارت الدنيا أرضاً وبدأت تهتز فأمر جبرائيل على قطعتين من الدرة البيضاء ووضع الواحدة تحت الأرض والأخرى في باب السماء. فسكنت ثم جعل فيها شمساً وقمراً وخلق نجوماً من نتريات الدرة البيضاء وعلّقها في السماء للزينة.

١٢ جبرائيـل بصورتى طاير خلق كرد وناردى وچوار كوشى دايـــه دســـتى. لەپاشدا كشتيكى خلق كرد ولەآودا سى هزار سال دانه پشت. لەپاشتر هات وساكن لالش بو. قيژانـدى لەدنيادا برد بـتى. دنيا بو به ارز ودستى كرد بلرزين. فرموى جبرائيل بو آرام. دو پارچه لو گوهره هيـــنا ويكيكى لەژير ارز ويكيكى لە دركاى آسمان دانا. لەپاشتر لە واندا مانگ وروژ واستيرە ولەريزه گوهره سپى كه درست كرد. بو جوانى لەآسماندا هليـــواسى.

١٣ وخلق أشجاراً مثمرة ونباتات فـي الأرض والجبال لأجل زينة الأرض ثم خلق العرش على الفرش.

١٣ درخت باردار وكيا وشاخـــــى بو جوانى ارز خلق كرد عرش لەسر فرش خلق كرد.

١٤ الرب العظيم قال: يا ملائكة أنا أخلق آدم وحواء وأجعلهم بشراً ومنهم يكون من سرّ آدم شهر بن سفر ومنه يكون ملّة على الأرض ثم ملة عزرائيل أعني طاووس ملك وهي ملة اليزيدية.

١٤ خداى گوت بەملائكى گوت من آدم وحواء خلق دكم ودياتكم بەبشر لەسر آدم شهر ابن سفر دبى. ولڤيش ملتى لەسر ارز پيدا دبى لەپا شتر ملتى عزرائيل يعنى ملك طاووس كه يزيديه‌يه پيدا دبى.

١٥ ثم أرسل الشيخ عادي بن مسافر من أرض الشام وأتى إلى لالش

١٥ لەپاشدا شيخ عادى لەأرز شاموه نارد بو لالش .

١٦ ثم نزل الرب إلى الجبل الأسود
وصاح وخلق ثلاثين الف ملك وفرّقهم ثلاث
فرق. وبدأوا يعبدونه أربعين ألف سنة. ثم
أسلمهم إلى طاووس ملك وصعد بهم إلى
السموات.

١٦ لپاشتر خدا هاته خوارێ
بوسر كيوه رش وقيژاند سى هزا
فرشتى خلق كرد وكردينى به قول
چل سال عبادتيان كرد. له پاشدا
داينه دست ملك طاووس وله گليان
چوا آسمان.

١٧ ثم نزل الرب في أرض القدس.
أمر جبرائيل جلب تراب من أربع زوايا
الدنيا فجاء بتراب وهواء ونار وماء فخلق من
كل هذا آدم الأول وجعل فيه روحًا من
قدرته. وأمر جبرائيل أن يُدخل آدم إلى
الفردوس ويأكل من كل ثمر الشجر. أما من
الحنطة فلا يأكل.

١٧ له پاشدا خدا هاته خوارێ بوسر
ارز قدس. فرموى به جبرائيل
خولى له هر چوار كوشه دنيا هينا خول
وهوا وآكر وآوى خلق كرد وله توانايي
خوى كردى به روح. وفرموى بجبرائيل
بيباته فردوس وله برى همو دارى
بخوا هر كنم نخوا.

١٨ وبعد مائة سنة طاووس ملك
قال لله: كيف يكثر ويزيد آدم وأين
نسله؟ قال له الله: الأمر والتدبير سلمته بيدك.
فجاء وقال لآدم: أأكلت حنطة. قال لا، لأن
الله نهاني. قال: كُلْ يصير لك أحسن. بعد
ما أكل حالًا نفخ بطنه فأخرجه طاووس ملك
من الجنة وتركه وصعد إلى السماء.

١٨ له پاش صد سال ملك طاووس
بخداى كوت چون آدم ونسلى زور
دبى. خدا كوتى امر وتدبير امه به
اوا دامه دست تو. هات به آدمى
كوت: توكنمت خوارد كوتى نا. چونكه
خدا نيهيشت. كوتى بخو. بو ئو
جاكتره. له پاش خواردن سكى فودرا.
طاووس ملك له جنت كرديه درى
وبجى هيشت وسركوت بو آسمان

١٩ فتضايق آدم من بطنه لأنه ما كان

١٩ لبر سكى تنكى بي هلچنرا چونكه

له مخرج. فأرسل الله طائرًا فجاء ونقره وفتح
له مخرجًا فاستراح.

٢٠ وجبرائيل غاب عن آدم مائة سنة. فحزن وبكى مائة سنة.

٢١ حينئذٍ أمر الله جبرائيل أن يخلق حواء فجاء وخلق حواء من تحت آباط آدم الأيسر.

٢٢ ثم نزل ملك طاووس إلى الأرض لأجل طائفتنا المخلوقة وأقام لنا ملوكًا ما عدا ملوك الآثوريين القدماء: نسروخ وهو ناصر الدين. وكاموش وهو الملك فخر الدين. وأرطيموس وهو ملك شمس الدين وبعد ذلك صار لنا ملكان شابور الأول وشابور الثاني ودام ملكهما مائة وخمسين سنة ومن نسلهما قام أمراؤنا إلى الآن.

٢٣ وبغضنا لأربع ملوك.

٢٤ حرمنا علينا الخس لأنه على اسم أنبيائنا الخاسية (المتوضئة)[1] واللوبياء والصبغ الأزرق. وما نأكل السمك لأجل احترامنا ليونان

كتـبي نبو. خدا كوتريكى بو نارد
وبدندوك تنى بو كرد. آرامى كرد.

٢٠ جبرائيل صد سال لو كم بو. صد سال غمبار بو.

٢١ خدا فرموى بد جبرانيل. هـات وحواى خلق كرد لبن باغل جبى آدم.

٢٢ لپاشدا ملك طاووس هاته سر ارز لدبر طائفة مخلوقة ايمه. جكه له پادشاهانى اشورى جند پادشاه ترمان بونشروج كه ناصر الدينه وكا... مبوش كه فخر الدينه. وأرطيموش كـه شمس الدينه. وله پاش اوه دو پادشاهمان بو. شابور أول ودوم. حكميان صد وپنجا سال دوامى كرد. لدنسلى وان كوردكانمان راويستاو بون تا ايستة.

٢٣ ورقمان له چوار پادشاهه.

٢٤ كاهومان حرام كردوه جونكه لناوى خاسيه پيـ- غمبرنكا ولوبياش ورنكى كليش ماسيش ناخوى بو احترام

---

١ - إضافة من مذكرات إسماعيل چول بيك .

النبي والغزال لأنه نعم أحد أنبيائنا. والشيخ وتلامذته ما يأكلون لحم الديك احتراماً لطاووس ملك. وطاووس ملك هو واحد من الآلهة السبعة المذكورة لأن صورته تمثال الديك. والشيخ وتلاميذه ما يأكلون القرع.

وحرام علينا البول وقوفاً. ولبس اللباس قعوداً. والاستخلاء في أدبخانة والغسل في الحمام. وما يجوز أن نلفظ كلمة شيطان لأنه اسم إلاهنا. ولا كل اسم يشابه ذلك مثل قيطان وشط وشر ولا لفظة ملعون. لعنة. نعل. وما أشبه.

٥) قبل مجيء المسيح عيسى إلى هذا العالم ديانتنا كانت تسمى وثنية. واليهود والنصارى والإسلام ضاددوا ديانتنا والعجم أيضاً.

يونان پيغمبر اسك ناخوى چونكه مري پيغمبريكمانه وشيخ وشاكردى هيچ كوشتى كلەشير ناخون لبر احترامى ملك طاووس وطاووس يكيكه لو هفت خدايه ناوبراواندية چونكه صورتى وكو كلەشيره وشيخ وشاكردى كولكه ناخون بەپيانوه ميزكردن وبدانيشتنود در پى لەبى كردن حرامه له ادبخانه دست بەآوكياندن وله حمامدا خو شتن حرامه درست نيه كلمهٔ شيطان بلين چونكى ناقى خدامانه هم درست نيه قصه بلفظى بكين كه لەناقى او بكا وكو قيطان وشط وشر درست نيه لفظى ملعون بلين. هم درست نيه قصه بلفظى بكين كه لو بكا وكو لعنه ونعل.

٥) لەپيش هاتنى عيسا بو ام عالمه ديانتكى ايمه بيان دكوت بت پرستى يهود ونصارا واسلام ضديانى لكل دياتنى ايمه كرد عجميش وها،

٢٦ وكان من ملوكنا آحاب. فأمر كُلَّا من كان منّا أن يُسَمِّيَهُ باسم خاص به فسّموهُ الالهَ آحاب أو بعلزبوب والآن يسمّونهُ عندنا بيربوب.

٢٧ وكان لنا ملك في بابل اسمه بختنصَّر وفي العجم أحشويرش وفي قسطنطينية أغريقالوس.

٢٨ إنه قبل كون السماء والأرض كان الله موجودًا على البحار. وكان قد صنع له مركبًا وكان يسير به في بنونات الأبحار متنزّهًا في ذاته.

٢٩ إنه خلق منه دُرَّةً وحكم عليها أربعين سنة. ومن بعد ذلك غضب على الدرة ورفسها.

٢٠ فيا للعجيب العجيب إذ صارت من ضجيجها الجبال ومن عجيجها التلال ومن دخانها السماوات. ثم صعد الله في السماوات وجمّدها وثبّتها بغير عواميد.

٢٦) آحاب له پادشاهان ايمه بو امر بهر يكيكمان كرد كه نافيكى خاص لى بنين پيان كُوت الاه آحاب ياخود بعلزبوب كه بيربوب اكوون .

٢٧ پادشا هيكمان بو له بابل. ناوى بخت نصر بو. وله عجم پادشاهيكمان بو ناڤى اخشورش بو. قسطنط...ينيه پادشاهيكمان ناوى وله أغريقـــالوس بو .

٢٨) له بيش ارز وآسمان خدا له سر بحر بو. كشتيكى بو خوى درست كرد ولدناو بحراندا بوسير دكرا .

٢٩) له خوى گوهريكى درست كرد وجل سال حكمى لهسر كرد. لــه پاشدا پي لقه يكى ليدا .

٢٠ واى لو عجا ئبه له ضجيج ودنكى اوكيوانه وله توز ى اوكردانه والدا دوكلى او آسمانه خلق بو بستى وتندى كرد وبى كولكه راى كرت.

٢١ ثم قفل الأرض. ثم أخذ قلماً بيده، ويدأ في كتابة الخلقة كلها.

٢٢ ثم خلق ستة آلهة من ذاته ومن نوره. وخلقتهم صارت كما إذا أوقد إنسان سراجاً من سراج الآخر.

٢٢ فقال الإلاه الأول للثاني: أنا خلقت السماء فقط اصعد أنت إلى السماء واخلق شيئاً. فصعد وصار شمساً. وقال للآخر، فصعد وصار قمراً. والرابع خلق الفلك. والخامس صار نجم الصبح والسادس خلق الفراغ يعني الجو.

تم الكتاب

٢١ اباشدا ارزى قفلدا وقلمى بدست كرت ودستى كرد . بنوسينى همو مخلوقات .

٢٢. له پاشدا شش خداى خلق كرد له ذاتى ونورى وخلقشيان وكو چرايه له چرايیدا بكرسينى وا بو .

٢٣ خداى أول بدوى كوت: من آسمانم خلق كرد. هلـد بچو بو آسمان وشتا خلق بكه. سر كوت وبو هتاو، وباوى ترى كوت. سركوت وبو بمانك، چوارم فلكى خلق كرد. پنجم استيرة صبح خلق كرد. ششم فرغى خلق كرد.

كلمة أخيرة

هذه هي الديانة اليزيدية التي غمضت أخبارها على كثير من السادة الباحثين والمطالعين، وتوشحت معتقداتها بأوهام كان أغلبها من تراكم العادات والتصاقها بالمعتقدات. ونحن نعلم أن العادات والتقاليد لا تمت إلى الأديان بصلة. فالزواج بحسب المراتب ما هو إلا نوع من الطبقية التي كانت الأمم مبتلاة بها.

وما تحريم القراءة والكتابة إلا نوع من الجهل ونشر الهيبة بين العامة. وكيف تحض الطريقة العدوية على الجهل وعدم التعلم، في حين أن شيخها الأول هو المعلم الواعظ عدي بن مسافر؟ كيف يمنع شيوخ الطريقة العدوية مريديهم من العلم، والعدويون احتلوا مناصب سامية في عهد المماليك بدمشق وصفد، وبرز منهم عدد من القضاة في حلب وطرابلس وغزة والرملة؟ وكيف ننسى أنهم بنوا التكايا والمدارس لخدمة الشريعة والطريقة في سنجار وشيخان والقاهرة نفسها؟ ثم إن من يقرأ كتابيهما المقدسين لا يجد جملة واحدة تحرم القراءة والكتابة!

واستمر مقامهم العلمي الرفيع معروفاً أيضاً في مطالع الحكم العثماني؛ ففي عهد سليم الأول كان والي حلب من زعماء اليزيدية. واتسم العدويون بالعلم في عهد سليمان القانوني. ولعل الحسد الذي عرف في العصر العثماني تفشى بين صغار النفوس فألب بعضهم عليهم، وعمل على بث البغضاء ضدهم، وهم إذا احتالوا على عدم المشاركة في حرب عدوانية فلأن بعضهم عرب، ويعيشون في أرض عربية، يأبون الضيم ويرفضون الظلم، وهم يعلمون أن هذه الحرب إنْ لم تكن عداء على الإنسانية فعلى الأقل هي ضد بلادهم التي رزحت زمناً تحت عبء الحكام الأغراب.

ولعل ثورة الشيخ حسن الأولى ضد بدر الدين لؤلؤ حاكم الموصل، الذي حاول استعادة المجد الأموي وإلباس ثورته ثوباً دينياً، حين رأى الوهن الذي منيت به الخلافة العباسية، والتي نصبت على الموصل (وهي جزء غالمن أرض المسلمين) عاملاً أجنبياً هو لؤلؤ الأرمني، ناهيكم عما رأوا من ويلات المغول وهجومهم المدمر. ونعتقد أن الأنظار الرقيبة على هذه الجماعة بدأت منذئذ.

والرأي عندنا أن هذه الطائفة ذات تأثر إسلامي وعربي؛ فقد مرت بنا أسماء أبنائها الإسلامية، وذكرنا أن معابدهم مزدانة بآيات من الذكر الحكيم. أما تعاونهم

في أداء الصوم والصلاة فلهم مثيل في بعض الفرق الإسلامية المتطرفة. لكننا لا ننفي دخول بعض الأوهام إليهم عن طريق الترسبات العتيقة الدخيلة والوافدة، وعن طريق العادات القبلية والمحلية الموروثة، إضافة إلى الظلم الذي منوا به، مما اضطرهم إلى إخفاء مجمل تعاليمهم، فانغلقوا على أنفسهم وضاقت مفاهيمهم.

أما مسألة عبادة الشيطان فهم أولاً يعبدون الله الواحد خالق الأكوان، ويؤمنون بأنه إله الرحمة والغفران، ولا يغفلون عن ذكر اسمه تعالى في كل آن. لكنهم يقدرون الملائكة السبعة، ويعلمون أن الشيطان إلَهُ الشر (أو ملاك الشر) الذي يعرف الخير ولا يفعله، ومثله مثل الحاكم الجائر الفاتك الذي يضطر الشعب الآمنٍ إلى ممالأته ومراعاته اتقاء شروره، وهم لذلك مضطرون إلى مداهنة الشيطان خوفاً من شروره وآثامه، وهم الذين علمهم شيخهم عدي أن الشتم واللعن حرام، فربطوا هذا بهذا ـ مع توالي السنين ـ مستفيدين من رواسب الديانة الزردشتية، حتى وصلوا إلى مرحلة الرهبة من الشيطان، وبالتالي تقديسه ـ لا عبادته ـ أو لنقل ـ كما يقولون ـ مداهنته اعتقاداً منهم أن شروره تنفذ إلى مصائرهم. وقد رأينا كيف أن كثيراً من متعلميهم أدركوا ما كان عليه آباؤهم من انحراف، فعزفوا عن تلك الترهات، وشرعوا بإعادة النظر في معتقداتهم السالفة.

ولن ننسى كذلك دور السياسة الإنكليزية الاستعمارية في تأليب الفرق والطوائف على الحكام الوطنيين للبلاد، فقد امتازوا في استعمارهم بأنهم كالسوس ينخر في أطراف الخشب، وكادوا يظفرون لولا يقظة الأمم وتنبه بعض زعماء الشعوب. ومن جملة أدعيتهم التي تبين تعلقهم بالله وبقدرته دعاء نظمه حيدر النظامي في ١٩٧٣/٤/١٨ :

يارب، علا شأنك، ومقامك، وسلطانك
يارب أنت الكريم، أنت الرحيم
يارب أنت الدائم، أنت الله
يارب أنت مَلِكُ مُلْكِ الدنيا
أنت ملك العرش العظيم
يارب منذ الأزل أنت الدائم القديم
أنت الكامل، الصمد، الحاكم
أنت التام، المأمول، الطريق...

ولهم أدب، يدعى الأدب الكردي اليزيدي، وهم يعدونه جزءاً من الأدب الكردي وليس منفصلاً عنه. ويتصف بأنه أدب ديني درويشي يتمثل في:

١ ـ أدعية الصلاة، وهي شبيهة بالشعر، وكلها في مدح الله، والتضرع إليه.

٢ ـ أحاديث وأشعار، يذكرون فيها وحدانية الله، ومقام ملائكته، وأولياءهم، وفي مقدمتهم الشيخ عدي (شيخادي). وتغنى هذه الأناشيد بمرافقة الدف والناي. أو تلقى من دون آلات موسيقية.

٣ ـ أغان وجدانية وقصص حب، كأغنية عدول لمصطفى بيك، ومموزين. وأناشيد مأساوية تنشدها النساء مع الندب على الميت.

٤ ـ مقامات، وهي نوع من الأغاني الشعبية الخفيفة، وقد يغنون هذه المقامات مع الرقص والتصفيق، في مجالس الأنس أو أثناء العمل.

٥ ـ عبر ومواعظ، وهي أشبه بالأمثال.

٦ ـ قصص وأخبار شعبية.

ونحن عندما نذكر امتدادهم المكاني، وقلنا إنهم امتدوا شرقاً وغرباً وشمالاً، لم نكن نعني أن ديانتهم كانت تنتشر وتلقى رواداً. إنّ مركزهم الديني والسياسي هو شمال العراق وحول الموصل منذ القديم. إنما دفعتهم ظروف سياسية أو اقتصادية غامضة شمالاً حتى دخلوا أرمينية وبعض جنوب روسية، وحل بعضهم حول حلب (عفرين وأعزاز)، واستوطنت فئة بين البقعتين أثناء سيرهم في الأراضي التركية، فتناثروا في ديار بكر وماردين وكلس وعين تاب. ولا بد إلا أن يأتي يوم قريب تعم فيه الثقافة الإسلامية والعربية بين سكان الأطراف النائية، فتراهم عندئذ يتوافدون على الإسلام زرافات زرافات، ليعودوا إلى قواعدهم الأصلية سالمين مسلمين.

مصادر البحث ومراجعه

- إعلام النبلاء ـ محمد راغب الطباخ. حلب، ١٣٤٢ هـ
- الألوهية في المعتقدات الوثنية ـ فاروق الدملوجي. بغداد، ١٩٥٣
- الأنساب ـ السمعاني. طبعة الزنكو غراف. ليدن، ١٩١٢
- ئيزدياتي ـ سليمان وجندي. بغداد ١٩٧٩ (كردي)
- إيضاح المكنون ـ إسماعيل باشا. إستنابول ١٩٤٥
- تاريخ مختصر الدول ـ ابن العبري. بيروت، ١٨٩٠
- تتمة المختصر ـ ابن الوردي. بيروت، ١٩٧٠
- دائرة المعارف الإسلامية ـ نسخة الترجمة المصرية
- الدرر الكامنة ـ ابن حجر. مصر، ١٩٦٦
- عبدة الشيطان ـ عبدالرزاق الحسيني
- عشائر العراق ـ عباس العزاوي. بغداد، ١٩٤٧
- الكامل ـ ابن الأثير. بيروت، ١٩٦٥
- لغت نامه ـ دهمذا. طهران (فارسي)
- مجلة الجنان ـ عام ١٨٧٦
- مجلة المشرق ـ عام ١٨٩٩
- مجلة المقتطف ـ عام ١٨٩٩
- المختصر ـ أبو الفداء. بيروت، بلا تاريخ
- مدينة سنجار ـ حسن شيمساني. بيروت، ١٩٨٣
- معجم البلدان ـ ياقوت الحموي. بيروت، ١٩٥٥
- معجم الطبقات الكبرى ـ الشعراني
- الملل والنحل ـ الشهرستاني. مصر، بلا تاريخ
- موسوعة العراق الحديث ـ خالد عبدالمنعم العاني. بيروت، ١٩٧٧
- وصايا الشيطان ـ محمد علي الزعبي. بيروت، بلا تاريخ
- وفيات الأعيان ـ ابن خلكان. بيروت، ١٩٧٧
- اليزيدية ـ صديق الدملوجي. الموصل، ١٩٤٩
- اليزيدية قديماً وحديثاً ـ إسماعيل بيك جول. بيروت، ١٩٣٤

اليزيدية ومنشأ نحلتهم ـ أحمد تيمور باشا. القاهرة، ١٣٤٧هـ
يزيديها وشيطان پرستها ـ سيد جعفر غضبان. إيران، ١٣٤١هـ (فارسي)

- Britannica. 1984
- The Yezidis. Johns Guest. london and newyork, 1987.

من أعمال المؤلف

في التحقيق

١ ـ دمية القصر، للباخرزي (ثلاث مجلدات) دمشق ـ دار الحياة ١٩٧٤.

٢ ـ ديوان الباخرزي، بنغازي ـ الجامعة الليبية ١٩٧٣.

٣ ـ ديوان ابن عبد ربه الأندلسي.
دمشق ـ مكتبة الخافقين ١٩٧٧.

٤ ـ أسماء الكتب؛ لرياضي زاده.
القاهرة ـ مكتبة الخانجي ١٩٧٥.

٥ ـ الجوهرة في نسب الإمام علي وآله.
دمشق ـ مكتبة النوري ١٩٨٢.

في الأدب

٦ ـ دراسات في الأدب الجاهلي.
دمشق ـ الشركة المتحدة ١٩٨٠.

٧ ـ الأعشى؛ شاعر المجون والخمرة.
دمشق ـ الشركة المتحدة ١٩٧٩.

٨ ـ المختار في الأدب الجاهلي.
جامعة حلب ـ ١٩٧٨.

٩ ـ المتنبي أمير شعراء العصر العباسي.
جامعة حلب ـ ١٩٨١.

١٠ ـ المتنبي : مالىء الدنيا وشاغل الناس.

١١ ـ حول الأدب في العصر السلجوقي.
بنغازي ـ قورينا ١٩٧٤.

١٢ ـ بدر شاكر السياب.
دار الأنوار ـ بيروت ١٩٦٨.

١٢ ـ قسطاكي الحمصي.
دار الأنوار ـ بيروت ١٩٦٩.

١٤ ـ دراسات في الأدب المقارن.
اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق ١٩٨٢.
١٥ ـ الطباعة ورسالتها
حلب ـ مطبعة الوطن ١٩٦٠.
١٦ ـ الإعراب المنهجي.
حلب ـ مكتبة الجامعة ١٩٥٨.
١٧ ـ غاندي وكفاحه المسالم ـ رومان رولان. دمشق ١٩٦٩ .
١٨ ـ نظرة جديدة في سيرة رسول الله ـ فيرجيل جيورجيو.
سرقته الدار العربية للموسوعات ـ بيروت ١٩٨٣ .
١٩ ـ تاريخ فاتح العالم ـ عطا ملك الجويني
(في تاريخ المغول والخوارزميين والإسماعيلية الحشاشين)
٢٠ ـ المعين في النحو والإملاء والعروض ط ٥ ـ دمشق ١٩٨٣ .
٢١ ـ عبقرية العرب في لغتهم الجميلة ط ٢ ـ لندن ١٩٨٦ .
في الثقافة والعلوم الأخرى.
٢٢ ـ عقبة بن نافع فاتح ليبيا والمغرب ـ بنغازي ١٩٧٥ .
٢٣ ـ المعجم الذهبي (فارسي ـ عربي) ـ بيروت ط٢ ١٩٨٠ .
٢٤ ـ قاموس الجيب (عبري ـ عربي) ـ حلب ١٩٦٣ .
٢٥ ـ اللغة العبرية وآدابها ـ دمشق ط٢ ١٩٨٤ .
٢٦ ـ معجم الألفاظ الفارسية المعربة ـ دمشق ١٩٨٦ .
٢٧ ـ الغزو المغولي حتى عين جالوت ـ لندن ١٩٨٦ .
٢٨ ـ المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات ـ دمشق ١٩٨٦.

عنوان المؤلف
حلب ـ سورية
ص.ب ٦٢٠٤
هاتف: حلب ٥٥٣٥٦٦ ـ ٥٥٣٥٧٧
الكويت ٢٦٥٦٧٩١

المحتويات

صفحة